

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات لغوية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تخصّص: لسانيات عامة- النظرية والتطبيق-

الموسومة بـ:

النّظريّة الخليليّة في الدّرس اللّساني الحديث عند عبد الرّحمن الحاج صالح

إشراف الأستاذة:

د. نورية شيخي

إعداد الطالب:

عبد الرحمن بشلاغم

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. غيثري سيدي محمد
مشرفا	جامعة تلمسان	أستاذة التعليم العالي	أ.د. نورية شيخي
عضوا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد مذبوحى
عضوا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذة التعليم العالي	أ.د. أمينة طبي
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذة محاضرة "أ"	د. نصيرة شيادي

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الخيرين، وبعد:

فمنذ أن خضع اللسان العربي للدراسة والتحليل، وهو يجد على مر الأزمنة من يخدمه ويحتفي به
بالكشف عن جوهره تارة، وتحديد ما درس من معالمه تارة أخرى.

وإنه لمن المجازفة، أن نقرأ التراث العربي عامة واللغوي خاصة في ضوء ما استحدثت من مناهج
ونظريات، ذلك أن التراث نما في تربة غير التربة التي عهدناها، فالبيئة التي كان يعيشها علماؤنا العرب
القدماء تختلف عن بيئتنا إلا أن الأمر هنا يرتبط بموضوع اللغة، واللغة العربية - كغيرها من اللغات -
نظام خاص وأداة اتصال وتعبير، وهي قبل ذلك كله لغة القرآن الكريم، وهو ما ميزها بكثير من
الدراسات والأبحاث التي مست كل مستوياتها، هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وعي أهلها
ومحاولاتهم الجادة لكشف قوانين عملها.

ولا شك أن دراسة اللغة ليست بالأمر الجديد عند العرب، ومع ذلك فإن الجدة التي أضافتها
اللسانيات متمركزة في المناهج التي اقترحتها.

إن وجود الأصل، ثم اقتراح البديل أمر ليس من السهل تقبله في الدرس اللغوي العربي، وهذا ما
أدى إلى ظهور موجة صراع قائم بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة. وهكذا تقيد العمل
اللساني العربي المعاصر بمجال يغلقه بعض الباحثين على التراث ويفتحه على اللسانيات، ويفتحه
بعضهم على التراث ويغلقه على اللسانيات، ويفتحه بعضهم على الاثنين معا (التراث واللسانيات).

ويشير كثير من الباحثين العرب المحدثين - منهم: كريم حسين الخالدي وحسن خميس الملخ
ونعمان بوقرة وبشير ابرير وعبد الهادي بن ظافر الشهري وغيرهم - إلى أنه يمكن إيجاد منهج جديد
مميز تبناه جمع من اللسانيين العرب، وذلك باستيعاب علوم اللسان الحديثة في الغرب وفهمها وتمثلها،
والتعمق في التراث العربي وفهم ما يقوله القدماء، مثل ما يقوم به بعض اللسانيين في الوطن العربي
منهم: عبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر وأحمد المتوكل وعبد القادر الفاسي الفهري من المغرب وعبد

السلام المسدي من تونس ومازن الوعر من سوريا وميشال زكريا من لبنان وغيرهم، فقد أدخل هؤلاء الباحثون الفكر اللساني العربي في حوار علمي حقيقي مع الفكر اللساني المعاصر ليحدد موقعه منه فضلا عن أن هذا الحوار كفيل بدخول الباحث العربي إلى عالم الإنتاج اللساني ليصبح العرب مسهمين حقيقيين في الإنتاج اللساني العالمي طرحا وتطويرا؛ لأننا نملك فكرا لسانيا تراثيا يمكن أن نبينه ونطوره، ونبرز جوانب منه لكي يكون طرحا لسانيا معاصرا على المستوى العالمي.

لذا يمكننا القول: إنه ليس عيبا أن نطلع على ما يبدعه الآخرون ولا أن نأخذ عنهم ما ناسب أصول الحداثة، غير أن هذا لا يعني أن نتخلى عن رصيدنا اللغوي ولا حتى المعرفي عامة، ولذلك فإن أفضل حل لهذه القضية هو تبني اتجاه توفيق لا إفراط فيه ولا تفريط يحافظ على أصالة تراثنا، ويلم بمبادئ المناهج الحديثة، وبذلك نكشف عن تراثنا الضخم ونخرجه إلى العالم، فتراثنا فكر أصيل ونحن لن نثبت هذه الأصالة إلا إذا أخرجناه للعالم، ولن يفكالباحث إلا إذا استخدم مفاتيح القراءة المعاصرة التي يفقهها الجميع، وعليه كان موضوع رسالتنا موسوما بـ: "النظرية الخليلية في الدرس اللساني الحديث عند عبد الرحمن الحاج صالح"، ومن الدوافع التي حفزتنا على اختيار هذا الموضوع تعلّقنا بالتراث العربي ورغبنا في الكشف عما خلفه علماء اللغة من نظريات ومفاهيم وكذلك النقد الحاد الذي وجه للبحوث التي تتخذ من الاتجاه التوافقي منهجا في بحثها، فضلا عن محاولة بعض الباحثين الغض من شأن التراث والتقليل من قيمته، وهذا ما نم فينا الرغبة في الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني المعاصر عن طريق التأصيل لتراثنا اللغوي العربي وآخر هذه الدوافع غياب مقاربات لغوية بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، تتخذ من الاتجاه التوافقي منهجا لها إذ مازالت هذه الدراسات تمثل ميدانا يستحق البحث والدراسة وبذل الجهود المتعددة لإحياء تراثنا العربي عامة واللغوي خاصة، وتعدّ تجربة عبد الرحمن الحاج صالح من التجارب النادرة والقليلة جدا في الوطن العربي، إذ اعتمد منهجا في قراءته للتراث اللغوي العربي، فقد تميزت تجربته بتلاقح ثقافتين كانتا معينا له في أعماله وجهوده، والتي أنتجت نبتة نمت وترعرعت ونضجت لتنتج ثمارا لسانية نظرية وتطبيقية.

ما مفهوم النظرية الخليلية؟ وما هي مفاهيمها الأساسية؟ وما أهم نقاط التلاقي بينها وبين اللسانيات الحديثة؟.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: "الكتاب" لسيبويه وشروحه، و"الخصائص" لابن جني، الحاج صالح "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، و"البنى النحوية العربية"، "منطق العرب في علوم اللسان"، و"الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية" وغيرها... ومن الأهداف المرجوة من البحث:

- تعريف الباحث العربي في علوم اللسان بالأهمية التي تكتسيها نظرية النحاة العرب.
- تنبيه الباحثين لضرورة الاهتمام بشخصيات علمية فذة في تاريخ الفكر اللغوي العربي.
- قراءة التراث العربي عامة واللغوي خاصة في ضوء ما استحدثت من مناهج ونظريات.
- المساهمة في التعريف بالتراث العربي الأصيل وإحياءه وتسهيل الإطلاع عليه.
- إثبات أن المفاهيم والمبادئ التي قامت عليها النظرية اللغوية العربية القديمة، ليست غريبة أو دخيلة على الدرس اللغوي العربي كما يزعم المفتونون بالمناهج الغربية الحديثة. ومن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع رسالة ماجستير بعنوان "نظرية العامل وتعليمية النحو العربي" من اعداد الطالب عبد الكريم جيدور وكذلك "العامل عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة" باشراف الدكتور عبد المجيد عيساني جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، وكذلك رسالة ماجستير بعنوان "التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح" باشراف الدكتور أحمد جلايلي، كما نجد رسائل دكتوراه منها "النظرية الخليلية الحديثة وتطبيقها في مرحلة التعليم المتوسط دراسة وصفية" من اعداد الطالبة زهور شتوح جامعة باتنة وغيرها من البحوث وهي كثيرة .

وقد اعتمدنا على مجموعة من المناهج الإجرائية من بينها المنهج التاريخي والذي يتمثل في الكشف عن أعمال اللغويين العرب القدماء وكيفية تناولهم للمسائل اللغوية والمصطلحات التي

اعتمدوا عليها وتطوراتها، والمنهج الوصفي الذي يظهر في تحديد ماهية النظرية الخليلية وأبرز المفاهيم التي اعتمدت عليها بالإضافة الى تحديد مميزات الخطاب التراثي، والمنهج المقارن ويظهر في استخراج وتحديد أصول التوافق اللساني بين التراث اللغوي العربي والمناهج اللسانية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين مع تبيان أوجه الاختلاف كذلك، وكإجابة عن التساؤلات المطروحة ارتأينا أن نتناول ثلاث فصول لتكون الخطة على النحو التالي:

-مقدمة.

- مدخل.

- **الفصل الأول** سيكون حول "الأسس الأولى للنظرية الخليلية" ويتضمن ثلاث مباحث:

الأول عنوانه: تعريف النظرية الخليلية والثاني عنوانه مصطلح الموضوع عند الخليل وسيبويه والثالث عنوانه إثبات أصالة النحو العربي.

- **الفصل الثاني** بعنوان: "المنهج العلمي اللساني للنظرية الخليلية". وهو يتكون من ثلاث

مباحث: المبحث الأول: منهج النظرية الخليلية والثاني: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية والثالث: نظرة عبد الرحمن الحاج صالح للخطاب التراثي.

- **أما الفصل الثالث**: فكان بعنوان: "الأصول التراثية العربية للسانيات الحديثة" وهو أيضا

متكون من ثلاث مباحث: الأول عنوانه: النحو العربي واللسانيات البنوية والثاني عنوانه النحو العربي واللسانيات الوظيفية، أما الثالث فعنوانه النحو العربي واللسانيات التوليدية التحويلية.

وأخيرا خاتمة من البحث يتكون عبارة عن النتائج التي توصلنا إليها.

المسرح

أولاً: نبذة عن حياة عبد الرحمن الحاج صالح ونشأته الفكرية.

ثانياً: اللسانيات والاتجاه التوافقي - قراءة تعريفية -.

أولاً: نبذة عن حياة عبد الرحمن الحاج صالح ونشأته الفكرية:

هو عبد الرحمن الحاج صالح المولود بمدينة وهران بالجزائر عام 1927م، وهو من عائلة معروفة نزع أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر¹. والمتتبع لحياته يجد أنه في بداية تعلمه درس في مؤسسات حكومية، وقد تلقى دروس اللغة العربية في إحدى الهياكل التعليمية التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية، بعد ذلك رحل إلى مصر والحق هناك بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، واكتشف من خلالها التراث العلمي اللغوي العربي ولاسيما كتاب سيبويه (ت180هـ) الذي فتح له الآفاق العلمية وكان الدافع الأساسي وراء دراساته اللغوية، التحق بعد ذلك بالجامعة الفرنسية المعروفة باسم بورود (Bordeaux)².

إن المتصفح لدراساته اللغوية يلقي اهتمامه الكبير بالرياضيات والمسائل المتعلقة بالعمق الذهني وهذا يعود لمرحلة سابقة درس فيها الرياضيات بكلية العلوم مما أثر في حياته الثقافية فربط المنطق باللغة، ولاسيما دراسته للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت185هـ)، فضلا عن دراسته للطب البشري وتخصسه في الأعصاب، كل ذلك أضاف لعبد الرحمن الحاج صالح ملكة لسانية ساعدته على التحليل العلمي للسان العربي.

شغل عبد الرحمن الحاج صالح مناصب عدة منها: أنه عين في عام 1964م رئيسا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات بجامعة الجزائر، ثم أنتخب عميدا لكلية اللغات وآدابها وبقي على رأس الكلية إلى غاية عام 1968م³، وفي أثناء هذه المدة اهتم بدراسة العلوم اللسانية على وجه الخصوص هذا

¹ - الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، الشريف بوشحدان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، 2009م، ص: 44.

² - ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 44.

العمل كان له أساس يتجلى في المعرفة السابقة في بحوثه العلمية وتمثلت في النظرية الخليلية الحديثة التي طرحها في رسالته للدكتوراه بجامعة السوربون (Sorbonne) عام 1989م¹.

أنشأ عبد الرحمن الحاج صالح معهد اللسانيات والصوتيات وسهر على العمل فيه والاهتمام بالاعمال اللسانية، ثم عطل مدة من الزمن، ثم استأنف العمل عام 1991م، فأنشأ مركز البحوث العلمية في ميدان العلوم اللسانية²، فضلا عن عمله الجمعي، شغل مناصب عدة في المجامع اللغوية العربية، ففي عام 1980م عين عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي عام 1984م شغل مناصبا في مجمع عمان، وأيضا في مجمع دمشق، فضلا عن تعيينه في مجمع القاهرة عام 2003م عضوا مراسلا³.

حاصل على جائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب سنة 2010م تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفعه عن أصالة النحو العربي، وإجرائه مقارنات علمية بين التراث ومختلف النظريات في هذا الموضوع، فضلا عن مشاركاته في الدراسات اللسانية بحثا وتقويما وتعلينا، وجهوده البارزة في حركة التعريب. وهو صاحب مشروع غوغل العربي، أو البنك الآلي العربي، فقد انتخب على رأس مؤسسة الذخيرة العربية، واختيرت الجزائر أن تكون المقر الرسمي لهذه المؤسسة، بعدما صادق عليه مجلس وزراء الخارجية العرب لجامعة الدول العربية شهر سبتمبر 2008م، وهو المشروع الذي شاركت فيه 81 دولة عربية متطورة، من الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي، ورصدت له مبالغ ضخمة⁴. توفي يوم 5 مارس 2017⁵.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، وحدة الرعاية، الجزائر، ط1، 2008م، ج1، ص: 205.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 8. (تقديم الدكتور شوقي ضيف).

³ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 8

⁴ - ينظر: www.ennokba.com

⁵ - توفي عبد الرحمن الحاج صالح يوم 5 مارس 2017 الموافق لـ 06 من جمادى الآخرة 1438هـ بمستشفى عين النعجة في العاصمة الجزائرية عن عمر ناهز 90 عاما. ودفن بمقبرة دالي إبراهيم بالعاصمة الجزائر. وقد نعاها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في رسالة أثنى فيها على الرجل، واعتبره قامة في علوم اللغة واللسانيات، وأنه أمضى جل عمره منقبا وباحثا في لغة الضاد

● نتائجه العلمية:

قمنا بإحصاء النتاج العلمي للباحث عبد الرحمن الحاج صالح، إذ أطلعنا على أغلبه، فوجدنا أنه احتوى على مجموعة من الدراسات اللغوية المتعددة التي توزعت على الكتب الرئيسة الآتية:

– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (بجزأين).

– بحوث ودراسات في علوم اللسان بجزء واحد ضم قسمين:

الأول: باللغة العربية.

أما الثاني: مزيج بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

– السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة.

– منطق العرب في علوم اللسان.

وجدير بالتنويه أن مؤلفاته كلها - الآنف الذكر - أخرجها لأول مرة عام 2008م، وما يؤخذ على

هذه المؤلفات أنها - في بعض المواضع - احتوت بعض النصوص المكررة.

وكان له في الكتابات الأجنبية نصيبا إذ كتب عدة مقالات منها:

In Applies Arabic Linguistics, Arabic Linguistic and Phonetics, and single processing.

وذلك في نيويورك من عام 1987م، ولعل أهم ما ألفه في اللغة الفرنسية هو رسالة للدكتوراه الدولة

الموسومة بـ (Linguistique arabe et! Linguistique générale).

وقد حظيت المعجمات العربية ببصمته فيها، إذ قام عبد الرحمن الحاج صالح مع مجموعة من

الباحثين بوضع (المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات) وهو معجم: عربي وإنجليزي وفرنسي أعد

نتيجة: "لتعاون مثمر من معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر تم بمقر المعهد. عقد ندوة لدراسة

المشروع... وقد ألحقت بالمشروع مجموعة مصطلحات من الأساتذة منهم: عبد الرحمن الحاج صالح وغيره¹.

امتازت مؤلفاته بأنها احتوت موضوعات لسانية عديدة منها: تأسيس نظرية لسانية عربية حديثة سميت بـ (النظرية الخليلية الحديثة)، وكذلك لقاءات بعلماء اللسانيات . على سبيل المثال تشومسكي . ونقده لبعض الكتب والمؤلفات اللسانية، وتعليقه على المؤتمرات والندوات اللسانية، وترجمته لمؤتمرات وفصول عدة ترجمة متصرفة وعيا منه بصعوبة الموضوع المتناول أو المطروح²؛ لذلك عمد في ترجمته إلى الشرح والتعديل والتصرف في العبارة من أجل إيصالها إلى القارئ بصورة يسيرة وواضحة، فضلا عن محاولاته البحث في التراث اللغوي العربي وموازنته باللسانيات الحديثة إدراكا منه بحقيقة التطور العلمي المستمر.

أما بحوثه فقد نشرها في مجلات وصحف عديدة (عربية وعالمية)، وأسهم في مؤتمرات وندوات علمية عديدة منها . على سبيل المثال . مؤتمر حول تطور اللسانيات في العامل العربي الذي نظّمته اليونسكو واحتضنته الرباط من 1-11 نيسان عام 1987م، مؤتمر مجمع اللغة العربية للأعوام: 1993م، 2002م، 2003م، ندوة (الترجمة والمصطلح العربي) الذي نظّمه مسؤولو بيت الحكمة بتونس عام 1988م، ندوة اتحاد الجامعات اللغوية العربية المنعقدة في عمان عام 2003م، مؤتمر (علم الاصطلاح العربي) الذي نظّمته جامعة فاس عام 2001م، ندوة (اللغة العربية إلى أين) التي نظّمتها المنظمة (ISESCO) في الرباط عام 2002م.

¹ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، د.ط، تونس، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، 1989م، ص: 11.

² - على سبيل المثال ترجمته لأعمال المؤتمر المنعقد في الأمم المتحدة الذي نظّمته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للخبراء العرب في اللسانيات الحاسوبية عام 1989م، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 84.

فعبد الرحمن الحاج صالح عالم متميز في فكره، نبغ في علوم اللسان، وتمكن باقتدار من بعث التراث اللغوي العربي في ثوب أصيل، وصاغه ممزوجاً بما جدّ في البحث الأكاديمي وحاضر به في جامعات عدة فضلاً عن مؤلفاته التي تزخر بمادة علمية.

ثانياً: اللسانيات والاتجاه التوافقي . قراءة تعريفية:

إن اللسانيات (Linguistique) مصطلح يرجع إلى الأصل اللاتيني Lingua الذي يعني اللسان أو اللغة¹، وأول من استعمل مصطلح اللسانيات هو جورج مونان (J.Mounin). وذلك في عام 1826 أو 1833م، أما كلمة لساني Linguiste فقد استعملها رينوار Rainouar عام 1812م².

إن هذا الاستعمال لمصطلح (اللسانيات) أو (علم اللسان) قديم في التفكير اللغوي العربي للدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تميزاً لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم الحديث وعلم المنطق وعلم الحساب والفقه التعريفي وغيرها من فنون المعرفة³.

فقد ورد مصطلح (علم اللسان) في كتاب إحصاء العلوم للفارابي (ت349هـ) للدلالة على كل العلوم اللغوية⁴، متجهاً بالمصطلح نحو الدلالة من دون تخصيص للغة أو أخرى، فضلاً عن وروده في محكم ابن سيده (ت458هـ) وأراد به جميع العلوم النافعة، ومنها الكلام العربي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف⁵. ونظراً لوروده بهذا المعنى عند اللغويين العرب القدماء؛ لذا أرفض تخصيص المصطلح المشار إليه الدراسات الحديثة التي تستقي من منابع الدراسات الأجنبية واتجاهاتها.

¹ - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص: 283، علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، الأردن، ط1، 2002م، ص: 108.

² - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص: 274. ومعجم المصطلحات اللسانية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م، ص: 177.

³ - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 24.

⁴ - ينظر: إحصاء العلوم، الفارابي، تحقيق: عثمان أمين، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1968م، ص: 47.

⁵ - ينظر: أبي الحسن بن سيده، "الحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج1، ص: 31.

فاستعمالهم لعبارة (علم اللسان) أو (اللسانيات) للدلالة على اللغة العربية فقط، وكان العلماء القدماء كأبي عمرو بن العلاء (ت154هـ)، والخليل وسيبويه وأصحابهم يعبرون عن هذا المدلول بلفظ (العربية) فقط (علم العربية)¹، فتصورات القدماء مقاربة للمصطلح الحديث Linguistique متطورا في أثواب متعددة منها اللسانيات والألسنية واللسانية واللسانيات الذي استقر مصطلحا عاما وشائعا في أغلب المحافل اللغوية والدراسات الحديثة بعد أن قرره ندوة اللسانيات التي عقدت بتونس عام 1978م باقتراحات تقدم بها عبد الرحمن الحاج صالح²، إذ استعمله في معهد الدراسات الصوتية واللسانية في الجزائر عند إصداره لمجلة (اللسانيات)³.

فقد ذكر عبد الرحمن الحاج صالح أنه يميل إلى استعمال كلمة (لسان) ويفضلها على كلمة (لغة)، إذ ترجم بعض الباحثين العرب لفظ Linguistics بـ (علم اللغة)، فكلمة (لغة) . عنده . لا تدل دائما على مفهوم اللسان⁴، أي على ما حدده ابن جني (ت392هـ) بأن اللغة: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁵، يناقش الحاج صالح هذا الموضوع بقوله: "فالأمر ليس هكذا؛ لأنه وإن دلت كلمة (لغة) على هذا المعنى العام عند ابن جني مثلا فقد تدل أيضا على معان أخرى مشتركة مشهورة، وربما غلبت هذه المعاني الفرعية على المفهوم العام"⁶.

وقد ذكر عبد الرحمن الحاج صالح المعاني الفرعية التي تشترك مع مفهوم اللغة، فمن تلك المعاني المعنى الأول: "الناتج عند مقابلتها لكلمة (نحو) مقابلة الشيء لقسيمه، وكذا مقابلتها للعربية (علم اللسان

¹ - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 24.

² - ينظر: أحمد مختار عمر، "المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية"، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، 1989م، ص: 15. واللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، شركة المدارس للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص: 151.

³ - ينظر: مصطفى غلفان، "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين"، شركة المدارس للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص: 151.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية . الجزائر 2007م، ص: 36.

⁵ - ابن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، ص: 33.

⁶ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 36.

العربي) مقابلة الخاص للعام¹، مستدلًا على ذلك بما ذكره العرب القدماء بخصوص هذه اللفظة فقد ذكر ابن يعيش (ت643هـ) في شرح المفصل: "المراد بالعربية اللّغة وإن كانت العربية أعم من اللّغة تقع على كل مفرد من كلام العرب والعربية تقع على المفرد والمركّب"². أما المعنى الثاني الذي يشترك مع مفهوم اللّغة "المفهوم الناتج من مقابلتها لكلمة (اصطلاح)، وهذا التقابل يجري استعماله بكثرة في التّحديدات اللّغوية... مثلًا نجد هذه العبارات: (الصلاة لغة هي الدّعاء، وفي الاصطلاح...). فاللّغة بهذا المعنى هي المفردات المبتدلة عند جميع الناطقين أي اللّغة غير الفنية"³. أما المعنى الثالث هو ما نجده في الكتب النحوية واللّغوية بصفة خاصة. استعمالا آخر، مثلًا نجد عبارات: (والرفع في جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب)⁴... (لغة أهل الحجاز)⁵، (لغة هذيل)⁶.

ويتبين أن كلمة لغة تدل ههنا على استعمالات إقليمية أو قبلية تمتاز عن الاستعمال العام بميزات خاصة. فهي إذا كلفيات محلية في أداء اللّغة العربية (Réalizations Locales)، وتطلق غالبًا خلافا لما يظن على الكيفيات الجزئية... وقد تدلّ على مفهوم اللّهجة قليلًا، لأن قول سيبويه (على لغة هذيل) لا يعني باللّغة فيه لسان هذيل كلّ، بل هذا الأداء الخاص الجزئي هو الذي فتح عين الكلمة في جمع فعلات مع كونها حرف علة مثل بيضات وجوزات... وقد يتفق أن تكون هذه الكيفية الأدائية واسعة المجال وتعدّ مع ذلك لغة محلية"⁷.

¹ - المرجع السابق، ص: 36.

² - ابن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري"، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص: 8.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 37.

⁴ - الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1977م، ج1، ص: 110، 111.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص: 28.

⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص: 11 و 191.

⁷ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 37.

فمصطلح (علم اللغة) يدلّ عند الكثيرين على دراسة اللّغة دراسة عامة بغض النظر عن نوعها وذلك بوصف بنيتها وخصائصها وعلاقتها باللّغات والنّظم التّبلغية الأخرى، وبعبارة أبسط سيصبح علم اللّغة مرادفاً للّسانيات في المستوى الاصطلاحي، وتخصّص هذه الكلمة لهذا الغرض وأن نقول (الّسانيات) كما نقول الرياضيات أو البصريات، وإن تخصّص كلمة (لغة) إذا أضيفت إلى العلم للدّلالة على دراسة أوضاع المفردات، أما إذا أفردت عن العلم فلا بأس باستعمالها مع كلمة لسان للدّلالة على المفهوم العام¹.

فمفهوم اللّسان أو اللّسانيات حسب ما عرفه العلم الحديث: علم يدرس اللّغة الإنشائية دراسة علمية²، فتكون دراسته بعده موضوعاً من موضوعات البحث العلمي و"تجنّب في نفس الوقت كل التصورات غير العلمية التي ترجع إلى ماهية اللّغة ومختلف مظاهرها"³، وتقوم الدّراسة على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التّعليمية والأحكام المعيارية⁴، هذا وتشمل الدّراسة اللّسانية للّغة الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية والدّلالية، كما توفّر الدّراسة معلومات مهمة عن بنية الآنية وتطوراتها اللّسانية عبر الزمن وعلاقتها بالنّظم اللّسانية الأخرى في إطار القرابة والأصل المشترك⁵.

ومما تقدّم يتبادر إلى الذّهن بعض الأسئلة، منها: ماذا يمكن أن يدخل من المفاهيم في ميدان اللّسانيات؟ وماذا يمكننا أن نعطيه صفة اللّسانية، ويتقطع عليه بأنّه من موضوعات علم اللّسان؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، سننطلق من التّحديد الذي وضعه الباحث الفرنسي أندريه مارتيني (A.Martinet) الذي قال: إنّ اللّسان هو أداة تبليغ، يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 38. ومحمد حسين آل ياسين، "الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث"، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980م، ص: 431.

² - يشكّل مبدأ العلمية ركناً أساسياً في دراسة اللّغة، ولزيد من التّفصيل ينظر: أحمد محمد قدور، "مبادئ اللّسانيات"، الدار العربية، بيروت، ط1، 2011م، ص: 15.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 38.

⁴ - ينظر: نعمان بوقرة، "اللّسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة"، عالم الكتب الحديثة، إربد، ط1، 2009م، ص: 10.

⁵ - ينظر: ماريو باي، "أسس علم اللّغة"، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م، ص: 29.

على خلال بين جماعة وأخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى (Monemes) ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة: وهي العناصر الصوتية (أو الوظيفة) (Phonemes) ويكون عددها محصورا في كل لسان، وتختلف هي أيضا من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة¹.

إذا تتبعنا الصفات التي ذكرها مارتيني، نجد أن جميعها لازم لمفهوم اللسان لا تفارقه أبدا، فأول هذه الصفات هي أنّها: (أداة تبليغ) وفي هذه العبارة عنصران أساسيان²:

الأول: هو مفهوم الأداء (أو الوظيفة Foncion)، الذي تقضيه كلمة (أداة).

والثاني: هو التّخاطب أو التبليغ المتبادل بين أفراد الجماعة، وهو تبادل معلومات وأغراض بكيفية خاصة.

ويقتضي التّخاطب (Communication) شيئين أيضا³:

الأول: هو أنه لا يتم إلا بواسطة نظام من الأدلة والعلامات، وهذا ليس خاصا باللّغة؛ لأنّ الأنظمة الدلالية كثيرة مثل (الإشارات المصطلح عليها في البحرية، وإشارات المرور... وغير ذلك، إلا أنه صفة لازمة للغة.

والثاني: هو أنّ اللّغة إنّما هي مواضعة واصطلاح (codo) يتواضع عليه الناطقون بها.

وكل هذه الأشياء إنّما هي نظم اجتماعية من نوع خاص، ويمكن أن يظهر ترابطها (من الأعم إلى الأخص) بهذه الكيفية⁴:

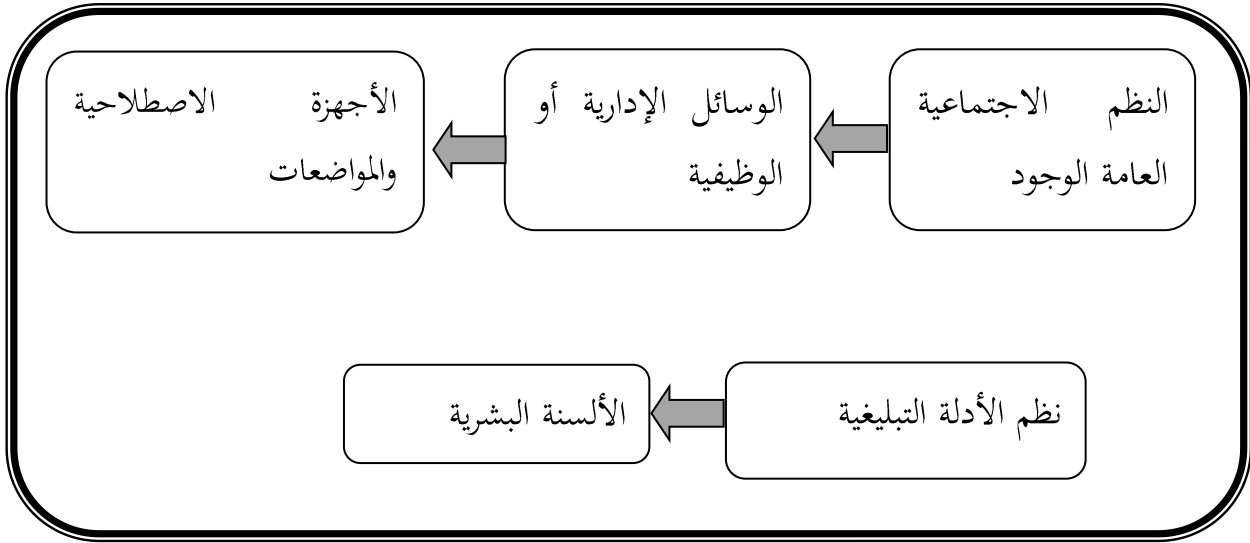
¹ -Elements de linguistique Generale, A.Martinet, Paris, 1976 , P: 13.

ترجمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

² - مصطفى غلفان، "في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفهومها"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص: 70.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 41، 42.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 20.



وتجدر الإشارة إلى أن من اللغويين العرب القدماء من أعيان القرن الثالث الهجري وهو الفارابي الذي أطلق على العلم اللغوي العام مصطلح (علم اللسان)، والذي يدرس . في نظره . أصوات اللغة وأبنيتها التركيبية والمعجمية والدلالية فيما تبحثه اللسانيات الحديثة بالضبط في أيامنا، وفي هذا السياق يقول: "علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما: حفظ الألفاظ الدالة في لسان كل أمة، والثاني: علم قوانين تلك الألفاظ"¹، ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن استعمال الفارابي للمصطلح له دلالتين:

أولاهما: عامة تعني دراسة اللسان البشري دراسة علمية، وثانيهما: الاقتصار على لسان بعينه²، فبذلك يتفرع علم اللسان إلى فرعين هما: "علم اللسان الإجرائي ذي الغرض التعليمي وعلم اللسان النظري الذي يعني بالقضايا العامة في البنية اللغوية"³ مما يبرز لنا اليوم استعمال مصطلح اللسانيات للدلالة على الدراسة العلمية العامة للنظام اللغوي، وظاهرة التبليغ البشري أو ما يعرف تحديداً

¹ - الفارابي، "إحصاء العلوم"، ص: 3.

² - ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 83.

³ - نعمان بوقرة، "اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة"، ص: 205.

(Linguistique)¹، كما يمكن إدخال جوانب علمية تطبيقية تنتمي الآن إلى فرع مستقل في اللسانيات المعاصرة يطلق عليه اسم اللسانيات التطبيقية².

ومن اللافت للنظر أن الترجمة اللاتينية لكتاب (إحصاء العلوم) التي قام به Girardo Cremonensi في القرن الثاني عشر الميلادي³، قد جاء فيها عبارة Scientia Linguae مقابلة للفظ (علم اللسان). ذكر الحاج صالح . وقد عرفنا أن هذه العبارة هي التي تحدد الآن مضمون الLinguistics في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة وهي The science of language وما يمثّلها في اللغات الأوروبية الأخرى، فضلا عن أن هذه التسمية بهذا المفهوم الذي وجده الأوروبيين في كتاب الفارابي لم يسبق مجيئها فيما قبل ذلك التاريخ في نص يوناني أو لاتيني أو أي نص آخر، وبما أن هذه الموضوعات العامة التي ذكرها الفارابي بوصفها أقسام هامة لعلم اللسان هي التي سيعالجها الLinguistics في عصرنا الحاضر، فهو الأصلاح لتأدية المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب الLinguistics أنفسهم⁴.

إذا من باب الإنصاف العلمي القائم على الموضوعية العلمية، إننا لا يمكن أن ننكر هذا النوع من الحقيقة المعرفية المتعلقة بالبحث اللساني الغربي بكل اتجاهاته الداخلية والخارجية، لكن ما يستدعي التريث هو أن غالبية المفاهيم اللسانية التي توقف عندها الرواد الغربيون تعكس في باطنها وظاهرها المؤلف شيئا من التلازم الحواري الجدلي الذي ينم . بحق . بأن ما توصل إليه القدماء له القدرة المعرفية والمنهجية بأن يحقق مع أفق الحدائث تقاطعا معرفيا لا يستهان به؛ الأمر الذي يجعلنا نولي الاهتمام البالغ إلى بعض من المفاهيم اللسانية التي . في اعتقادي . لم تعامل معاملة تليق بمقامها

1- نعمان بوقرة، "المدارس اللسانية المعاصرة"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2003م، ص: 10 وما بعدها.

2- نعمان بوقرة، "اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة"، ص: 206..

3- توجد مخطوطة منه في المكتبة القومية بباريس تحت رقم 9335 (من الوجة 143 إلى 151). ونشرها مع النص العربي وترجمه إلى الأسبانية (ونص لاتيني آخر مختصر) Palencia A.Gonzalez في مدريد 1932م، ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 87.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 87.

المعرفي والإجرائي، وهو ما جعل الهوة تزداد شيئاً فشيئاً بين الطرح الحدائري ورؤية القدماء للظاهرة اللغوية.

فقد تبين لنا من خلال ما تقدم بأن كل من ذهب إلى أن دراسة اللغة عند علمائنا العرب القدامى كانت دراسة "إنسانية وليست علمية"¹ هو رأي تنقصه الدقة، وإجحاف بحق اللسانيين العرب القدماء، فعلمهم "علمي دقيق، يعول على الملاحظة والاستقراء، والإفراط في الحيلة... حتى نستطيع أن نكون مطمئنين إلى أكثر ما استنتجوه من خصائص لغتنا"²، فللغرب باع طويل في علم اللسانيات، وينبغي أن يؤرخ له كما يؤرخ لغيره ضمن التفكير اللغوي الإنساني، لاسيما الفكر اللغوي الهندي واليوناني، وأن يعطي مكانه الصحيح واللائق به في ركب الحضارة الإنسانية ولاسيما في جانبها اللغوي، بل يمكن القول: أن العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية، ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلا بعد أمد طويل³.

ويناقش عبد الرحمن الحاج صالح، الرأي الذي يقول بأن موقف العلماء القدماء موقفاً (غير علمي) إذ يرى عدم صحة هذا الرأي بقوله: "نعم هناك أسباب دينية اجتماعية وهو الاعتناء بلغة القرآن وهي خارجة عن العلم؛ لأنها دوافع ولكل حركة علمية وغيرها دوافع. أما أن يقول بأنهم وقفوا من اللغة موقفاً غير علمي فلا؛ لأن العلم لا يتحدد بالغاية التي يرمي إليها أصحابه انتفاعية كانت أم غير انتفاعية بل بمقاييس اثنين وهما: المشاهدة والاستقراء، والاختبار من جهة والصياغة العقلية من جهة أخرى. فكلما دقت مناهج المشاهدة والصياغة وأفادت معلومات جديدة وكشفت بذلك عن أسرار الظواهر والأحداث كانت أخرى بأن توصف بأنها علمية"⁴.

1- مازن الوعر، "دراسات لسانية تطبيقية"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1989م، ص: 36.

2- صبحي الصالح، "دراسات في فقه اللغة"، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، 2000م، ص: 110.

3- أكرم عثمان يوسف، "دراسة في المنهج الصوتي عند العرب"، الموقف الأدبي، العدد 135، 136، دمشق، 1982م، ص: 57.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 214.

فكلمة (علم) الواردة في تعريف اللسانيات¹، لها ضرورة قصوى لتحديد معنى (العلمية) في دراسة اللغة "في ذاتها، ولذاتها (وهو مفهوم دي سوسير) وينطوي تحته المصطلحات المعروفة، وهي: علم اللهجات Dialectologie وعلم الاشتقاق التاريخي Grammaire، والمعجم Lexicologie، والصرف Morphologie، والأعلام Onomastique، والفيلوجيا Phouologie، وعلم الأصوات العام Phonétique، وعلم الأصوات التشكيلي Phonologie، وعلم الدلالة Sémantique، وعلم الاسلوب Stylistique، وأسماء البلدان Toponymie"². إذ اعتمد سوسير في ذلك المنهج الوصفي الذي أرسى أسسه ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللغوي³ والذي تظهر أهميته في دراسة الظواهر اللغوية في مدة زمنية محددة بعيدا عن الأحكام المسبقة أو معايير الخطأ والصواب، وقد عمل بهذا الاتجاه معظم الدارسين اللغويين في العالم منذ اكتشاف محاضرات سوسير الذي اعتبره الدارسون الأب الحقيقي للسانيات وأبو علم اللغة في القرن العشرين⁴، باعتبارها أول من درس اللغة في ذاتها ولذاتها⁵، والناظر بعين الحق في التراث اللغوي القديم يلحظ تصورات القدماء للنظريات اللغوية التي درسها علمائنا قديما والتي حصل فيها تأثير متبادل بين الحضارتين العربية والغربية معظمها لم يفتن إليها الغرب إلا في وقت متأخر⁶، فضلا عن الدور المهم في التفريق بين اللغة بوصفها نظام في حد ذاته وبين الأداء اللغوي الذي يظهر في الممارسة الفعلية التي تتجلى كنشاط

1- هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيداً عن النزعة التعليمية وأحكام المعيارية، ينظر: أحمد قدور، "مبادئ اللسانيات"، ص: 15.

2- عبد الصبور شاهين، "علم اللغة العام"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م، ص: 7.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ص: 151، وعلي زوين، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م، ص: 10.

4- هيام كريدية، "الألسنة رواد وأعلام"، ص: 77.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 279، السعران، "علم اللغة"، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، القاهرة، دت، ص337.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 280.

فردى نابع من المتكلم ضمن سياق معين¹، وغير ذلك من القضايا التي تطرقت إليها الدراسات اللغوية العربية كما سيتبين لنا ذلك إن شاء الله في الفصول القادمة من الأطروحة.

• الاتجاه التوافقي:

مفهوم الاتجاه في اللغة: من وجه، و"الوجهة: القبلة والموضع الذي نتوجه إليه ونقصده، ووجه الكلام السبيل الذي نقصده"²، والوجه . بالضم والكسر. الجانب والناحية، يقال الكلام فيه على وجوه، وعلى أربعة أوجه، ووجه القرآن معانيه³، وتوجه إليه: أي قصد⁴، والتجاه: الوجه الذي نقصده⁵، فالوجه في كل ما تقدم استعارة للمذاهب والطرق⁶.

أما مفهوم الاتجاه في الاصطلاح فقد تعددت التعريفات كل بحسب اختصاصه، وبما تتماشى مع مراده ومقصوده، فقد عرفه المفسرون بأنه: تحديد مجموعة من الآراء والأفكار والنظريات والمباحث التي تشيع في عمل فكري أو تفسيري، بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية، تعكس مصدر الثقافة التي تأثر بها العالم (مفسر أو لغوي) ولونت آراءه بألوانها⁷. أو هو الموقف الذي يكونه المفسر في ظل واقع معين سواء كان ذلك واقعا اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا أو مذهبيا أو غيرها⁸.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ص: 155.

2- ابن منظور الأشبيلي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (وجه)

3- ينظر: المصدر نفسه.

4- ينظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق: عبد الحميد ضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج4، ص: 397.

5- ينظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، ج4، ص: 397.

6- ينظر: فيروز آبادي، "بصائر ذوي التمييز"، المكتبة العلمية، بيروت، ج5، ص: 167.

7- ينظر: حسام أحمد قاسم الشريف، "اتجاهات التجديد في تفسير القرآن بمصر"، دار التراث، القاهرة، ط1، 1420هـ، ص: 63.

8- ينظر: محمد مصطفىاوي، "أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره"، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م، ص: 30.

ويعرفه المختصون بعلم النفس بأنه: نزعة الفرد أو استعداده إلى تقويم موضوع ما أو رمز يرمز له بطريقة معينة¹.

فالاتجاه في أبسط تعريفاته هو: الموقف أو الأفكار التي يستخدمها الباحث لبلوغ غاية محددة، ويحاول الكشف عن بعض الحقائق من خلال هذه الأفكار، تمكنه من الوصول إلى نتيجة معينة، وفي الاتجاه الذي يسلكه الباحث تنعكس كل نزعة فكرية حصيلة كل مفكر من ثقافة عصره، ومدى تمثله واستيعابه لما اختص نفسه به من ثقافة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هناك فرقاً بين المنهج والاتجاه، فالمنهج هو "طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة"²، أما الاتجاه - كما ذكرنا - فهو الموقف الذي يكونه الباحث، أو مجموعة أفكار يتخذها للوصول إلى نتيجة معينة، "والاتجاه يتكون داخل المنهج، وذلك بالنظر إلى الضغوط الواقعية التي تمارس على البحث من الداخل والخارج، من الداخل: نتيجة للمواقف الشخصية للباحث، ومن الخارج نتيجة الواقع الثقافي أو الاجتماعي"³.

وأما مفهوم التوافق لغةً من (وفق) وتعني: لائم بين شيئين، ووفق الأمر فهمه، واتفق مع فلان: وافقه، والائتان تقاربا واتحدا، ويقال: جاء القوم وفقاً: أي متوافقين⁴.

ومفهوم اصطلاحاً يعني: الأخذ من القديم ما يتفق مع العصر، وإرجاع الجديد لمقاييس القديم، فهو موقف شرعي من الناحية النظرية يود أن يستوعب مزايا التراث والمعاصرة⁵.

1- علي منصور، "التعلم ونظرياته"، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية، د.ط، 2001م، ص: 19.

2- علي جواد الطاهر، "منهج البحث الأدبي"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، بيروت، 1988م، ص: 19.

3- أساسيات المنهج والخطاب، ص: 33.

4- ينظر، "إبراهيم مصطفى وآخرون"، المحكم، ج6، ص: 584، (مادة وفق)، والمعجم الوسيط، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط6، دت، ج2، ص: 1046-1047.

5- ينظر: حسن حنفي، "التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1991م، ص: 31.

فيتضح لنا مما تقدم من تعريفات السابقة أنّ الاتجاه التوافقي يعني: الطريقة أو المذهب للملائمة بين شيئين كأن يكون بين القديم والحديث، أو التراث والمعاصرة، على أن تكون الملائمة أو الموافقة مبنية على أسس موضوعية علمية فلا تقتصر على الاكتفاء الذاتي للتراث، ولا نتعصب للحديث باسم المعاصرة والحداثة، فهذا التعصب يقودنا بالضرورة إلى قصور في النظرة العلمية.

ويعرف التراث بأنه: كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر¹. وقد عرفه عبد الرحمن الحاج صالح بأنه: "ما تركه لنا العلماء القدامى من أعمال جليلة انطلقت كما هو معروف من دارسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني"².

أما الحداثة هي: إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر، فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة³. وقد آثرت مصطلح (المعاصرة) دون مصطلح (الحديثة)؛ لأنّ للمعاصرة بعدين: أحدهما زمني، والآخر موضوعي. فأما البعد الزمني لها فهو أنّها تمتد لأكثر من أربعين سنة خلت وهذه المدة ليست ببعيدة عن المدة الزمنية لتجارب اللسانيين المعاصرين. ولاسيما عبد الرحمن الحاج صالح، وأما البعد الموضوعي فهو أنّها تعني تلك الإشكاليات والمفرقات اللغوية التي استجذت في الفكر اللساني بفعل ما أملت الظروف ومتطلبات العصر، وهذا ما يصدق على حقيقة هذه الدراسات اللسانية⁴.

وتنار - هنا - عدّة أسئلة منها: هل ما زال التراث العربي مثار بحث؟ وهل يمكن الإفادة من دراسة التراث في عصرنا الحالي؟ وإلى أي مدى ... وفي أي المجالات...؟

¹ - حسن حنفي، "التراث والتجديد"، ص: 13.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، وحدة الرغاية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2007م، ص: 7.

³ - ينظر: حسن حنفي، "التراث والتجديد"، ص: 13.

⁴ - ينظر: عبد الرحمن حسن العارف، "اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013م، ص: 18 فما بعدها.

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تثير عند البعض - خاصة لمن ينادي بالقطيعة - مسألة مهمة وهي أنّ التراث شيء، والحداثة شيء آخر، أحدهما مستقل عن الآخر، ونجد مثل هذه الآراء خاصة عند المشتغلين في حقول الدراسات اللغوية، فلا يمكننا - نحن العرب - معرفة العلوم الجديدة (وخصوصاً اللسانيات) إلا من خلال نافذة اللغات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية، فمن الإنصاف أن نعترف أنه لا يمكننا التعرف على اللسانيات الحديثة إلا من خلال العقلية الغربية التي أنتجتها¹.

فكأن اللسانيات - على حدّ تعبير مازن الوعر - لا يوجد لها أصول في التراث اللغوي العربي، وللغربيين فضل سبق فيها. فهذا الانصراف عن البحث اللغوي العربي الأصيل فيه "غلو" ينادي به نفر من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي... يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيما المعنيين بالعربية، ممن تعلّموا شيئاً عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوربا بعد سويسرا (1919م)². فمن اللسانيين من يرفض الرجوع إلى الماضي؛ لأنهم يرون أنّ المعرفة اللسانية معرفة حديثة يجب أن نجردها من أي تاريخية ممكنة؛ لأنّ ذلك يسيء إلى الفهم، ويبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر، فالطريق الأمثل لتفادي الاستلاب التراثي، هو الخضوع للوعي التاريخي الذي سيفتح أعيننا على الواقع³.

إنّ التراث اللغوي العربي هو تراث عظيم وأثر باق على صروف الدهر، وليس هذا بغرض تضخيم قيمته الإبداعية بالمغالاة في الاستنباط والتأويل ولا لإسقاط مفاهيم لسانية دخيلة عليه؛ بل تأكيداً لقيمه العلمية، وتعليقاً للهوة التي يرى البعض أنّها تفصله عن العلوم اللسانية الحديثة، وتأكيداً لأهمية الإفادة من النظريات الحديثة في إعادة قراءة تراثنا اللغوي للوصول إلى فهم أفضل للعربية، لكن الذي حدث هو صراع قائم ودائم بين الباحثين أنفسهم يومئذٍ إليه الدكتور مازن الوعر بقوله: "إنّ

¹ - ينظر: مازن الوعر، "فضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة"، دار طلاس للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1988م، ص:21.

² - رشيد عبد الرحمن العبيدي، "الألسنية المعاصرة والعربية"، مجلة الذخائر، العدد الأول، 2000م، ص:21.

³ - ينظر: حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2009م، ص: 71، 72.

أساس الصراع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعاً بين الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء، وبين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب. إنَّ الصراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم، (كامتداد للأزمة النفسية الفردية والتي يعاني منها إنساننا العربي) بين الباحثين الذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين، وبين الباحثين الذين يشدهم التاريخ الحديث والمعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإنَّ المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك، وستحقق معاناة إقامة التوازن بين الأصالة والمعاصرة¹. غير أنَّ هذا الخلاف بين الباحثين العرب يتحول إلى (تلاسن)² فيما بينهم، فضلاً عن النقد الحاد متناسين النقد المنصف القائم على الحوار، فاللغة العربية كانت موضع اهتمام أكثر علماء اللسانيات، واهتمامهم بها كونها لغة طبيعية، ولو أن الغرب تنبه إلى نظرية العرب في اللغويات العامة واستقى منها مفاهيمها الأساسية؛ لاختصرت اللسانيات المعاصرة المسافات ولتجنب الكثير من العثرات والهفوات؛ لأنَّ "علماءنا الأجلاء القدامى - إبان نهضتهم - أولوا تلك الأبحاث اللغوية جهداً فائقاً خدمة للغة الضاد، التي هي وعاء مقدساتنا، وعلى أسس سليمة في جملتها، وعلى قدر وسعهم وإمكاناتهم. إنَّ أبحاث العلماء العرب القدامى كانت النبراس الذي اقتدى به الغرب ليشكل نهضته حديثاً. بما أوصله الغاية وساعده على الرقي... فإذا ما غرض الطرف بعدئذ بعض الباحثين على ما صنع علمائنا... فمرجعه جهل مبین، أو حقد دفين"³.

فقد شيد النحاة واللغويون العرب صرحاً عظيماً من قواعد العربية نحواً وصرفاً وصوتاً، فعلى العود إلى هذا التراث الضخم؛ لأنَّ العودة للتراث اللغوي العربي من شأنه أن يرفد الجهود التي تهدف لإيجاد مقابلات عربية لفيض من اللسانيات الوافدة، فضلاً عن أنَّ النظر إلى التراث اللغوي من زاوية العلوم اللسانية يدحض زعم من زعم أنَّ ثمة هوة تفصل علوم العربية عن اللسانيات الحديثة، مدعين

¹ - مازن الوعر، "فضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة"، ص: 354، 355.

² - ينظر: حافظ اسماعيل، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، ص: 87.

³ - عبد الصبور شاهين، "علم اللغة العام"، ص: 10.

أنَّ النظريات اللسانية إنما وجدت لألسن أخرى، لا رابط بينهما وبين العربي. إنَّ ربط القديم بالحديث لا يقوم على أساس "استرداد التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد"¹، بل هو البحث عن أصول الفكر العربي، أو هو إعادة قراءة التراث بطريقة معاصرة.

وتعرف "لسانيات التراث بأنها: جعل التراث اللغوي العربي في شموليته موضوعاً لدراسة اللسانيات، وفق منهج يصدر عن أصحاب هذه الكتابة يعرف بـ (منهج القراءة) أو (إعادة القراءة)، ومن أهداف لسانيات التراث قراءة التصورات اللغوية القديمة وفق ما توصل إليه البحث اللساني والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وإخراجها في حلَّة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية"².

وقد تعددت المواقف في التعامل مع التراث اللغوي العربي، لكنها بقيت محصورة في ثلاثة مواقف أساسية³:

1. نقد التراث إلى حدِّ الاستهجان والدعوة إلى الحداثة والتجديد، ويمثل موقف (القطيعة مع التراث). أو ما يسمى بـ (ثقافة الشرخ) الذي يعيشه المثقف العربي⁴.
2. موقف التعصب إلى التراث واستحسانه، والتسليم بما جاء فيه جملةً وتفصيلاً.
3. موقف التوفيق بين القديم (التراث اللغوي) والجديد (البحث اللساني).

ويظلُّ الموقف الثالث (التوافقي) الأكثر حضوراً ونفوذاً في حقل الدراسات اللسانية الحديثة، إذ يحاول التوفيق بين الفكر اللغوي القديم واللسانيات الحديثة في إطار قراءة التراث اللغوي القديم في

¹ - حافظ اسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص: 131.

² - مصطفى غلفان، "اللسانيات العربية الحديثة قراءة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية"، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، دط، 1998م، ص: 92.

³ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 12، 14.

⁴ - عبد العزيز حمودة، "المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية"، عالم المعرفة، الكويت، 2001م، ص: 21.

ضوء اللسانيات الحديثة¹، وبذلك اتجهت اللسانيات العربية إلى ما يمكن تسميته (منهجاً توفيقياً) أو (لسانيات توفيقية) تتبنى أنموذجاً يمزج المقولات الغربية الحديثة بمقولات النحو العربي، إذ لم يستطع اللسانيون أن ينتجوا درسا لسانيا عربيا من دون الرجوع إلى الأصل التراثي، إذ إن هذا يعني تغريبا ثقافياً يهدد الهوية الثقافية العربية².

وخير من يمثل هذا الموقف هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي - بحسب تعبير الدكتور مازن الوعر وهو أحد طلبة الحاج صالح - "يعتبر (الباحث الحاج صالح) ظاهرة فريدة من نوعها في الوطن العربي؛ لأنه تتلمذ حتى مرحلة الدكتوراه في جامعة الأزهر، فهضم وفهم النظرية اللغوية التراثية القديمة، وبعدها ذهب إلى جامعة باريس فتلمذ على أساتذتها في موضوع اللسانيات الحديثة، فهضمها وفهمها على نحو دقيق جداً، وبذلك استطاع أن يعالج بعض القضايا اللغوية العربية المعاصرة ذات الإشكاليات المعرفية"³، وسنحاول - إن شاء الله - تتبع هذا الموقف في مؤلفاته.

ولابدّ من التنبيه على أنه عند قراءة التراث ينبغي أن نلاحظ الفرق بين الفكر اللغوي القديم والفكر اللساني الحديث، إذ لخصها الدكتور أحمد المتوكل في النقاط الآتية⁴:

1- ظروف الإنتاج: إذ توافر للسانيات من المحيط العلمي ومن الإفادة من مختلف العلوم ما لم يتح للدرس اللغوي القديم، وإن كان له أيضاً محيطه الفكري والثقافي الخاص به، مما أفادت منه اللسانيات الحديثة.

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، "اللسانيات العامة: طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص: 105.

² - ينظر: حيدر سعيد مرزة، "آثار محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة"، رسالة الماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1997، ص: 6.

³ - حافظ اسماعيل علوي، "أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات"، ص: 114.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 37، 38.

2- من حيث موضوع الدراسة: إذ كانت دراسة الفكر اللغوي القديم في حدود اللغة الواحدة والتفصيل لهذا اللغة (الهندية أو العربية أو الفرنسية مثلاً). في حين أن موضوع اللسانيات هو اللغات على اختلاف أنماطها أو بالأحرى الملكة اللسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية.

وقد ميز الحاج صالح بين الضوابط والمهارة في إجراءاتها والعمل بها، "فضوابط النحو ليست تعسفية؛ لأنها ترسم مسار العمل المؤدي إلى كلام عامة الناطقين باللغة المعينة إذا كانت مستنبطة من عامتهم حقيقة وهو المعيار الذي قصده علماء النحو العربي ليس إلا"¹.

وفي هذا المقام لا يفوتنا ذكر الأسس التي ينبغي أن يستند إليها في قراءة النص القديم وفهمه، وهي²:

1. توثيق النص وتحقيق نسبته إلى قائله، هل هذا صاحبه مباشرة، فجاء في بعض كتبه، أو نقله عنه أحد تلاميذه.

2. وضع النص في سياقه العام الذي يرد فيه، مدى مناسبة النص لهذا السياق العام، فالسياق يشكّل جزءاً مهماً من دلالة النص، ويوجهه الوجهة الصحيحة.

3. النظر في النص نفسه من داخله، وتبين مدى موافقته للسياق الخاص والعام، والنظر في الأفكار التي تحتوي عليها، وترتب هذه الأفكار.

4. عرض هذه الأفكار الواردة في النص على أفكار صاحبه وآراءه الواردة في الكتاب وفي غيره.

5. موقف معاصري هذا النص من أفكاره، وموقف المهتمين بمجاله.

وتجدر الإشارة إلى أنه من مسوغات التقريب والتوافق بين لسانيات التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، عدّة أمور، منها³:

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة"، ص: 22.

2- محمد حماسة عبد اللطيف، "كيف نقرأ النص التراثي؟"، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009م، ص: 16، 15.

3- ينظر: حافظ إسماعيل العلوي، "اللسانيات في الثقافة العربي المعاصرة"، ص: 132، 134.

1- السبق التاريخي والحضاري للعرب في مجالات الدراسات اللغوية:

يذكر الدكتور عبد السلام المسدي عن الحضارة العربي، لأنها "اتسمت قبل كل شيء بالمقوم اللفظي حتى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتهم النوعية، وهذا ما استقر لدى المفكرين منذ مطلع نهضتهم"¹.

فالنظر في مسيرة البحث اللغوي يجد أن اللغويين العرب قد اهتموا إلى أدق تفاصيل اللسانيات، إذ يعبر عنه محمد عبد المطلب بالشريط الممتد يحوي سلسلة من المشاهد، إذ يقول: "يجد نفسه أمام شريط ممتد يحوي سلسلة من المشاهد، يكاد يشده فيها المشهد الأخير، فيحاول استعادته في حركة بطيئة يكتشف خلالها أن هذا المشهد ما هو إلا تكثيف لما سبقه من مشاهد، وتبلور لما سبقه من جهود، وكأنما الأمر أصبح بمثابة قضية منطقية لها مقدماتها التي تتبعها بالنتيجة مترتبة عليه"².

فضلا عن ذلك نجد المسدي يقيم موازنة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات؛ إذ يلاحظ أن "العرب بحكم مميزات حضارتهم وتحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد أفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي للغة فحسب، بل قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا، بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين"³.

2- العامل الديني:

من أهم العوامل التي لها الأثر البالغ في توجيه اللغويين العرب، فقد اهتموا إلى أدق تفاصيل اللسانيات "وهم يرسون قواعد لغتهم ويضعون قوانينها، من خلال العمل اللغوي الجاد الذي قام به

¹ - عبد السلام المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981م، ص: 24.

² - محمد عبد المطلب، "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي"، مجلة فصول، العدد الأول، 1984م، ص: 25.

³ - المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربي"، ص: 26.

فحول علمائهم لخدمة كتاب الله العزيز. وقد استطاعوا بدأهم على البحث والدرس ان يقيموا الدعائم الوطيدة لـ (علم اللغة)¹.

3- الأصول التراثية للسانيات:

انطلقت اللسانيات عن طريق اعتمادها على التراث اللغوي، وهذا من أهم الأسباب التي جعلت اللسانيات تتقدم وتزدهر، فقد "جاء كتاب الألسنة الديكارتية ليكون مثلاً حياً على اهتمام اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة، وبين المفاهيم اللغوية الحديثة. لقد استطاع تشومسكي N. Chomsky في هذا الكتاب أن يقف على العديد من العناصر التي تمثل التقاء واتفاقاً بين معطيات نظريته التوليدية التحولية وبين القواعد التي أرساها (ديكارت) فيما يعرف باسم قواعد بورت رويال"².

ومما هو جدير بالذكر أن اهتمام الغربيين لم يكن منحصرًا في تراثهم فحسب، بل شمل أيضاً التراث اللغوي الإنساني، بما فيه التراث اللغوي العربي، فالعديد "من العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتماماً واعتباراً، وجاءت جل أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية، في لغتنا العربية، مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى، ومن ثم جاءت دراستهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم، ونظريات البحث اللغوي الحديث، فقد جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة"³.

فالبحت في لسانيات التراث يكشف لنا "أن كتب فقه اللغة العربي من تراثنا اللغوي، حقا تبعث على الإعجاب والإكبار؛ إذ يظهر في شيء غير قليل من قضاياها سبق بعض العلماء القدامى

1- عبد الغفار عامر هلال، "علم اللغة بين القديم والحديث"، ط3، 1989م، ص: المقدمة.

2- حسام البهنساوي، "أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ص: 2.

3- حسام البهنساوي، "أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث"، ص: 9.

لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث بألف عام أو يزيد... ففي هذه الكتب وغيرها علم كثير، ونظريات لغوية تقف شامخة أمام بعض ما وصل إليه العلماء في عصر التكنولوجيا الحديثة والعقول الإلكترونية¹. فضلاً عن أنّها لا تخرج عن الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة، وبذلك فهي موقف حضاري غايته إبراز مظاهر المعاصرة في التراث اللغوي العربي، ثم تحقيق التواصل، بالنسبة إلى العرب بين الماضي والحاضر².

ومن أكثر الأدلة وضوحاً على وجود أصول للسانيات في التراث اللغوي العربي هو الدليل الذي لا يقبل طعناً ولا تشكيكاً حينما نشرت مجلة اللسانيات . الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية الذي يترأسه عبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر . محاورة أجازها الدكتور مازن الوعر مع نعوم تشومسكي وتضمنت اعترافات جاءت في شكل لمحات من السيرة الذاتية تتصل بظروف تكوينية ودراسته³. سأل مازن الوعر: "نعتمد نحن العرب أن الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة إنما هي جهود مهمة أسهمت إلى حد كبير في بناء علم اللسان الحديث. ما هي آراؤك حول هذه القضية؟" فأجاب تشومسكي: "قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، ومازلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت، أظن أنّها أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال الذي يدرس الآن في جامعة بال. لقد كنت وقتذاك طالباً في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا، وكنت مهتماً بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ في بعض ما كنت قرأته من تلك الفترة ولكنني

¹ - رمضان عبد التواب، "التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي"، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1983م، ص: 101.

² - ينظر: عبد السلام المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، ص: 12.

³ - دار الحوار في 31 كانون الثاني 1980م، ونشرته مجلة اللسانيات في عددها السادس عام 1982م، في نصه الإنجليزي مشفوعاً بترجمة عربية وأخرى فرنسية، ص: 66، 82.

أشعر أنني كفاء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث¹.

ثم يسأل المحاور من جديد عن المصادر البعيدة التي استلهم منها تشومسكي تصوراته الأولفيجييه: "كما ذكرت من قبل، إن دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي مختصاً في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درست هذا النحو على يديه، وباعتباري طالباً في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث كما درست النحو العربي في القرون الوسطى، وكذلك - إذا أردت بعض التفاصيل حول الموضوع - فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي المسمى: البنية المنطقية للنظرية اللسانية إذ حللت في هذه المقدمة كيف أن بعضاً من دراستي المبكرة - في صغري - لنحو القرون الوسطى كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية، وكانت هذه الأفكار في الواقع هي المثل التي احتذيتها في الأربعينيات².

أن نستطرد إلى تفسير الحثيات الفكرية والثقافية لهذه المعلومة المعرفية؛ لأنّ المقام هذا ليس مقامه إنّما نريد أن نقف عند مسألة مهمة في غاية الأهمية وهي اطلاع تشومسكي على الآجرومية* ودراسته إياها³، إذ تمثل دراسته هذه قرينة قادحة للوعي المعرفي الجديد من باين: أولهما الاطلاع على ما انتهى إليه النحو العربي من دقة وتماسك سمحا باختزال عمله في صفحات معدودات، ومما لاشك فيه أن تشومسكي - بثقافته الرياضية الأساسية وتشعبه بالمنطق النظري - قد

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "مجلة اللسانيات"، منشورات من المجمع الجزائري باللغة العربية، الجزائر، عدد 6، 1982م، ص: 77.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، العدد السادس، 1982م، ص: 78.

* الآجرومية: هي عبارة عن مختصر في النحو ألفه عبد الله بن محمد الصنهاجي الملقب بابن آجروم من النحا المغاربة من مدينة فاس ت (523 هـ) اضطلع بتدريس النحو والقراءات، وألف رسالة في النحو سماها بالمقدمة وكانت تعرف بالمقدمة الأجرومية.

³ - ينظر: عبد السلام المسدي، "العربية والإعراب"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص: 139.

ارتفعت إلى مرتبة من التجريد تحولت معه إلى منظومة صورية خالصة. وأما الباب الثاني فيتمثل في قضية الإعراب، ذلك أنّ ابن آجروم قد تفتق ذهنه اللغوي على إعادة صهر كل أبواب النحو وإخراجها مرصوفة طبقاً لنسقية الإعراب، ونعلم بأنّ النحو العربي في مجمله يعني الإعراب، إذ إنّ أغلب الناس يستبدلون عبارة (علم النحو) بـ (علم الإعراب)، فعند النظر إلى هذه المقدمة ندرك كيف جود ابن آجروم تصنيف الأبواب النحوية، وكيف جعلها موسومة بسمات القواطع المشتركة الجامعة بين العلامات الإعرابية¹.

وهكذا بوسعنا أن نقول: أنّ تشومسكي قد اطلع على النحو العربي وقد استغرقه التفكير في نظام اللغة العربي على قدر ما استغرقه التأمل في النظام النحوي المستنبط من هذا اللسان الطبيعي، ويكفي أن نعود إلى الحديث تشومسكي حينما صرح قائلاً بأنّ بعضاً من دراسته المبكرة للنحو العربي قد قاده إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية: "فضلاً عن أنه يمكننا القول: "لو دون تشومسكي لنا في يوم من الأيام سيرته الذاتية من الوجهة الفكرية والمعرفية بما يكفي من التفاصيل والإسهاب، وقد يكون طريفاً أن يحاول الدارس . على منهج الافتراض الاستدلالي . قراءة مقدمة ابن آجروم بعين تشومسكي ليفكك المقولات النحوية تفكيكا هادفاً، وليقرأ من جديد سفراً من أسفار توالد المعرفة الإنسانية عبر تحاصب الثقافات والمواريث، فيكون الباحث اللساني . بالمنهج المقارن الجديد . قد ساهم، بقصد أو بدون قصد، في الميثاق العالمي الذي عنوانه: (التنوع البشري الخلاق)"².

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي، "العربية والإعراب"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص: 140.
² - عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص: 142، مصطلح (التنوع البشري الخلاق) صدر عن منظمة الأمم المتحدة بعد الإعلان عن (العقد العالمي للتنمية الثقافية) واختارت له العشرية (1987-1997)م، وأوكلت إلى اليونسكو أعماله وإعداد الأبحاث المناسبة، وصدرت الأعمال في مجلد بعنوان (التنوع البشري الخلاق) صدر في طبعته العربية عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر، ينظر: المرجع نفسه، ص: 140.

الفصل الأول

الأسس الأولى للنظرية الخيلية

- المبحث الأول: تعريف النظرية الخيلية
- المبحث الثاني: مصطلح الموضوع عند الخليل وسيبويه.
- المبحث الثالث: إثبات أحالة النحو العربي

المبحث الأول: مفهوم النظرية الخليلية

قبل البدء بالحديث عن نشأة ومفهوم النظرية الخليلية الحديثة، نود أن نشير إلى مفهوم النظرية عمومًا فهي:

أ- لغة: إذا قلت: نظرت في الأمر احتمال أن يكون تفكيراً فيه وتدبيراً بالقلب ... والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني¹. ومن هنا كان النظري عند الشريف الجرجاني (ت 816هـ) "هو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كصور النفس والعقل والتصديق بأن العالم حادث"²

أما اصطلاحاً فهي: "تلك الفروض الذهنية أو العقلية التي يقدمها العلماء في استنباطهم للأنظمة التي يدرسونها"³

أو هي "فرض علمي يرتبط بقوانين عدة بعضها ببعض ويتردّها إلى مبدأ واحد يمكن أن تستنبط منه "أحكاماً وقواعد"⁴

1- ماهية النظرية الخليلية الحديثة:

النظرية الخليلية الحديثة⁵ هي نظرية علمية لسانية، وهي فرع من اللسانيات العربية التي

¹ - ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ج5، ص: 217 - 218 (مادة نظر)

² - الجرجاني، "التعريفات"، تحقيق: نصر الدين تونسي، شركة القدس المتحدة، القاهرة، ط1، 2007م، ص: 382.

³ - ينظر: محمد عبد العزيز عبد الدايم، "النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط1، 2006م، ص: 17.

⁴ - ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، "المعجم الفلسفي" دار الثقافة، ط2، 1979م، ص: 202.

⁵ - النظرية الخليلية الحديثة (New Khaliliene Theory) ورمزها الدولي المختصر (NKT): أما بالنسبة لاسم الخليل تنسب إليه فقد وجدنا أنه يكتب في بعض المراجع العلمية وفق الكتاب الصوتية الدولية هكذا (AL-HALIL) مأخوذ من المقال الذي أعده الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بعنوان الرموز العربية الخاصة بكتابة الكلام المنطوق، وقد تم تحريره لمساعدة المشرفين على جمع الرصيد اللغوي العربي عام 1961، ونشر في كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، ص: 432-432، وكذلك مقال عن الخليل بن أحمد للباحثة الأمريكية: سارة آس أي: جامعة جورج تاون، واشنطن وتشرفي موسوعة اللسان واللسانيات، ط1، 2006، ص 168.

تختص في دراسة اللسان العربي دراسة علمية وفق المفهوم الحديث للدراسة العلمية¹.
 ربما أنّها نظرية علمية² فهي تنفرد بمجموعة خاصة من المصطلحات والفرضيات، كما أنّها تقترح رؤية مستقلة لقراءة التراث اللغوي العربي وللدراسة العلمية المستنبطة من هذا التراث³.
 تحاول النظرية الخليلية الحديثة أن تعيد النظر في التراث اللغوي العربي من خلال قراءته قراءة جديدة تتجلى بالموضوعية وعدم تبني أي أحكام مسبقة حول هذا التراث الهدف الرئيسي المعقود على هذا الجهد العلمي هو إعادة صياغة هذا التراث من جديد بلغة العلم الحديث ومنطقه؛ والمقصود من لغة العلم^{4*} الحديث ذلك التوجه العلمي لدى العلماء والباحثين في كل أرجاء المعمورة لتوحيد مفاهيمهم ومصطلحاتهم الفنية قدر الإمكان، وبالموازاة مع ذلك توحيد الشروط الشكلية لعرض النظريات والأفكار العلمية من حيث التزام المؤسسات والهيئات العلمية المعتمدة بالبساطة والوضوح التام والموضوعية الكافية**.

1- ينظر: محمد عبد الدّائم عبد العزيز "النظرية اللّغوية في التراث العربي"، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط1، 2006م، ص: 17.

2- النظرية العلمية (Théorie scientifique)، مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبيؤ بمظاهرها" موريس أنجلس منهجية البحث العلمي في العلوم إنسانية، دار القصة للنشر، ط1، 2004م، ص52.

3- ينظر: حسن خميس الملخ، "التفكير العلمي في النحو العربي" الاتقراء، التحليل التفسير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص: 32.

*- لغة العلم (Langue du science) تتحدد منهجياً بالنظر إلى مستويين رئيسيين من استعمال اللغة؛ المستوى الأول نوعية الألفاظ والمفردات ويشترط فيها على الخصوص؛ أحادية اللفظ والانسجام بين الألفاظ والدقة. المستوى الثاني: النظرية العلمية التي تحقق الترابط والتماسك الداخلي بين الألفاظ والمفردات الموضوعية وضعا اصطلاحياً. موريس أنجلس، منهجية البحث في العلوم إنسانية، ط1، دار القصة - الجزائر - ص: 62-56.

4- حسن خميس الملخ، "التفكير العلمي في النحو العربي"، ص: 34.

**- الوضوح التام بالمعنى المنطقي (Explicité / Explicites) ومعناه أن يكون المفهوم الموضوع للدلالة على حقيقة علمية محدّدة واضحاً في نفسه غير ملتبس بغيره بأي حال من الأحوال مع الإلتزام به من أول الدراسة إلى آخرها، أو داخل شبكة المفاهيم التي تنتمي إلى نظرية علمية واحدة، أصبح هذا المبدأ أساسياً في البحث العلمي المعاصر، ينظر: نايفخرما، "أضواء على الدراسات اللسانية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت - عدد 9 سبتمبر 1978م، ص: 100.

أما منطق العلم الحديث فهو منطق التفكير الرياضي، البرهان الاختباري والتجريبي ويصطلح على ذلك بالتوجه نحو (الامبريقية*) أي تطابق الفرضيات مع الواقع كما هو عليه¹، وهذا يعني أنه لا يكفي أن تصاغ النظريات العلمية صياغة متماسكة ومقنعة من الناحية النظرية فحسب بل يجب أن يضاف إلى ذلك التحقق من تلك الصيغ بتجريبيها أو اختبارها حسب الميدان الذي تنتمي إليه.

وتقترح النظرية الخليلية الحديثة اقتراحاً لا يخلو من الابتكار حيث أنها تفترض أن السلوك المنهجي الصحيح للنهوض باللغة العربية إنما هو الرجوع الواعي والمتأني إلى التراث اللغوي العربي وإعادة قراءته واستنباط شبكة المفاهيم والمصطلحات التي حفل بها، بشرط أن يلتزم في ذلك أقصى درجات التمحيص والتدقيق، من أجل فهم كلام اللغويين العرب القدامى كما أرادوه هم، وكما قصدوا من إطلاق المفاهيم والمصطلحات يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة طويلة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها الكتاب تكون في الحقيقة نظرية دقيقة لم تعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة... فهذا العمل هو إذن "قراءة جديدة لهذا الكتاب وكتب أخرى قديمة"². فإذا ما تيسر لنا النهوض بهذا الجهد المعترف فإننا سنكون حينئذ قد ظفرنا بأحد أهم انجازات اللغويين العرب في مجال الدراسة العلمية للسان العربي وهو النظرية العربية في علوم اللسان أو علم العربية كما اصطالحوا عليه³.

*الامبريقية (Empiricism) يقصد بها البحث التجريبي البحث الذي لا يتوخى التعليل بحال من الأحوال، ولا يفترض أي افتراضات تهدف إلى فهم الظاهرة أو تفسير العلل العميقة لوجودها، وكل اعتماده على الخبرة الحسية فقط لا غير. عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" ج1، ص: 192.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، موفم للنشر، "منشورات الجمع الجزائري للغة العربية" وحدة الرغبة الجزائرية، دط، 2007م، ص: 24.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" ج2، ص: 81. بحث بعنوان: دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية قدم في الندوة الأولى لاتحاد الجامع اللغوية العربية، عمان، 2003.

³ - علم العربية (Ihm - Arabiyya) عند اللغويين العرب الأوائل (الجيل الثالث من القراء والجيل الأول من النحاة) هو البحث العلمي الدقيق (Minutieuse) القائم على الاستقراء في عين المكان (Observation systématique surleterrain)

وسيكون من المشاريع العلمية المفيدة والنافعة التي تقدمها الجمهور الباحثين والمختصين في علوم اللسان عموماً، ولمهتمين بالنحو العربي واللسانيات العربية بوجه خاص.

تعد النظرية الخليلية الحديثة* فرعاً عن النظريات العلمية التي تختص في دراسة اللسان العربي وقضاياها سواء في الجانب النظري البحث أو في الجانب التطبيقي وبناء على ذلك تصنف في ميدان اللسانيات الخاصة التي تركز في دراستها على لسان واحد من الألسنة العالمية، وفيما يلي مخطط يوضح موقع النظرية الخليلية من الدراسات العلمية للسان البشري:

وهي مدرسة أصيلة تعتمد على الفكر اللغوي العربي بدون تعصب ولا تبعية¹ استفادت من اللسانيات بما يمكنها من فهم خبايا النحو العربي الأصيل الذي لا يزال مجهولاً في كثير من جوانبه ومفاهيمه، كما يذهب الحاج صالح، وسميت بالخليلية، لأن الخليل هو عمدة النحاة، حيث يقول الحاج صالح: "أما فيما يخص النظرية الخليلية، وسميناها هكذا على التغليب، لأن الخليل رحمه الله كان هو العماد فيها، إلا أنه قد أخذ الكثير عن شيوخه، ثم إن سيبويه لم يكن من المقلدين أبدال أثرى هذه النظرية، وهو ومن جاء بعده كالأحفش والمازني، ولا سيما مدرسة ابن الستراج مثل: أبي علي الفارسي والتهماني والسيرافي، والزجاجي، ثم ابن جني، وبعدهم بكثير الرضي الاسترابادي"².

الأكبر عدد ممكن من الظواهر اللغوية ثم استنباط القوانين الجامعة التي ينتظم فيها هذا الكلام. عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان بحث بعنوان اللسانيات والصوتيات 1987م، ص 65.

* - وصفت بالحديثة لأنها تمثل اجتهاداً علمياً تقويمياً صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه خاصة، وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه إلى غاية القرن الرابع كالشروح التي اقيمت حول هذا الكتاب ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: "النظرية الخليلية الحديثة" - مفاهيمها الأساسية - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، دار هومة، الجزائر، العدد الرابع، 2007م، ص: 05 (مقدمة).

1- التواتي بن التواتي، "المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص: 80.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "حوليات جامعة الجزائر"، ديوان المطبوعات الجامعية العدد: 6، ج1، 1991م، 1992م، ص 40، وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 23-24.

ويرجع تاريخ تأسيس المدرسة إلى حوالي خمسين سنة تقريباً، تهدف أساساً إلى إعادة قراءة التراث النحوي العربي بمنظور علمي متفتح يعيد عن التعسف والاعتباط، دون التسليم المطلق لا بقدسية اللسانيات الغربية ولا بقدسية التراث النحوي¹.

وبناء على ذلك استطاع الحاج صالح بتأسيسه نظرية جديدة هي امتداد لنظريات النحور العربي الأصيلة (النظرية الخليلية القديمة)، إذ تفرد بها على الساحة اللغوية العربية، فعدت معلماً بارزاً له، إذ إنَّها نظرية على نظرية تم عرضها لأول مرة عام: 1979م².

فهي في واقع الأمر نظرية ثانية (حديثة) بنيت على نظرية أولى (قديمة) إذ حاول الحاج صالح "منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن يجلِّ ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة ولاسيما ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمون إلى المدرسة الخليلية. وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية"³.

وتعدّ النظرية الخليلية الحديثة امتداداً مختاراً من الآراء والنظريات التي أثبتتها النحاة العرب الأوائل، فهي في الواقع نظرية ثانية؛ لأنها في الوقت نفسه تنظيم وبحث في الأسس للنظرية الخليلية الأولى⁴.

فضلاً عن أنها قراءة جديدة للتراث وإعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية وموازنتها بما توصل اليه البحث اللساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية⁵.

إنّ النظرية الخليلية - في نظر الحاج صالح - تتبوأ مكاناً وسطاً بين توجهين أحدهما يتجاهل تماماً ما تقدمه اللسانيات الحديثة من رؤى مهمة في فهم النظرية اللغوية، والآخر: يتجاهل التراث على الرغم

¹ - ينظر: خولة طالب الابراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 135. وينظر: محمد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية"، ص: 03.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربي"، ج1، ص: 210.

³ - عبد الرحمن صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربي، الجزائر العدد الرابع، 2007م، ص: 16-17.

⁴ - ينظر: خولة طالب الابراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 139-142.

⁵ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 81.

من معرفته به فضل عن جعل التراث كله واحداً، وبعض أصحاب هذا التوجه مقتنعون اقتناعاً تاماً أنه قد تجاوز زمانه أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيات الغربية¹.

أما الاتجاه الذي سلكه عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة هو التأصيلي فضلاً عن التوافقي². إذ ينتهج أصحاب هذا الاتجاه في سعيهم للتأصيل بين جوانب من النظرية اللغوية العربية، وجوانب من مناهج النظر اللغوي الحديث³.

وقد انطلق الحاج صالح في تجربته اللسانية من خلال النظرية الخليلية الحديثة وهي نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا العلماء القدماء⁴، ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس في ضوء النظريات الحديثة فقط، وإنما بدراسة استمولوجية (معرفية) دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم وطرق تحليلهم من دون إسقاط أي تصور آخر للنحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها⁵. وتنطلق هذه النظرية في قراءتها للتراث وتأصيل أفكارها من منطلقين أساسيين هما⁶:

- 1- لا يفسر التراث إلا التراث: فكتاب (سيبويه) لا يفسره إلا كتاب (سيبويه) ومن الخطأ أن نسقط على التراث مفاهيم وتصورات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.
- 2- أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة واللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع فهناك تراث وتراث⁷.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 227.

² - حسن خميس الملخ، "نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والحديث"، ص: 141.

³ - حسن خميس الملخ، "نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والحديث"، ص: 141-142.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية - ص: 15 (مقدمة الكتاب) وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 81.

⁵ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 81.

⁶ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 168-169.

⁷ - محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة"، قسم اللغة وآدابها، جامعة عنابة، ص: 03.

فالتراث الذي قصده النظرية الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللغوي الأصيل الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمن الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شهدها تاريخ العلوم الإنسانية¹.

وأما الذين جاؤوا بعدهم فكانوا عالة عليهم، إذ ضيقوا حدود النحو الواسعة واستبدلوا مفاهيم القدماء الأجرائية النشطة بمفاهيم أخرى تأملية، مع بقاء الألفاظ نفسها التي تدلّ عليها في الغالب².

ومما لا يخفى أن المتتبع للنظرية الخليلية الحديثة يرى أن خلفها الكثير من الأهداف العلمية، لعل أبرزها ما ذكره عبد الرحمن الحاج صالح من "أنه لا بدّ من الرجوع إلى التراث العلمي العربي الأصيل... والنظر في ما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلّما توصل إلى مثلها كل ما جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان.

ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب³. فهي تعكس الفكر الخليلي المبدع الخلاق في أسسه ومبادئه النظرية ومفاهيمه وإجراءاته التطبيقية⁴.

وبذلك تؤكد النظرية الحديثة الفكر العربي الأصيل وموازينها مع المناهج اللسانية المعاصرة، فهي تسعى لبناء مقومات عدة تتمثل في: تحليلي اللغة ونظامها آليا وهي تقوم على إحياء المبادئ التي وضعها النحو الخليلي...⁵

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 169.

2- عبد الرحمن صالح، الأسس العلمية التطوير تدرّيس اللّغة العربيّة"، جامعة الجزائر، ص: 71، وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 170.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 169.

4- بشير ابرير، "أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة"، مجلة العلوم انسانية، جامعة محمد خيذر بسكرة، العدد السابع، 2005، ص: 13.

5- شفيقة العلوي، "العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والترايط العملي لنعوم تشوسكي، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007، ص: 03.

إذ إن هذه الجوانب هي الأسس العلمية التي شكّلت لنا أركان هذه النظرية وقدمتها بعرض لغوي جيد ينم عن الإبداع والفكر اللغوي المتطور.

فقد سعى عبد الرحمن الحاج صالح منذ ظهور النظرية الخليلية إلى بعث الجديد عبر إحياء المكتسب فتجاوزت مرحلة الإقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب¹. ويمكننا تقسيم القراءات التراثية. باعتبار هدفها المنشور على ثلاث قراءات أساسية. يلخصها مصطفى غلفان في²:

- قراءة تفاعلية، تحاول تأسيس مكانة الفكر اللغوي في إطار الفكر اللغوي العام.

- قراءة تمجيدية تنوه بالتراث اللغوي العربي وتضعه فوق اللسانيات الحديثة .

3-قراءة اصطلاحية هدفها تخلص النحو العربي من كل ما تعلق به من شوائب كالتجريد والتعليل والحذف والعامل والتقدير ...

وبالعودة إلى تجربة عبد الرحمن الحاج صالح، فإنه يمكننا تصنيف تجربته في النظرية الخليلية الحديثة من ضمن القراءة التفاعلية التي تسعى إلى الإثارة من المزوجة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، إذ تقوم بتحديث الفكر اللغوي العربي والنهوض به إلى واجهة اهتماماتنا اللغوية، أما من ناحية الاهتمامات اللسانية فإننا نعني الفكر اللغوي عامة من خلال مده بروافد عربية فضلا عن تعميق تفهمنا اللسانيات عبرت تحليل المسائل اللغوية في التراث اللغوي العربي، كما تؤمن بعدا تراثيا للسانيات العربية تهتم بقضايا لغتنا العربية وتحلل مسائلها³.

فضلا عن هذا يذكر عبد الرحمن الحاج صالح أهم المزايا التي امتازت بها هذه النظرية وهي⁴:

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص:228.

2- ينظر: مصطفى غلفان، "اللسانيات العربية الحديثة" دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1998م، ص: 137-138.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 44.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، دار راجعي للنشر، منشورات الجمع الجزائري للغة العربية 2010، ص: 108-111. وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ص: 24.

1. الموضوعية العلمية: فهي تعتمد على المشاهدة، وهي بذلك علم محض وليست مجموعة اختيارات تعسفية تفرض معيارا لغويا معينا، وتهدر المعايير الأخرى.

2. التمييز بين ما هو راجع إلى التغيير الزمني، أي التاريخ عبر الزمان، وبين ما هو آني خاص بالنظر الباطني للغة¹.

3. اللجوء إلى الصياغة المنطقية الرياضية وهذا من أهم ما تمتاز به العلوم الإنسانية عن غيرها كالآداب والفلسفة².

وتجدر الإشارة إلى أنه نبه الباحثين - في العصر الحديث بعد ما جعل اللسانيات الغربية الحديثة مقياسا مطلقا يجب اتباعه والاحتذاء به ولا يجوز الخروج عنه إذ أن هذه اللسانيات لم تبلغ من الرقي ما بلغته العلوم الفيزيائية والبيولوجية وغيرها، يقول: "أما العلوم الإنسانية - وخاصة اللسانيات - فلم تبلغ بعد هذا التبيان بحيث يصعب على الباحث العربي وغير العربي إن يدحض بعض مبادئها الأساسية ويأتي بالبديل...³.

اللسانيات (الدراسة العلمية للسان)

اللسانيات الخاصة (النظريات والتطبيقات التي تتناول واحداً من الألسنة البشرية على التعيين)

اللسانيات العامة (النظريات والتطبيقات التي تتناول كل الألسنة البشرية)

دراسات في اللسانيات العربية

² - عبد الرحمن الحاج صالح: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 88.

³ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "حوليات جامعة الجزائر" ديوان المطبوعات الجامعية، العدد 06، 1991-1992، ص: 13-34.

اللسانيات العربية (النظريات والتطبيقات الخاصة باللسان)

2- النسبة إلى الخليل:

تعرف النظرية الخليلية الحديثة نفسها للأوساط العلمية العربية والدولية بالانتساب إلى أحد الأعلام العرب الذين أسسوا دعائم البحث العلمي في ميدان اللسان العربي ألا وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي^{1*}. فهو من رجال الرعيل الأول من اللغويين العرب الذين تميزت جهودهم وأفكارهم

*- نورد فيما يلي ترجمة موجزة لإمام اللغويين العرب: الخليل بن أحمد الفراهيدي، هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن مالك بن فهم المعروف بالفراهيدي نسبة إلى جده الأعلى الفراهيد بن مالك، ولد في منطقة الأزد من عمان سنة 100 هـ وتوفي 175 هـ ثم وفد البصرة صغيراً وجد في الطلب على علمائها وسرعان ما انتبه الناس إلى مستواه العجيب من الفطنة والذكاء، واشتهر بهذه الصفة حتى قال عنه المؤرخون الأوائل نقلاً عن جمهور علماء: (أدكى العرب بعد الصحابة الخليل بن أحمد الفراهيدي. ومن مآثره وإنجازاته أنه اخترع شكل الكتابة العربية بديل عن نقط أبي الأسود الدؤلي واكتشف مفتاح الصرف العربي (فعل) ومفتاح التراكيب النحوية العربية الذي هو مفهوم العامل ومعمولاته. وألف أول معجم عربي يصنف على مخارج الحروف وبوبه بمنهجية فريدة من

بالأصالة التامة، كما تقررها النظرية الخليلية، ومعنى ذلك أن الخليل وطبقته لم يقلدوا أحدا من الأمم المجاورة فيما عندهم، بل جاءوا بشيء جديد على غير مثال سابق، وكان هذا الجيل سباقا وخلقا في الوقت نفسه.

إن النسبة إلى الخليل ليست جديدة، وأول تنظيم علمي اقترح هذه النسبة هو الحلقة اللغوية المعروفة بـ (المدرسة الخليلية) وهي أول تنظيم لغوي عربي حديث يأخذ صبغة النزعة العلمية، أو المدرسة ذات المبادئ والأهداف المستقلة كما هو الشأن في المدارس الغربية، وقد عرفها أحد أهم أعضائها بقوله: " فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناها الحديث [تكون مع مرور الزمان] يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما ولكن بعد التمهيد لما تركوه من الأقوال والتحليلات أي: بعد التحليل النقدي الموضوعي " ² فهذه المدرسة هي امتداد منتقى ومتخير لآراء اللغويين العرب وخاصة الخليل بن أحمد ومدرسته ³.

الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح فيما أطلق عليه: النظرية الخليلية الحديثة (NKT)، وهي نظرية علمية عربية تقترح مشروعاً متكاملًا لدراسة اللسان العربي وقضاياها بحيث تستمد جميع الأصول والمفاهيم والمناهج التحليلية من أعمال النحاة العرب القدمين .

من المهم أن نشير أن النسبة إلى الخليل هي نسبة على وجه التغليب، وإنما الحكمة منها تحصيل التشريف والتعريف؛ فالخليل بن أحمد شخصية عربية لامعة يزداد بها شرفا وفخرا كل من ينتسب إليه كما أنه شخصية معروفة وذائعة الصيت، حتى أن أختير من طرف المنظمة العالمية للتربية

نوعها بناها على مفهوم التقليليات أو العاملي (Factoriel) كما تعرف في الرياضيات الحديثة... ينظر ترجمة الخليل في المصادر التالية: "أخبار النحويين النصريين ص38، معجم الأدباء ج11، ص: 172، بغية الوعاة ج1، ص 577، مجلة اللسان واللسانيات، ص: 168.

- 1- ينظر: خولة طالب الابراهيمى، "مبادئ في اللسانيات"، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص: 135.
- 2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 208 من بحث بعنوان: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي الرباط، 1987م، خولة طالب الابراهيمى "مبادئ في اللسانيات"، ص: 136.
- 3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية-، ص: 17.

والثقافة والعلوم (اليونيسكو) باعتباره الشخصية العلمية لعام 2006م، وقد أقيم في العاصمة الأردنية (عمان) مؤتمر علمي حافل لإحياء ذكرى الخليل، والاحتفاء بهذا التكريم المستحق¹.

ومعنى أن النسبة إلى الخليل إنما هي على وجه التغليب، أن الخليل من أحمد ليس هو الرجل الوحيد الذي تهتم النظرية الخليلية بأعماله، بل هناك رجال كثير منهم من عاصر الخليل ومنهم من لم يعاصره ولكنه دافع عن مجمل آرائه يقول الأستاذ الحاج صالح حول هذه التسمية: "فيما يخص النظرية الخليلية سميت هكذا بالتغليب لأن الخليل رحمه الله وإن كان هو العماد فيها إلا أنه قد أخذ كثيرًا عن شيوخه، ثم إن سيبويه لم يكن من المقلدين أبدًا"².

وفيما يلي نذكر أهم الرجال الذين ينتمون إلى المدرسة الخليلية القديمة وتعددهم النظرة الخليلية أصلاً في أبحاثها وتحليلاتها.

أما الرجال الذين عاصروا الخليل وكانوا في زمانه فهم أساتذته وزملاءه في المقام الأول ومنهم: أبو عمرو بن العلاء القارئ (70هـ-154هـ). وفي المقام الثاني تلاميذ الخليل، وهم الفريق العلمي الممتاز الذي أشرف الخليل بنفسه على تدريبيه وهم الشباب العلماء الذين وفقهم الله لإحياء علم العربية وعلم الخليل، وقد حفظت لنا الرويات أسماء ستة منهم وهم: أبو بشر سيبويه - وهو أشهر الاعلام بعد الخليل - (ت180هـ)، والنضر بن شميل (ت203هـ) وأبو الحسن علي بن نصر الجهضمي (ت187هـ) ومؤرج بن عمر السدوسي (ت195هـ)، وعيينه بن عبد الرحمن المهلي

¹ - نظمت ندوة دولية من طرف وحدة الدراسات العمانية في جامعة آل البيت بالتعاون مع سفارة سلطنة عمان في المملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ: 27-29 جمادى 1327هـ/ 23. 25 تموز (جويلية) 2006م بعنوان: ندوة الخليل بن أحمد الفراهيدي.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 20 من بحث بعنوان: الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، المملكة السعودية، 1987م.

وولادوهو الوليد بن محمد المصادري (ت263هـ)¹، قال أبو إسحاق الزجاج: "سمعت نصرا يحكي عن أبيه قال: قال لي سيبويه حين أراد أن يضع كتابه: "تعال حتى نتعاون على إحياء علم الخليل"².

وفي المقام الثالث أولئك الرجال الذين دافعوا عن علم الخليل وميزاته بلغة العلم ومناهجه وهم الذين عرفوا فيما بعد بالمدرسة البصرية ومنهم: المبرد (ت210هـ) والأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) (ت215هـ) والجرمي (ت225هـ)، وأبو عثمان المازني (ت249هـ) وأبو سعيد السرافي (ت368هـ).³

وفي المقام الرابع مجموعة من العلماء الراسخين الذين تأخروا عن الخليل في الزمان لكنهم فهموا كلامه حق الفهم، وأشربوا علم العربية وصناعة النحو على أصولها، فأولهم أبو بكر ابن السراج (ت316هـ) ومدرسته بما في ذلك ابن كيسان والفراسي (ت377هـ) وابن جني (ت392هـ)، والرماني (ت384هـ) ثم رجال متفرقون قلائل أبرزهم على الإطلاق رضي الدين الإستراباذي (ت686هـ)، ورائد المدرسة الأندلسية الإمام السهيلي (ت581هـ).

3- التأسيس العلمي للنظرية الخليلية الحديثة:

في عام 1979م ناقش الباحث اللغوي الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح⁴ أطروحة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في علوم اللسان من جامعة السربون العريقة في العاصمة الفرنسية باريس.

¹ - ينظر: فخر الدين قباوة، مسائل الخلاف بين الخليل وسيبويه، دار الأمل، الأردن، ط1، 1990م/ ص: 20-21.

² - سيبويه، "الكتاب"، تج: عبد السلام هارون، مقدمة التحقيق، ص: 8.

³ - أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) هو من اتباع مدرسة ابن السراج أو ما يعرف بالمدرسة البغدادية ولكنه انفرد بعمل عظيم وضخم ألا وهو شرحه الكبير لكتاب سيبويه حيث إنه موسوعة متكاملة ومن العجيب حقاً أن يتمكن عالم واحد من إنجاز مثل ذلك العمل المنظم الدقيق وتحريه لقد تم تحقيق هذا المصدر العلمي النفيس مؤخراً، وقد التزم السيرافي في شرحه متابعة الخليل وسيبويه شبراً بشبر وذراع بذراع، وأهم من ذلك أنه تمكن بالفعل (رغم تأخره النسبي في الزمان) من أن يشرح أعمق وأدت المفاهيم التي ذكرها سيبويه في كتابه وخاصة تلك التي تظهر فيها بصمة الخليل.

⁴ - هذا الباحث هو صاحب فكرة النظرية الخليلية الحديثة العالم اللغوي الجزائري الكبير: عبد الرحمن الهواري الحاج صالح، ولد في وهران عام 1927م في زمان صعب جداً وعصيب، حيث عاش أسوأ فترات الاستعمار الفرنسي، ورأى بعينه وسمع بأذنيه كم كان هجومه على العربية لكل ما يمت لها ولثقافتها بصلة عنيفا ووحشياً.

كان عنوان الرسالة (علم اللسان العربي وعلم اللسان العام. دراسة تحليلية لنظرية المعرفة العلمية عند الخليل وأتباعه)¹ وهو عنوان جذاب وغير مألوف بالنسبة لجمهور علماء اللسان في أوروبا والولايات المتحدة، ولكن الباحث الذي طرحه معروف عندهم لأنه كون سمعة طيبة من خلال أبحاثه ودراساته الجادة التي ساهم بها في الملتقيات العلمية لعلوم اللسان ونشرت في المجلات المحكمة الفرنسية والألمانية والأمريكية².

وكانت النتيجة أن جلب هذا الموضوع جمهوراً كبيراً، وفتح نقاشاً واسعاً، وقدم أفضل خدمة للبحث العلمي في اللسانيات العربية وهو تعريف العالم بهذا الميدان الخاص من الدراسة والكشف عن أصوله المعرفية والمنهجية، والتدقيق التاريخي الأمين فيما يخص رواده ومكتشفيه الحقيقيين.

أتقن اللغة العربية منذ نعومة أظفاره، وأتقن الفرنسية أيضاً بما اتقان، وانخرط منذ فترة جد مبكرة (حوالي 15 من عمره) في النضال السياسي والجهاد المسلح التي كانت تبشر له جبهة التحرير الوطني وفي غرة شبابه سافر إلى مصر وانتسب إلى الأزهر الشريف وهناك كان اتصاله الأول بعلم العربية وكتاب سيويه، وتكونت بينه وبين الخليل بن أحمد علاقة عجيبة من الإكبار والانبهار تحولت إلى ندية وتنافس شريف، ولقد اجتهد بكل ما أوتي من عزيمة وصبر لينجز في علم العربية شيئاً ينسج فيه على منوال الخليل وقد وفقه الله لذلك.

طوال خمسين سنة خلت لم يتوقف هنيئة عن الجد والكد فألّف عشرات الدراسات والأبحاث (أكثر من سبعين دراسة محكمة) منشورة في أكبر الجامعات العالمية) وأنجز مجموعة من المداخل في التعريف باللسانيات وعلومها بلغت الغاية في الدقة، وألّف خمسة كتب مشهورة (السمع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، بحوث ودراسات في علوم اللسان، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية علم اللسان العربي وعلم اللسان العام، منطق العرب في علوم اللسان).

من أعظم أفكاره وإنجازاته مشروع الأنترنيت العربي الذي بذل لبلوغه من وقته وجهده الكثير، عينه الرئيس: عبد العزيز بوتفليقة رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربي سنة 2000م وهو عضو بكل الجامعات العربية العريقة: القاهرة، دمشق، بغداد، عمان ينظر: التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر، الجزائر، 2008م، ص: 80.

¹ - تحولت هذه الرسالة إلى كتاب في جزئين، وعنوانه بالفرنسية:

«Linguistique ARABE et linguistique générale – une Etude Méthodologique et Epistémologique le (Ilm–Arabiyya)».

لقد كانت تلك الرسالة أول لبنة في التأسيس العلمي للنظرية الخليلية الحديثة داخل الأوساط الأكاديمية الدولية، وكان مفيدا للمتخصصين في علوم اللسان أنها اختارت موضوع التأسيس المستقل للسانيات العربية طرحا معرفيا استقصائيا تطلب الكثير من الجهد في تمحيص النسب القائمة بين مناهج اللغويين العرب ومفاهيمهم مع ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة.

كان كثير من اللغويين العرب المحدثين قد تفتن بالفعل إلى خصوصية التراث الخليلي وتمكن بعض الذين خبروا مدونات النحو من تسجيل هذه القناعة، ومن شواهد ذلك إشارتهم إلى علو كعب الخليل في مهارات التجريد والتصميم، وهو ما يعرف في زماننا بالتفكير الرياضي كما أن كثيرا من خبراء التراث العربي اتفقوا على المنزلة الخاصة التي بلغها كتاب سيبويه وبعض شروحه المعتمدة يقول الباحث ومن أجل زيادة تعريف العالم بهذا المشروع فقد أعد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ملخصا. 3 عنه باللغة الإنجليزية وعنوانه:

(Arabic linguistics and general linguistics. A methodological and Epistemological study of « ILmal-Arabiyya »)

نشر في كتابه بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 139-145.

اللغويين الأوائل أمثال الخليل وسيبويه وابن جني ... حللوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جداً بالنسبة لعصورهم¹ ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ذهب بعض اللغويين المتخصصين في علوم اللسان الحديثة من العرب إلى التأكيد على وجوه قناعة علمية عند أكبر اللغويين الغربيين بمركزية التراث العربي الخليلي وأهميته البالغة لتقدم البحث العلمي في هذا الميدان يقول الباحث مازن الوعر مؤكدا هذا الموقف: "لو التفت الغرب ..."².

¹ - ميشال زكرياء، "الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ص: 15.

² - نشر الحوار في مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، المجلد 6 - 1984م، وفي مجلة التراث العربي، دمشق عدد 48 - السنة: 12 تموز - يوليو 1992م. 1413هـ وينظر: "مازن الوعر،" حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية "كمبرج-ماستشوستس 31 كانون الثاني 1980، ص: 79-80.

لكن هذه الأوصاف الحسنة، والمواقف المشجعة لم تكفل بالجهد الكافي للبرهنة عليها بواسطة البحث العلمي المنهجي، إلا أن الباحث الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح عكف على مدونات التراث النحوي العربي أو بشكل خاص كتاب سيبويه وأهم شروحه طوال أربعين سنة يطيل النظر ويدمن التدبر إلى أن تمكن من الإمساك بالخيوط الأساسية للنظرية الخليلية القديمة التي اشتملت عليها تلك المدونات.¹

وبذل جهدا متواصلًا لاستخلاص فحوى عباراتها وأصولها المنهجية ومفاهيمها الدقيقة وكان في الوقت نفسه يقارن بين هذه النظرية وما آل إليه البحث اللغوي بعد بقرون فخلص إلى نتيجة مهمة فحواها أن هناك مستويين مختلفين من الإنتاج العلمي اللغوي في التراث العربي الواحد يعبر الأستاذ الحاج صالح عن هذه الثنائية قائلاً: "هناك تراث وتراث... وما زلنا إلى يومنا هذا نحاول أن نقتنع الناس على ضرورة النظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها من جاء من قبلهم من علماء الهنود واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب"².

هذا التمييز الحاسم بين مسلكين مختلفين منهجياً وتقنياً في التراث اللغوي العربي الواحد هو أهم أصل تقوم عليه النظرية الخليلية الحديثة، وهو السبب العلمي العميق لانتسابها إلى الخليل من أحمد وطبقته؛ يسمى هذا الجزء الأول الأصيل بالتراث اللغوي العلمي³.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 81، بحث بعنوان: دور النظرية الخليلية في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية، قدم في الندوة الأولى لإتحاد الجامعات اللغوية العربية، عمان، 2003م.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 168-169. بحث بعنوان: الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، الجزائر، 1984م.

³ - التراث اللغوي العلمي العربي (The Arabic Scientific linguistic heritage).

المبحث الثاني : مصطلح الموضع عند الخليل وسيبويه

يكثّر في كلام النحاة الأولين مجيء مثل هذه العبارات "هذا موضع لا يدخله..."¹ و"موضعه موضع اسم منون"²، وفي موضع ابتداء"³، ولا يكاد فصل من فصول كتاب سيبويه يخلو من هذا اللفظ أو ما يشتق منه. وكذلك الأمر بالنسبة للفظ المثال وما يقوم مقام هذا المصطلح مثل الحدّ أو الباب. ويعتقد الكثير من المحدثين أن هذه الألفاظ إنّما معناها القاعدة النحوية ليس إلّا.

فهذه المصطلحات وإن كانت تحتل هذا المعنى إذا نظرنا إليها بمنظر معلّم العربية إلاّ أنّها تشمل على معان علمية دقيقة تتجاوز هذا التأويل المدرسي إلى أبعد حدّ كما سنراه.

فالكثير من النحو أو الأنحاء العربية - أي الضرب من الكلام⁴ - التي سمعت من أفواه فصحاء العرب ودونها اللغويون يعتمد النحويون في تفسيرها على مفهوم الموضع فما هو الموضع عندهم؟ وهل هو مجرد موضع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام أو شيء أكثر من ذلك تجريداً؟ وهل يوجد الآن في علوم اللسان الحديثة (اللسانيات) شيء يماثل هذا المفهوم العربي الهام أو يقاربه؟ ثم إذا كان في هذه العلوم الحديثة تصور قريب من هذا، ففي ماذا يلتقيان، وفي ماذا يختلفان؟ وسنحاول في الوقت نفسه أن نبين الأهمية العظيمة التي يكتسبها مفهوم الموضع في تفسير بنية اللغة.

1- سيبويه، "الكتاب"، طبعة بولاق، جزآن، 1314-1316هـ، ج1، ص 226.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 276.

3- المصدر نفسه، ج1، ص 354.

4- ومن ثم جاء لقب "النحويون" الذي يكثر مجيئه في كتاب سيبويه، وهو نسبة هؤلاء إلى ما كانوا يتدارسونه من "أنحاء الكلام"، والجدير بالملاحظة أنه لا يوجد في كتاب سيبويه لفظة "نحو" بمعنى علم النحو، ظهر لأول مرة عند تلميذه الأخفش في "معاني القرآن": "أهل النحو" (875/1)، مرة واحدة/ وعند معاصره الفراء في "معاني القرآن"، "قياس النحو" (1/ 161). فاختصر الأخفش عبارة "النحويين" ثم جاء الفراء وأضاف إليها كلمة القياس فصارت كلمة النحو تدلّ على العلم نفسه.

1- استعمال النحويين الأولين لهذا المصطلح ومحاولة اكتشاف أغراضهم منه:

- الموضوع كـمقياس لمعرفة جنس العنصر اللغوي وحكمه.

أ- الموضوع في مستوى التركيب:

جاء في كتاب سيويوه: "ويبين أنها ليست بأسماء لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك، ألا ترى أنك لو قلت: إن يضرب يأتينا لم يكن كلاماً"¹.

ويقول المبرد في هذا المعنى: "فمن ذلك الأسماء كم وأين وكيف وما ومتى وهذا وهؤلاء وجميع المبهمات ومنها الذي والتي ومنها حيث، وأعلم أن الدليل على ما ذكرناه أسماء وقوعها في مواضع الأسماء وتأديتها ما تؤديه سائر الأسماء"².

وجاء في الكتاب: "ولو كانت صفة لم يجز أن يدخل عليها اللام لأنك لا تدخلها في ذا الموضوع على الصفة"³.

وأيضاً "وليس (المفعول له) في موضع ابتداء ولا موضعاً بيني على مبتدأ"⁴.
و"لكنه موضع لا تدخله الألف واللام"⁵.

مما يدخل عليها وبين الاسم مع الزوائد والداخلة عليه أطلقنا على هذا الأخير مصطلحاً استعمله الرضي وابن يعيش وهو اللفظة⁶ (الاسمية أو الفعلية).

1- سيويوه، "الكتاب"، ج1، ص3.

2- المبرد، "المقتضب"، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1415-1994، ج3، ص172.

3- سيويوه، "الكتاب"، ج1، ص375.

4- المصدر نفسه، ج1، ص186.

5- المصدر نفسه، ج1، ص224.

6- وهذا مستوى بين الأفراد (الكلم) وبين التركيب.

ب- الموضع في مستوى الكلم:

إن الكلمة¹ هي كل ما يمكن أن يدخل في إحدى المواضع الخاصة باللفظة أو المواضع الخاصة بالوحدات التركيبية (المكونات البنوية للجملة المفيدة)². فالكلمة التي يمكن أن تحلل إلى مكونات أصلية وزوائد (المادة الأصلية) هي الاسم المفرد المعرب والفعل المتصرف.

ومن المعروف أن الكلمة المفردة المتصرفة تنحل إلى مادة أصلية ومثال أو وزن. لكل واحد من هذين المكونين مواضع. فالأصل التقديري يتكون من ثلاثة وأربعة أحرف مرتبة ترتيباً معيناً مثل الكاف والتاء الباء في "كتب" و"كتاب" و"كاتب" و"مكتب" فلكل حرف موضع هو رتبته. وأما مثال الكلمة وهو كما حدده الرضي (بدقة عجيبة جداً: "عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه"³.

ففيه مواضع الفاء والعين واللام (في الثلاثي) وهي متغيرات، ومواضع الزوائد وهي الثوابت بالنسبة للوزن، وههنا أيضاً يعتبر الموضع اعتبارياً، وذلك لأن موضع الفاء أو العين أو اللام مثلاً قد يكون خالياً، وذلك مثل "ف" في صيغة الأمر من "وفي" فموضع الفاء وموضع اللام خاليان.

والفرق بين هذا المستوى وما فوقه من المستويات هو أن الخلو هنا هو قسري واضطراري وهو لعارض صوتي، أما مستوى اللفظة وما فوقها فهو من محض اختيار المتكلم (بحسب غرضه ومقتضى الحال) ثم هناك فرقا آخر بين مستوى التراكيب وما تحته وهو أن العناصر الداخلة في اللفظة والداخلة

¹ - قد تكون الكلمة مورفيماً أي وحدة دالة، وقد تكون أكثر من مورفيم.

² - الفرق بين الأولى والثانية أن مواضع الجملة المفيدة وهي موضع العامل وموضع المعمول الأول وموضع المعمول الثاني ومواضع المخصصات الزائدة قد يدخل فيها خلافاً لمواضع اللفظة - الاسم المفرد وحدة أو بزوائده أو الفعل مع فاعله وحدة أو بزوائده (اللفظة الاسمية أو الفعلية) وحتى التراكيب (جمل تقع في موضع المفرد).

³ - الاسترأبادي (رضي الدين)، "شرح الشافية، القاهرة، 3 أجزاء، 1939، ج1، ص02.

في الكلمة لا يمكن أن يحصل فيها تقدير أو تأخير، أما المستوى الأعلى فيمكن ذلك في بعض الأوضاع لكن بشروط معينة¹.

إن الموضوع في كل هذه المستويات هو كما قلنا عبارة عن موقع اعتباري تدخل فيه مجموعة من العناصر تختص به في الأصل، ونضيف شيئاً مهماً هنا يخص كيفية اكتشاف المواضع أو استنباط البنى أو المثل عند النحاة الأولين وهو كالتالي: (لا ننسى أن الخليل كان من أبرز الرياضيين): يتولد الموضوع (بهذا المعنى) عن عمليتين اثنتين:

(1) بحمل عبارة على عبارة أخرى من جنسها لبيان تكافئها (على المحور التركيبي) إن كان هناك تكافؤ.

(2) بمقارنة ترتيب عناصر كل عبارة لاكتشاف الترتيب المشترك بينهما (على المحور التصريفي الاستبدالي)².

والتركيب بين هاتين العمليتين - هو القياس التمثيلي العربي - ينتج منه المثل أو البنية المجردة التي تجمع بين هذه العبارات من حيث بنيتها ليس إلا. وهذا هو الجامع الذي به يتعادل الحكم.

ج- **الموضع في مستوى الخطاب:** (وله علاقة بحكم الكلام من استفهام خبر وأمر ونهي وشرط وغير ذلك).

ويستعمل النحاة العرب الموضع في هذا المستوى كلما أضافوه إلى الكلام بحرف "من" وموضعها من الكلام (كلهم) أن يعم بعضها ويؤكد بعضها بعدما يذكر الاسم³ أي موضعها بالنسبة إلى معاني الخطاب.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 15.

² - المرجع نفسه، ج2، ص15.

³ - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 274.

و"أعلم" أن لكل موضعين: أحدهما الاستفهام... والموضع الآخر الخبر*¹.

ويقول المبرد: "وإنما تنظر في هذه المصادر إلى معانيها فإن كان الموضع بعدها أمراً أو دعاء لم يكن إلاّ نصباً"²

ويقول الرماني: "لأن التحذير مما يخاف منه وقوع المخوف فهو موضع إعجال لا يحتمل تطويل الكلام"³.

ومن كل ما سبق نستنتج أن المثال عند النحاة العرب هو مجموعة من الموضع الاعتبارية مرتبة ترتيباً معيناً يدخل في بعضها، وقد تخلو منها، العناصر الأصلية وفي بعضها الآخر الزائدة. ولا ينحصر المثال في مستوى الكلم (الأوزان) بل يوجد في كل مستويات اللّغة بما فيها التراكيب وما فوقها.

فمثال التركيب في الجملة المفيدة يتكون من: موضع العامل (ع) يدخل فيه الابتداء والنواسخ والفعل غير الناسخ، وموضع المعمول الأول (م1) ويدخل فيه المبتدأ والفاعل (أو ما يقوم مقامهما)، وموضع المعمول الثاني (م2) ويدخل فيه الخبر والمفعول. (أو ما يقوم مقامهما): وهي النواة. وتلحق بهذه النواة مواضع للعناصر بالصيغة الآتية:

$$[ع ← (م1 ± 2م ± خ)]$$

*- الخبر هنا يقابل الإنشاء لا المبتدأ (الإنشاء كلمة أحدثت كمصطلح بعد سيبويه).. ويقابل الخبر بهذا المعنى عند سيبويه كل ما ليس بواجب كما يقول، إلاّ النفي.

¹- المصدر نفسه، ج1، ص291.

²- المبرد، "المقتضب"، ج3، ص: 221.

³- السيوطي (جلال الدين)، "الأشباه والنظائر"، ط حيدر اباد، 1359، ج1، ص: 298.

والمثال اللفظة قد مضى تمثيله، وهناك مثال واحد للإسم وثلاثة مثل للفعل، أما مثل الكلم أو أوزانها وأبنيتهما (الإسم المفرد والفعل المفرد) فقال النحاة بأنها تبلغ ألفاً وثلاثمائة مثال، وقد أحصى منها سيبويه ثلاثمائة قريباً وهي أشهرها¹.

1- أقائم أخواك "كمثال لا يمكن أن تفسر بنيته إلاّ الاعتماد على مفهوم الموضع:

أ- ما قاله الخليل وسيبويه:

جاء في الكتاب: وزعم الخليل رحمه الله أنه يستقبح أن يقول: "قائم زيدا" وذلك إذا لم تجعل قائماً مقدماً مبنياً على المبتدأ... فإن لم يريدوا هذا المعنى وأرادوا أن يجعلوه فعلاً كقوله: يقوم زيد وقام زيد قبح لأنه اسم. وإنما حسن عندهم أن يجري مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف أو جرى على اسم قد عمل فيه كما أنه لا يكون مفعولاً في "ضارب" حتى يكون محمولاً على غيره فيقول: "هذا ضارب زيدا"... ولا يكون "ضارب زيدا" على "ضربت زيدا". فكما لم يجوز هذا، كذلك استقبحوا أن يجري مجرى الفعل المبتدأ².

ذكر سيبويه المواضع التي يحسن مجيء الصفة العاملة عمل الفعل فيها إلاّ موضعاً واحداً وهو أهمها: أي موضع الفعل وذلك عند كلامه في مواضع الاسم التي يمكن أن يقع فيها الفعل وخاصة المضارع ليبين علة رفعه، فقال: "واعلم أنها إذا كانت في موضع رفع اسم مبتدأ فقولك: "يقول زيد ذاك"... ومن ذلك أيضاً "هلا يقول زيد ذاك" فيقول في موضع ابتداء³.

في هذا الكلام شيء من الغموض وذلك بسبب استعمال سيبويه لعبارة "موضع مبتدأ" فنتج عن ذلك أن التبس الأمر على كل من جاء بعده، فاعتقدوا أن سيبويه أراد بهذا الموضع الاسم الذي يعمل فيه الابتداء.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16-17.

² - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 278.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص: 409-410.

ب- ما قاله الأخفش وابن السراج:

يقول ابن السراج: "وحسن عندهم: "أقائم أبواك وأخارج أخواك تشبيها بهذا إذا اعتمد قائم على شيء قبله... فإذا قلت: "أقائم أبواك، فقائم مرتفع بالابتداء وأبواك رفع بفاعلها وهما قد مسد مسد الخبر"¹.

وتبعه أصحابه في ذلك بالحرف مثل أبي علي الفارسي² والرماني³ وكذلك كل من جاء بعده.

فمن أين لهم هذا التفسير؟ والإجابة عن هذا السؤال توجد في كتاب الأصول، لابن السراج، فقد ذكر أقوال الأخفش تلميذ سيبويه في هذا النحو بالذات. قال: "قال الأخفش: "قول: "إن في الدار جالسها أخواك" فانتصب جالسا بأن و ارفع الأخوين بفاعلها واستغنى بهما عن خير إن، كما أقول: "أذهب أخواك" فارفع أذهب بالابتداء وأخواك بفاعلها واستغنى بهما عن خبر الابتداء لأن خبر الابتداء جيء به ليتم الكلام... وتقول: "إن فيها قائما أخواك"، إن شئت "قائمين أخواك" فتنصب أخوايك بأن وقائمين على الحال وفيها خبر إن وهو خبر مقدم"⁴.

وعلى هذا فعبارة "كتاب" تقتضي كاسم كامل الاسمية عددا من المواضع يكون كل واحد منها موضعا خاصا لإحدى الزوائد التي تدخل على الاسم في تصور الخليل وسيبويه أي كبنية أو مثال فالاسم كبنية له ستة مواضع يمكن أن تخلو مما تدخل فيها إلا الموضع المركزي وهو "الاسم المفرد" كما يقول سيبويه وكل عبارة تكون من هذه النواة مع زيادة خاصة فهي بمنزلة اسم مفرد أو اسم واحد⁵. (الاسم المفرد وما بمنزله).

1- ابن السراج، "الأصول في النحو"، مخطوطة المكتبة العامة، الرباط، رقم 326، ج1، ص: 32-33.

2- أبو علي الفارسي "الايضاح"، تحقيق: الشادلي فرهودي، القاهرة، 1989، ج1، ص: 34-35.

3- الرماني، "شرح كتاب سيبويه"، معهد المخطوطات رقم 88، ج2، ص: 136.

4- ابن السراج، "الأصول في النحو"، ج1، ص: 286.

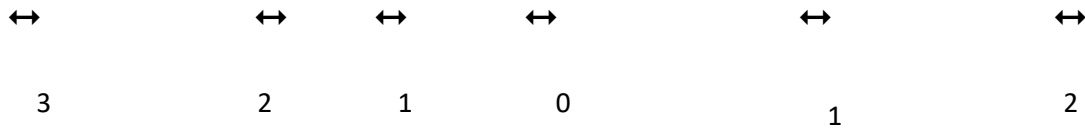
5- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 228-229.

وكل هذه الدواخل يقول عنها النحاة أنها من تمام الاسم¹.

"كتاب" هو بمنزلة "الكتاب" لأنه يأتي في موضعه في مستوى الجملة، وبمنزلة "كتاب زيد"، و"الكتاب الذي قرأته أمس"، وبمنزلة "الكتاب" فهناك موضع تقديري بين الباء وكتاب هو موضع الألف واللام. وهاهي ذي المواضع الستة:

حرف الجر أداة التعريف النواة الاسمية علامة الإعراب التنوين الصفة

أو المضاف إليه



فكل هذه المواضع تكون مثال الاسم، حتى لا يقع التباس بين الإسم ككلمة مفردة (أي مجردة) ويواصل ابن السراج: "وأجاز الفراء: إن قائماً الزيدان وإن قائماً الزيدون على معنى: إن من قام الزيدان..."².

يظهر من هذا جلياً أن الأخفش فهم من عبارة سيبويه "في موضع اسم مبتدأ أو موضع مبتدأ" أن اسم الفاعل العامل عمل فعله هو مبتدأ، أي حصل في موضع المعمول العاري عن العوامل اللفظية لأن كونه مرفوعاً يقتضي أن يكون له رافع وهو يرى - خلافاً لسيبويه - أن الرفع لـ "قائم" هو الابتداء وكونه يعمل عمل فعله جعل المجموع من قائم وفاعله يستغني عن الخبر لأنه كلام تام.

ج- ما قاله الرضي:

¹- المصدر نفسه، ج1، ص: 44. 45 و 128... وشرح الرماني، ج3، ص: 91، والمقتضب2، ص: 133.

²- المرجع نفسه، ج1، ص: 287.

وأول من انتبه، في علمنا ، إلى ضعف هذا التأويل هو الرضي الأسترابادي قبله ابن الحاجب 'صاحب النص الذي شرحه) بين المبتدأ الذي يلزمه خبر وهذا الذي يسميه مبتدأ أيضاً لكن من نوع آخر. وامتاز الرضي هو وحده بأن قال: " وهو ليس بشيء بل لم يكن لهذا المبتدأ أصل من خبر حتى يحذف ويسدّ غيره مسدّه، لو تكلفت تقدير خبر لم يتأت إذ هو في المعنى كالفعل والفعل لا خبر له. فمن ثم تم بفاعله كلاماً... ولهذا أيضاً لا يصغر ولا يوصف ولا يعرف ولا يثنى ولا يجمع إلا على لغة أكلوني البراغيث".

وقال أيضاً: "فهذه كلّها مبتدأت لا أخبار لها لما فيها من معنى الفعل ولا يدخل نواسخ المبتدأ عليها لما فيها من معنى النفي فيلزم الصدر...".

ويجوز عند الأخفش والفراء "إن قائماً الزيدان" وسوغ الكوفيون هذا الاستعمال في "ظن" أيضاً نحو: "ظننت قائماً الزيدان" وكلاهما بعيد عن القياس¹ لأن الصفة لا تصير فاعلها جملة كالفعل إلا مع دخول معنى يناسب الفعل عليها كمعنى النفي والاستفهام أو دخول مالا بدّ من تقديرها فعلا بعدة كاللام الموصولة. وأما إن وظنّ فليس من ذينك في شيء بل هما يطلبان الاسمية فلا يصحّ تقديرهما فعلا بعدهما².

أما في ما يخص كلام سيبويه فلم يذكر الأخفش ومن تبعه في ذلك أن عبارات الكتاب: "في موضع اسم مبتدأ" وهي مساوية لـ "في موضع فعل مبتدأ"³.

فالفعل المبتدأ عنده هو الفعل الذي وقع في موضعه الأصلي (إذ قد يقع في موضع الاسم) أي موضع العامل في الاسم غير الجار وهو الفعل والنسخ والابتداء، والدليل على ذلك أن سيبويه قال بالنص الصريح أن اسم الفاعل هنا في موضع ابتداء.

¹ - ويرى الأستاذ أنه لم يأت زيادة على ذلك أي سماع يؤيده.

² - الأسترابادي، "شرح الكافية"، ج1، ص: 87.

³ - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 278.

ثم إنه يسمى كل ما يغطي هذا الموضع مبتدأ، وذلك مثل الفعل كما قلنا¹ وقال عن "إنَّ" إنَّها لا تكون إلاَّ مبتدأ². فالاسم المبتدأ ليس عنده ههنا الاسم الذي عمل فيه الابتداء كما فهمه الأخفش، بل الاسم الذي يقع في موضع الابتداء نفسه الذي هو موضع العامل في الاسم لأنه يعمل عمل الفعل تماماً ويتم به الكلام ويقوم مقامه في موضعه وليس في موضع الذي يعمل فيه الابتداء والدليل على ذلك ينحصر في هاتين الحقيقتين:

(1) لا يتصرف اسم الفاعل (هنا فقط) تصرف الاسم (التعريف والتصريف والتثنية والجمع والوصف).

(2) لا يمكن في هذه الحالة أن يحذف الفاعل وغيره مما يعمل فيه، ويجوز هذا أو ذاك في الصفة العاملة عمل الفعل في غير هذا الموضع³، يقال: هنَّ حواج بيت الله بالنصب⁴ والصفة العاملة هنا في موضع خبر (معمول²)، كما يجوز حذف معمول الصفة فاعلاً أو مفعولاً في غير موضع العامل، يجوز "مررت برجلٍ ضاربٍ أخو عمرا"، و"برجلٍ ضاربٍ"، وهذا متعذرٌ إذا جاءت الصفة العاملة في موضع العامل فلا يحذف الفاعل لأنه به يتم الكلام.

ويمكن أن يرسم هذا هكذا⁵:

¹ - سيويوه، "الكتاب"، ج1، ص: 270، 410، 458.

² - المصدر نفسه، ج1، ص: 461.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 19.

⁴ - سيويوه، "الكتاب"، ج1، ص: 57.

⁵ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 20.

ص	ع	م1	م2	خ
موضع	موضع العامل	موضع المعمول	موضع المعمول	موضع المخصص
الصدارة		الأول	الثاني	
الأصل ←	Ø/أ/ما...	أخواك	—	الآن/هنا/راكبين
↑	— أ	أخواك	—	الآن/هنا/راكبين
↓	ما	أخواك	—	الآن/هنا/راكبين
الأصل ←	Ø/أ/ما	أخواك	عمرا	الآن/هنا/راكبين
↑	— أ/ما	أخواك	عمرا	الآن/هنا/راكبين
↓	Ø/أ/ما	أخواك	عمرا	الآن/هنا/راكبين
	Ø/أ/ما	أخواك	قائمين	الآن/هنا/ —
	كان	أخويك	قائمان	الآن/هنا/ —
	→	النواة	←	الزوائد

ملاحظات:

- Ø هي علامة الحلو من الموضع، فالفاعل جاء في موضعه الأصلي أي موضع العامل فلا يحتاج بالضرورة إلى دخول أي شيء عليه مما له الصدارة بخلاف الصفة.
- "إن" تغطي موضع العامل وماله الصدارة (لا يتقدم عليها شيء) فهي عامل ولهذا لا يمكن أن تعمل في الصفة العاملة لأن هذه الصفة قد حلت محل العامل.
- حمل الصفة على الفعل يجعلها فرعا عليه، وهذا القياس ينتج عنه مثال - وهو هذا الجدول - وهو منظومة أو نسق من المواضع بالمعنى الذي أشرنا إليه.

فبهذا الرسم تتضح الأهمية العظيمة للموضع (في داخل المثال)، كما تتضح أهمية العملية الاستنباطية التي هي القياس التمثيلي (حمل شيء على شيء لجامع بينهما) فيستحيل في هذا القياس الممثل بهذا الرسم أن تدخل "إنَّ" أو "ظننت" على "أقائم أخواك" وسيبويه مع شيخه الخليل والرضي هم الذين تنتهوا إلى ذلك¹.

أما إعراب هذه الصفة فهو راجع إلى أصلها وهي الإسمية وكونها في موضع الفعل لا يمنعها من هاتين الميزتين الاسميتين: دخول التنوين والإعراب. ويمكن أن تكون مجرورة مثل (غير قائم أخواك) أو مرفوعة. أما الرفع فهو لتجردها وجوبا من العامل اللفضي رافعا أو ناصبا إذ هي في موضعها (ولا يدخل عامل على عامل) وفي نفس الوقت لتجردها من الجار (الذي قد يدخل عليها، والجار من حدّ الاسم أي داخل فيه)².

وهذا يفسر أيضا أن سيبويه يجعل عامل الرفع في الفعل المضارع وقوعه في موضع الاسم وهذا الاسم في كلام سيبويه هو هذه الصفة لا أي اسم، فلا يمكن أن يقال أن تجرده من الناصب أو الجازم، كما ذهب إلى ذلك الكوفيين ثم ابن مالك، وهو عامل الرفع فيه لأن ما يعمل كما قال سيبويه - في الاسم - وهو هنا التجرد - لا يعمل في الفعل³ وهذا تفسير خليلي لم يتفطن إليه ابن مالك كعادته.

إن هذه الطريقة في تحليل الكلام واكتشاف البنية الجامعة للكمية الكبيرة من الأجزاء قد بناها النحاة الأولون، كما رأينا، على عدد من المفاهيم والتصورات وعدد من الأساليب في علاج الكلام. فأما مفهوم الموضع، كما وصفناه، وكذلك المثال (والوزن بالنسبة للكلمة) فلا يوجد مثلها في اللسانيات العربية إطلاقاً حتى الآن، والسبب في ذلك أن التحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللفظ المسموع وحده كما هو الشأن عند البنيويين (المتنمين إلى مذهب البنية).

¹ - المرجع نفسه، ج2، ص: 21.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 21.

³ - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 409.

فإنحاة العرب ينطلقون هم أيضا من اللفظ في ظاهره ولكن لا يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق بينها من حيث صفاتها الذاتية بل يحملون هذا النحو على ذلك أي يجعلون الأجزاء الكثيرة من تلك التي تنتمي إلى باب (إلى مجموعة بالمعنى الرياضي) بعضها بإزاء بعض حتى يظهر الترتيب والنظم (لا الصفات الذاتية فقط)، والمثال الناتج عن هذا الحمل هو الصورة الجامعة كما سبق أن قلنا، ويؤيدهم هذا العمل القياسي الاستنباطي إلى استنباط المواضع في داخل المثال وهي العناصر المجردة التي يتكون منها المثال أو البنية، وكل موضع يختص بالدخول فيه جنس من الوحدات اللغوية، وقد يكون فارغاً مثل ما تكون المجموعة الرياضية فارغة. وهذا العمل الذي أشرنا إليه هو نفسه من قبيل العمليات الرياضية، فهو في اصطلاح الرياضيات الحديثة تطبيق مجموعة على مجموعة بالتكافؤ¹. وكل هذا يفسر معنى ما قاله ابن جني في كتاب الخصائص عن الموضع: "وهذا يدلُّك على قوة اعتقادهم أحوال المواضع وكيف يقع فيها ألا ترى أن الموضع موضع جمع وقد تقدّم في الأول لفظ الجمع فترك اللفظ وموجب الموضع إلى الأفراد لأنه مما يؤلف في هذا المكان"².

ويقول سيبويه أيضاً: "وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكى زيداً يأتيك"³.

عرفنا مما سبق أن للوحدات اللغوية مواضع خاصة في تركيب الكلام فإذا وضعت في غير موضعها فأمّا أن يقبح ذلك في غير الشعر وإما أن يكون لحناً لم تتكلم به العرب.

والموضع تعرف به أجناس هذه الوحدات، فكل وحدة تستطيع أن تدخل في موضع الأسماء أو موضع الأفعال أو موضع حروف المعاني، فمعنى ذلك أنها تندرج تحت أحد هذه الأجناس ويكون مجراها وحكمها (مسلكها وأحوالها)، هذا كما يقولون: حدّ الكلام وأصله.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 22.

2- ابن جني "الخصائص"، تح: محمد على النجار، القاهرة، 1952، 1956، ج2، ص: 419.

3- المصدر نفسه، ج1، ص: 8.

وقد يكون للعنصر الواحد أكثر من وضع فيتحول حكمه ومجراه بحسب الموضع فيجربى مجرى الباب الذي ينتمي إلى ذلك الموضع.

يقول المبرد: "أما (من) فتكون فاعله ومفعول وغير ذلك. تقول: جاءني من في الدار ضربت من في الدار، ضربت من عندك، ومررت من أكرمك، وموقعها في الكلام على ثلاث مواضع: تكون خبراً معرفة إذا وصلت، ونكرة إذا انعت، وتكون استفهاماً وجزاءاً"¹.

وقد يقع الاسم موضع الحرف فيبنى ولاسيما إذا لزم هذا الموضع وهو هنا ستر بناء كل الأسماء التي تقع موضع الحرف ويقنضي ذلك أنها تضمن معناها - دون أن يخرجها ذلك من كونها أسماء لأنها - وهذا شيء امتاز باكتشافه النحاة العرب - قد يقع الشيء في موضعين أو أكثر في نفس العبارة، ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يغطي أكثر من موضع في عبارة واحدة، وذلك مثل "من" (التي هي الأصل في الاستفهام)². و"ما" الاستفهاميتين والظروف التي تستعمل في الاستفهام فإنها تقع في موقع الحرف، تكون بمنزلة الهمزة فتقدم وجوباً وتكون في نفس التركيب في موضع خبر في مثل: "أين زيداً فلا يكون هذا الخبر إلا مقديماً - وليس من الضروري أن يكون مجرى الشيء مماثلاً تماماً لمجربى الباب المنقول إليه وموضعه، ولد ألح النحويون على ذلك كثيراً، "وقد يقع الشيء موقع الشيء وليس إعرابه كإعرابه وذلك قولك: "مررت برجل يقول ذاك".

"زيد" في قولك: يازيد بن عمرو "في موضع نصب كما أن: "أم" في موضع جر في قولك: "يا ابن أم" ولكنه لفظ كما ذكرت ولكنه على الأصل"³

فالموضع على هذا الأساس شيء ومحتواه وما يدخل فيه شيء آخر. ونستنتج من هذا أمراً مهماً جداً (قد فات الكثير من اللسانيين الغربيين وإتباعهم من العرب)* وهو أن موقع الوحدة اللغوية في

¹ - المبرد، "المقتضب"، ج3، ص: 172.

² - والأصل هو الملازم لمجربى واحد مستمر لا يفارقه ولا يحتاج إلى علامة تدل عليه مثل الفروع.

³ - نفسه، ج1، ص: 314.

مدرج الكلام غير موضعها. فالاهتمام بما ظهر في اللفظ وموقعه أي الموقع الذي تقع فيه في كلام محصل، في كلام محسوس من كلام ملفوظ بالفعل هو جوهر المذهب الذي اختص به المتمون إلى المدرسة الإستغرافية أو القرائنية الأمريكية.

قال Distribution عنده هو استغراق القرائن التي يمكن أن تكتنف بها الوحدة أي جميع مواقعها الممكنة في الكلام أو كما يقول عنها الرماني: "قسمة مواقعها" فقد جاء في شرحه: ما قسمة المواقع لأن المكسورة وأن المفتوحة"¹.

والدليل على عدم تطابق الموقع المحصل المحسوس للوحدة والموضع عند النحاة العرب هو تمييزهم بين حالة الوحدة التي هي عليه في اللفظ وما ينبغي أن تكون عليه بحسب ما يقتضيه القياس أو الباب، وقد يتطابق اللفظ والموضع وقد يفتقان، فإذا جاء اللفظ مخالفاً للموضع بحث النحاة عن العلة أي عن العارض الذي أخرجه عن أصله وعن وجهه وإذا جاء على الموضع وخالف ظاهره قيل إنه رد إلى أصله"².

ويبين ذلك قول سيبويه في قبل وبعد مضمومتين: "قد يكونا في موضع نصب وجرٍ ولفظهما مرفوع فإذا أضفتها رددتهما إلى الأصل"³.

وقال أيضاً: "عملت لا" فيما بعدها وإن كان موضع ابتداء كما عملت "من" في الغلام وإن كان موضع ابتداء (في: هل من غلام؟)"⁴.

*- يعتبر (حسين رفعت حسين) الموضع والموقع شيئاً واحداً، وجاء عنده مصطلح الموقعية بمعنى الموضع، فعرّفها بأن كلمة الموقعية تشير إلى قيمة الموقع، والمعروف أن الموقع لا يكون منسوباً إلى الكلمة المفردة، وإنما يكون حين توجد في سياق يربطها بكلمات أخرى في الجملة، / حسين رفعت حسين، "الموقعية في النحو العربي" (دراسة سياقية)، عالم الكتب، ط1، 2005م، ص: 19.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 62.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 86.

3- سيبويه "الكتاب" ج1، ص: 311.

4- المصدر نفسه، ج1، ص: 354.

وقال الخليل في نحو " لا أم لي ... ولا أب"، : "كما أن الشاعر من قال: "فلسنا بالجبال ولا الحديداً" أجره على الموضع"¹. فالحمل على الموضع كثير في كلام العرب ولا ينبغي أن نذهب بعيداً لا يمكن أن يكون الموقع الظاهر في اللفظ والبلّغ أي بظهور لفظة محسوسة في مكان معين من الكلام كما هو الشأن عند القرائيين الأمريكيين (Slot) لسبب بسيط وهو: أولاً اعتبار النحاة الموضع الذي تظهر فيه الوحدة في مستوى التراكيب واحداً سواء قدمت أم أخرت وذلك مثل: "ضربت زيداً"، و"زيداً ضربت" فهذا يدلّ على أن الموضع المقصود عندهم غير الموقع اللفظي. وثانياً إطلاقهم كلمة الموضع على الخالي من كل وحدة، وبعبارة أوضح على الموقع الذي كان يمكن أن تظهر فيه وحدة تنتمي إلى الباب من الوحدات التي تدخل عادة في هذا الموضع².

فبالنسبة إلى جملة مثل: "كتاب" كجواب للسؤال: ما هذا؟ أو ماذا بيدك؟ ففيها ثلاثة مواضع وهي: موضع الابتداء وموضع المبدأ و موضع الخبر، ولم يظهر في اللفظ إلى عنصر واحد في موضع الخبر، وكان يمكن أن تأتي كلمة "هذا" في موضع المبتدأ بل وحتى التوكيد ها هنا ضروري (بحسب مقتضى الحال). فبهذا يتضح أن الموضع هو موقع تقديري واعتباري أي مجرد تقتضيه بنية الجملة في مستوى التراكيب وقد يكون خالياً فلا يظهر له أثر في اللفظ المسموع، فهو وضع معين يجب أن يكون عليه كل واحد من مكونات الجملة لفظاً أو تقديراً، فقد تخلوا الجملة من بعض أجزائها إلا أن مواضعها موجودة متصورة مرسومة في مثال الجملة أي نمطها وقياسها وما يقال عن الموضع هنا يقال عن الموضع في مستويات أدنى منها³.

2- الموضع في مستوى ما نسميه في النظرية الخليلية باللفظة:

إن الاسم أو الفعل عند النحاة الأولين لا ينحصران في مثل: كتاب ورجل وفرس وضرب وجلس وأمثلتها، أي لا يكون مثل كتاب هو الموضع الوحيد لما يسميه النحاة اسماً وكذلك ضرب "أو

¹ - المصدر نفسه، ج 1، ص: 352.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 12.

³ - المرجع نفسه، ج 2، ص: 12، 13.

ضربت" أو ضربوا لا تكون أفعالاً هي وحدها. وذلك في مثل "كتاب" يمكن أن تدخل عليه أشياء خاصة بالاسم يمتاز بها هو وحده فتدخل عليه وتخرج كما يقول الخليل (ولا تدخل على غير الاسم) فهي منه إذن (كثيراً ما يقول سيوييه (هو من اسمه) ¹ أو "داخل في الاسم" ² مشير إلى هذه الأشياء الدخلة عليه وقد يعني ذلك بالنسبة إلى أشياء لا تدخل عليه فيقول: "ليست من اسمه" أو هو "منفصل عنه" ³.

المبحث الثالث : إثبات أصالة النحو العربي عند عبد الرحمن الحاج صالح

إن أهم ما وجه للنحو العربي من نقد أنه متأثر بالمنطق الأرسطي ذلك أن منطق أرسطو يهتم بالصورة أكثر من المادة، ودرس اللغة ينبغي أن يركز لا على الصورة، وتأثير المنطق على النحو يبعده عن درس الواقع اللغوي كما هو ⁴.

فجاءت دراسة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح لهذا الموضوع لتجيب عن أسئلة دارت بين كثير من الألسنة، وشغلت العديد من العقول وهي: هل تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني؟ ومتى وقع ذلك؟.

فقد بين الأستاذ بالأدلة التاريخية والعقلية، أن النحو العربي في جوهره لغوي محض ⁵.

1-شبهات تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي:

يرجع الأستاذ سبب هذه الشبهة- كما هو معروف- إلى ما زعم عن العرب في تقسيمهم للكلام تقسيماً ثلاثياً؛ أنه مقتبس من أرسطو تقدم لنا الأستاذ لرد هذه الشبهة نوعين من الأدلة:

1- سيوييه "الكتاب"، ج1، ص: 44.

2- سيوييه "الكتاب"، ج1، ص: 84، 89 و 28.

3- سيوييه "الكتاب"، ج1، ص: 201-208.

4- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة العربية، دط، 1986م، ص: 61.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 42.

أولاً: أدلة عقلية: قال يجب قبل كل شيء أن نعرف أين، وفي أي كتاب صرح أريسطو بذلك؟ وأضاف غرض النحو من لفظي الاسم، والفعل غير غرض أريسطو منهما؛ لأنه يرى فيهما ما يسميه الموضوع، والمحمول، والمجموع يكون دائماً حكماً عقلياً، ولا يضم أريسطو بالجانب اللغوي لهما.

ثانياً: أدلة تاريخية: اكتفى فيها بالتاريخ لهذا التأثير بالمنطق الأريسطي الذي يرى أن بواده بدأت في الظهور في النحو العربي في زمن المبرد (ت286هـ) وتلاميذه، وخاصة ابن كيسان (ت337هـ)، وابن السراج، وذلك في نهاية القرن الثاني الهجري، فبهذا التدليل التاريخي ينفي الأستاذ وجود المنطق الأريسطي في زمن نشوء النحو العربي.

وأضاف أن الفقه قد تعرض لهذا التأثير قبل ذلك في نهاية القرن الثاني الهجري¹ وهناك من أرخ لهذا التأثير بالقرن الرابع الهجري².

ليؤكد الأستاذ أن ما طرأ على الثقافة العربية في عمومها من طارئ خطير في القرن الثالث الهجري³. كان مؤذناً باتجاه جديد لمختلف الدراسات الإسلامية المنبثقة من القرآن الكريم؛ والذي تمثل في اتصال نزعتين في العلم والبيان واصطدام علمين في ميدان الثقافة والآداب؛ وهما: العالم العربي، والعالم اليوناني، وهذا الاتصال كان بأول كتاب ترجم لأريسطو ليصل إلى عبد الله بن المقفع (ت139هـ)، وتبين أن محمداً ابنه هو الذي قام بهذه المحاولة الأولى من نوعها⁴.

وهناك روايات تذكر أن عبد الله بن المقفع قد ترجم كتب أريسطو الثلاثة وهي: (قاطاعورياس)، (كتاب باري أرمينياس)، (كتاب أنولوطيقا)⁵.

¹ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 43.

² - عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 74.

³ - لقد انتقل الفكر اليوناني القديم إلى العامل العربي الإسلامي في النصف الثاني من ق 3 هـ بصورة شبه منتظمة، وعن طريق حركة الترجمة، يراجع أسس المنطق الصوري ومناهج البحث العلمي، ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، 1998م، ص: 152.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 43.

⁵ - عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 74.

وقد نفى آخر أن يكون ابن المقفع قد ترجم شيئاً لأريسطو لأن اهتماماته أدبية، وكان أيضاً لا يعرف السريانية. وذهب آخرون إلى أن الترجمة تمت بعد تأليف كتاب سيبويه، أي بعد نشأة النحو العربي وعلوم اللغة بفرق قرن من الزمن¹.

ويضيف أنه بالإضافة إلى ما سبق فقد حققوا وجود اتصال سابق بين السريان واليونان، فاستنتجوا من ذلك اطلاع العرب على معارف اليونان قبل الترجمة وذلك بواسطة السريان الذي اندمجوا في مجتمعاتهم الإسلامي المحدث.

وقال: أن ما يقوي هذا الفرض لديهم أن أكثر أولئك كانوا عرباً بالولاء، فظهرت بذلك عندهم حاجتان ميسستان: الأولى احتياجهن إلى تعلم اللغة العربية والثانية تثقفهن في الدين، وهذا الذي حملهن على اختراع مناهج تعليمية تحقق لهن أمالهن، وتبلغهن مقاصدهن في أخصر الطرق.

وتساءل بعد ذلك اختراعاً محضاً يرجع الفضل فيه إلى ما امتاز به المجتمع الجديد من حيوية خلاقية؟ أم كان مجرد تطبيق لما امثلوه من ثقافتهم السالفة².

أراد بعض المستشرقين في تأثير النحو العربي بالمنطق الأريسطي. قال الأستاذ: إن أقدم زعم بوجود تأثير يوناني في النحو في بدء نشأته، كان من طرف (أنياس جويدي)، و(أدالبير مركس).

ولم يقيم لزعم (أنياس جويدي) أي وزن، لأنه لم يأتي ببرهان شاف. وركز على (مركس) الذي رأى عنده إفاضة في الموضوع، وأيضاً قدرته على التأثير في كل من أطلع على آرائه، لما يظهره من إحكام استبدال، وحسن تعليل.

وذكر لنا رأي (Deboer) مؤرخ الفلسفة الإسلامية، الذي كثيراً ما ينسب أصالة المنهج النحوي الذي سلكه العرب في مباحثهم إلى أريسطو.

1- إسماعيل أحمد عمارة، "نشأة الدراسات اللغوية العربية"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2002م، ص: 48.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 43.

يقول في تأريخه: "وقد أثر منطق أرسطو في علوم اللسان... السريان كانوا قبل العصر الإسلامي قد درسوا كتاب (العبارة) لأرسطو مع إضافات ترجع إلى الرواقين¹، وإلى أهل المذهب الأفلاطوني، وابن المقفع الذي كان صديقاً حميماً للخليل بن أحمد، يسر للعرب الإطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية² من أبحاث لغوية منطقية"³.

وأضاف الأستاذ قول (دوبوار) في موضوع آخر: "أن الأبحاث اللغوية النظرية التي نشأت عند العرب في زمان مبكر قد أحدثتها المقولات النحوية المنطقية الموجودة في كتاب (باري أرمينياس)"، وذلك ما وقع من تأثير الرواقية في هذا النشوء، ومن ثم ظهر القول بانقسام الكلام على الأقسام الثلاثة"⁴.

وأتابع قوله بما يلي: "إن الأصول النحوية التي اعتمد عليها اللغويون العرب السريان"⁵.

وعلق الأستاذ على هذه الآراء بأنها أصبحت حقائق متعارفة تقبلها النفوس وتحبذها، ويتداولها الخلف عن السلف، ويدونها مآرخوا العلوم، وذكر من جملة هؤلاء (جورج سارطون) صاحب كتاب (المدخل إلى تاريخ العلوم)، إذ يقول⁶: "قال ابن خلكان إن علياً وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم، وفعل، وحرف ثم دفعه إليه، وقال: تم على هذا، يذكرنا هذا بما في المنطق الأرسطو طاليسي إذا

1- الرواقيون: تعد المدرسة الرواقية أهم مدرسة فلسفية في أئينا بعد أرسطو، وقد أسس هذه المدرسة المفكر (زينون) سنة: 308 ق م، فإن سبب نجاحها أن أصحابها يعتقدون أن الأسلوب القويم يتمثل في الحياة بانسجام مع الطبيعة، وأن المعرفة تكمن في انسجام الأشياء الطبيعية الموجودة في الطبيعة وأن هذه الأفكار ما هي إلا صور في حد ذاتها، (أحمد مومن، "اللسانيات: النشأة والتطور"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، دت، ص: 20.

2- الفهلوية: تعني اللغة التكية الوسطى. كارل بركلمان، "الأدب العربي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب دط، 1994م، ص: 444.

3- دوبوار، "تاريخ الفلسفة الإسلامية"، الطبعة الفرنسية، 1، ص: 435. عن بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 44.

4- دوبوار، "دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية"، ص: 39 نقلا عن "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 44.

5- دوبوار، "دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية"، ص: 39.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 45.

أريسطو لم يحصى هو أيضاً في الكلام إلا ثلاثة أقسام وهي: (Omoma)¹، (Rhema)²، (Sundesmos)³.

فيما لا شك فيه أن العرب حصلوا على هذا بفضل المنطق اليوناني، وأن اجتهادهم في النحو قد تأثر به، ومن الراجح أن ذلك لم يحصل لهم إلا بالنحو اليوناني وعلى كل فإنهم حتى ولو كان لهم علم بالنحو اليوناني فإن ذلك لم يساعدهم كما ساعد النحاة اللاتينيين معرفتهم بذلك النحو إذ كانت خصائص كل لغة منهما مفترقة في جوهرها"⁴.

ثم أشار الأستاذ إلى وجود بعض هذا الباحثين، والذين وصفهم بالمنصفين ذلك أنهم وقفوا من هذه المسألة موقفاً وسطاً، ولم يسمح لهم تخرجهم وورعهم أن يحكموا على شيء بحكم نهائي، ويجازفوا هذه المجازفة الغربية -على حدّ قوله- فقد نقل أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام عن الأستاذ (ينوليتمان) أنه قال في إحدى محاضراته⁵: "...نحن نذهب مذهباً وسطاً، وهو أنه أبداع العرب علم النحو في الإبتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، لكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العيراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو الذي كتبه أريسطو طاليس الفيلسوف"⁶.

وواصل الأستاذ عرض آراء هؤلاء المستشرقين في هذه المسألة، ليذكر لنا رأياً آخر، هو للمستشرق الفارسي الشهير (لويس ما سينيوس)، وأشاد بقدراته وفضله في آرائه حول طرق النظر عند مفكرّي الإسلام، وقد غلبت عليه نزعة التصوف الذي تأسف لها الأستاذ، لأنها جعلته لا ينظر إلى

¹ Omoma: ويقصد به الاسم، بما في ذلك الصفة، ينظر إسماعيل أحمد عمارة، نشأة الدراسات اللغوية العربية، ص: 57.

² Rhema: ويقصد به الفعل، وترجمه الحرفية الفعل، المرجع نفسه.

³ Sundesmos: أي أدوات الربط، المرجع نفسه.

⁴ جورج سارطون، "المدخل إلى تاريخ العلم"، طبعة Baltimore، 1927م، ج1، ص: 501، نقلا عن بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 45.

⁵ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 44، 45.

⁶ محاضرات ليمان، نقلا عن "ضحى الإسلام"، أحمد أمين، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط3، دت، ص: 293.

تلك الطرق إلا من زاوية واحدة ومع ذلك وصفه بالذهن المتفرد في الوصول إلى الأغراض البعيدة، ونقل لنا شهادته التي جاءت في مقالة نشرتها مجلة (Arabika): "أنه منذ اختفاء ماركس خطينا بدراسة وثائقية لطرق الترجمة العربية للأرجانون، وذلك بواسطة السريانية وقد بينت لنا الدراسات أن النحو العربي كان أشد امتناعاً من السرياني على تسرب اليونانية إلى أوضاعهما. وكان قبل أن يتخذ العرب التقسيم الثلاثي لأقسام الكلام (اسم، فعل، حرف) قد أبدعوا تقسيماً ثنائياً موافقاً للأصول الجدلية السامية (أصل - فرع، عمدة - فضلة، مبتدأ - خبر)¹. ثم وقف على ما جاء به الأب فلايش في كتابه المطول (في فقه اللغة العربية).

وقال إنها أبحاث جرت حول هذا الموضوع، إلا أنه لم يتناولها بالنقد، والتمحيص ولكنه لاحظ أن القدماء من النحاة لم يعالجوا النحو بعين الفلاسفة، ومع ذلك -عنده- أنهم عدموا تلك الكفاءة التي تؤهل الناس للتفكير والتحليل والإشراف على مادة البحث حيث يمكن بناءها على هيئة، وكل ذلك يتيسر إلا لمن كسب ثقافة فلسفية².

أ- آراء بعض المعاصرين من العرب:

حيث جمع لنا الأستاذ أهم أقوال المعاصرين من العرب في هذه المسألة ويبدو أنه اقتصر على القليل منهم، وليس لعدم اطلاعه على ما كتب في هذا الموضوع ولكن ربما يعود السبب في ذلك لقدم مقاله في هذا الموضوع، التي كان قد كتبها سنة 1964م، لذلك نسجل غياب آراء لبعض النحاة المعاصرين جديرة بالذكر في هذا المضمرة، ومن هؤلاء نذكر تمام حسان³، وعبد الرأجي⁴.

1. رأي أحمد أمين:

¹ -L. Massignen. Réflexion sur la structure primitive de l'analyse en arabe 1. P: 10.

نقلا عن بحوث ودراسات، ج1، ص: 46.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 46.

³ - ينظر: تمام حسان، "الأصول (دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)"، عالم الكتب، دط، 2000م، ص: 46، 53.

⁴ - ينظر: عبد الرأجي، "النحو العربي والدرس الحديث"، ص: 61 - 105.

حيث قال عنه: إنه هو الذي نقل ما جاء به اينوليثمان من رأي سديد وزاد على أن تأثير اليونان، والسريان في العصر الأول لوضع النحو كان ضعافا وربما كان أكبر الأثر غير المباشر، كاستخدام آلة القياس، والتوسع بواسطتها في وضع القواعد النحوية¹.

2. رأي أحمد مدكور:

ذكر لنا الأستاذ أنه مازال في أطروحته من (أثر الأرجانون في العالم العربي) على ما قاله العلماء الغرب، بل اكتفى بالإشارة إلى التأثير يظنّه قد وقع في وضع النحو، ونشر في سنة 1948م بحثا بعنوان (منطق أريسطو والنحو العربي) في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة حاول أن يبين فيه كيف حصل التأثير، ورأى أن حجته كانت غير مقنعة.

3. رأي مهدي مخزومي:

قال الأستاذ عن مهدي مخزومي في تأليفه لكتابه (مدرسة الكوفة) إنه قد بناه في جميع ما يثبته من القول بتأثير على النحو، وبالخصوص على مدرسة البصرة، وقد جاء فيه²: "قد مهدت هذه الفلسفات للانتفاخ بالمنطق اليوناني، وفي البصرة ظهرت الترجمة الأولى لمنطق أريسطو، ترجمة عن اليونانية، أو الفارسية عند عبد الله بن المقضّع، وابنه محمد بن عبد الله بن المقفّع"³.

وقال أيضا: "والواقع أن تأثير علم الكلام، أو الثقافة البصرية اليونانية إنما ظهر في النحو في زمن مبكّر، منذ أواخر القرن الأول، وأوائل القرن الثاني وهي الفترة التي ظهرت فيها الفلسفة الكلامية ظهوراً واضحاً، ولم يكن الخليل بن أحمد أول من ظهر في نحوه تأثير هذه الثقافة الجديدة بميله إلى القياس، والتعليل، فقد سبقه إلى ذلك عبد الله بن إسحاق"⁴.

ب- الرد على هذه الشبهات:

1- ينظر: أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3، دت، ص: 293.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 46-47.

3- مهدي المخزومي، "مدرسة الكوفة"، المجمع الثقافي، دط، 2008م، ص: 69.

4- المرجع نفسه، ص: 70.

بعدما عرض لنا الأستاذ أهم الآراء التي قيلت في هذه الشبهة بين متهم، ومبرر، وبين مستشرق وعربي - وإن كانت استشراقية في أغلبها، فإنه في رده هذا ركز على آراء المستشرق (ماركس)، وخصها بالمناقشة لا لسهولة، ويسر التغلب عليها، وعجزه في غيرها ولكن للوهن الذي وجدته في آراء غيره، وأيضاً لما تميزت به من قوة الاستدلال. فعرض أقوال (ماركس) للرد عليها وللوصول الوجهة الصحيحة فيها.

وكانت هذه الاستدلالات التي جاء بها ماركس كما يلي:

- 1- ضرورة مرور زمن طويل تتشكل فيه المقاييس النحوية، يقول: لقد احتاج الفكر اليوناني إلى قرون من العمل المجهد حتى يفرق بين أحوال الكلمة التركيبية، وأمثلة الفعل الزمانية، أو الوصفية، ويتفطن إلى الائتلاف القائم بين أجزاء الجملة.
- 2- ضرورة اعتماد النحو على المنطق، وعلى المفاهيم الفلسفية، يقول: "إنه (ابن خلدون) لا يفهم أن رسم هذا العلم في أول نشأته كان موقوفاً على المنطق والعلم بالفلسفة. ويقول أيضاً: "لقد كانت معرفة أقسام الكلام، وتصاريف الكلم، والأجزاء التي تتكون منها الجملة البسيطة نتيجة لتحليل فلسفي.
- ويقول: "إنهم - أي مؤرخي النحو كانوا يجهلون أن النحو قد بني على المنطق.
- 3- ضرورة اعتماد النحاة العرب على مفاهيم غريبة عنهم يقول: مما يتألف له أن (صاحب الفهرست)¹ سكت سكوتاً تاماً عن خبر المناهل التي استسقى منها النحاة الأقدمون معلوماتهم.
- ويقول: (ولم يعرض السيوطي طوال هذه المقالات، ولو بكلمة واحدة لمسألة مصادر هذه الأبواب النحوية نفسها، فإن نظريته إلى الأشياء من خلال زاوية عربية لا غير تشغله شغلاً عظيماً حتى أنه لا يبالي بمصادر هذه الأبواب، ومع ذلك فإن المشكلة هي أن يعرف من أين استقوا معلوماتهم).

¹ - أبو الفرج محمد أبي إسحاق المعروف بالنديم، المتوفى سنة 380هـ.

وانتقد آراء مركس بشدة، ورأى أنها كانت كنتيجة لمشاهدة قاصرة؛ إذ هو لم يتتبع عددا من الظواهر حتى يبني عليها قانوناً عاماً. فأعظم نقص أخذه عليه هو جعله الضروري بمنزلة الممكن الوقوع، رأى أن هذه القضايا من حيث الضرورة باطلة، أما من حيث الإمكان ففي بعض مظاهرها نظر.¹

وقال: إن القضية الأولى بطلانها قائم على ادعاء ضرورة طول المدة المفرطة حتى يتأتى للعلم أن ينهض، والحق أنه ليس هناك شيء ضروري مطلقاً، ولكن ممكن حصوله. ورأى في اعتماد مركس على شهادة تطور الفكر اليوناني، بأن هذا الشاهد ليس بأصل يبني عليه قياس.

وبين أن المغالطة التي وقع فيها (مركس) هو اعتباره تطور العلوم يقتضي زمان مفرط الامتداد، وقال: إنه يأبى أن يلحق شيء بشيء وليس في الثاني ما في الأول من العلة (قياس الشبه) وهذا لا يعد من أساليب البرهان الدقيق.²

واستدل أيضاً بتطور العلوم إسلامية البحتة التي امتازت عن علوم الأوائل في سرعة اكتهاها، وقد أجمع العلماء على حقيقة هذه الظاهرة، ففي أقل من قرن خرج إلى الوجود نحو كامل التكوين سوي الخلق منسجم الأطراف، ونجده في كتاب سيبويه، فتلك هي ثورة الإسلام فهل من منكر للسرعة التي اتصفت بها نشأة العاهلية الإسلامية، وما ظاهرة نشأت النحو العربي إلا جزء لا يتجزأ من تلك الحادثة العظيمة.

أما عن رده في شأن القضية الثانية فقال: أن القضية الزاعمة بضرورة بناء النحو على المنطق، إن ذلك قد قيل في زمان تجاوز العلماء اليوم، فليس أبداً من اللازم أن يؤسس النحو المنطق فإن بين الفكر، واللغة فوارق جوهرية، وقد أثبت علماء النفس من جهة والمنطقيون المعاصرون من جهة أخرى

1- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص:49.

2- المرجع نفسه، ج1، ص:49.

أن الكلام لا يطابق كل ما يجري في الذهن، وليست كل الظواهر اللغوية على العكس من ذلك من جنس العمليات العقلية.

فالنظام المنطقي غير النظام اللغوي الذي خلق للإفادة أي لتبليغ أغراض المتكلم للمستمع، وقد فهم النحاة العرب إذ بنوا نحوهم على مبدأَي الاقتصاد والفرق، ومبدأ الاقتصاد اللغوي هذا أثبتته اللغويون المعاصرون وإذا كان مركزس أراد بالمنطق مجموعة الوسائل العقلية التي يستعملها كل علم وأراد بالفلسفة النظر في مواد العلوم، ومناهجها، فيرى الأستاذ أن في ذلك صواباً، ولكنه عاد لينفي عنه هذا الظن، وقال إن نيته غير صائبة من وجهين:

الأول: عدم تمييزه بين النظر العقلي وهو عام على الإطلاق، والمنطق اليوناني.

الثاني: عدم تمييزه بين أطوار ارتقاء العلوم عند الإنسان بصفة عامة، وعند العرب بصفة خاصة، فقد بنى مزاعمه على اقتباس العرب - جملةً - من اليونان أصولهم العقلية ولا يجوز لهم اقتصارهم على أي "خلق" إبداع.

ونجد أن ديور قال عن النحو: "إنه أثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق، ويحق للعرب أن يفخروا به، فهو نحو الفطرة واليوناني نحو الفطنة¹.

أما عن القضية الثالثة فقال: إن صحتها لا تثبت إلا بأحد الشروط التالية:

- أن يثبت التاريخ ذلك، وهذا لا سبيل إليه إن لم يذكر أحد أن النحاة العرب أخذوا من اليونان، ولا من غيرهم معنى واحداً من معاني النحو أو ما يقاربه.
- وجود إشارة ولو خاطفة إلى المصادر الأجنبية في كتب النحاة الأقدمين، وهذا أيضاً لا نعثر عليه بناتا. فهذا كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا. منهم نقرأ فيه أسماء كل شخص أدلى برأيه في مفردة أو تركيب أو باب من أبواب النحو، ولا نعثر على اسم عالم السريان، أو اليونان القدماء مما أُلّف

¹- ينظر: عوض حمد القوزي، "المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديزان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1984م، ص: 30.

في لغته، أدنى المنطق ولو على سبيل الإشارة على محل الأخذ. وقال: أنه لو كان أولئك النحاة الموالي أدخلوا شيئاً من ثقافتهم الأجنبية لذكروه، مثلما أقر العلماء السريان بذلك في القرن الثاني الهجري، وعزوههم كل ذلك إلى مظانه.

● مشابحة الأصول النحوية العربية لأصول عليمية، أو فلسفية أجنبية، وهذا ما حاول ماركس أن يثبته بالمقارنة بين أصول المنطق الأريسطو طاليسي وأصول النحو العربي، لكن الأستاذ رفض أن تكون المشابحة سطحية لأنها يمكن اعتبارها من محض الاتفاق، فكثيراً ما تتوارد الأفكار إذا كانت المعاني مما تشترك فيه جميع العقول¹.

وكان أهم ما حاول ماركس أن يبرهن أنه من أصل يوناني:

- تقسيم الكلام على أقسام ثلاثة.
- مفهوم الأحداث.
- مفهوم الصرف والتصريف.
- مفهوم الخبر وعدم وجود ما يسميه (Sujet) عبد العرب² لعدم وجوده عند أريسطو³.
- معنى الجنس لأن هذه الكلمة من أصل يوناني.
- ألقاب الحركات الإعرابية من رفع ونصب وجر.
- معنى الظرف .
- معنى الإعراب مقابلاً لمعنى السليقة.
- معنى الحال.
- التمييز بين الأزمنة الثلاثة .

1- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 52.

2- فحكموا على النحاة بالعجز، وعدم قدرتهم على تصور المبتدأ أو الفاعل كشيء واحد وهو: ال (Sujet)، ونسبوا مع ذلك أن هذا التحليل هو في أصله دلالي منطقي، وأن التحليل العربي مبني على بنية اللفظ، وأنهم جمعوا بين المبتدأ والفاعل في مفهوم المعمول الأول من حيث البنية ولهم تحليل آخر على المعنى والإفادة هو المسند والمسند إليه.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 52، 53.

وجاء الرد عليه كما يلي:

أنه لا يوجد أي تقسيم ثلاثي للكلام عند أرسطو.

ووضح الأستاذ ما تميز به النحو العربي، ولم يأت ذلك عند أرسطو فقال: إن النحو العربي قد أسس على الغرض الذي منه غلق الإنسان، وهو الإفادة فغرضه لغوي محض؛ إذ يجعل الاسم، والفعل عمادين للحديث، وهو ما يجري بين المتكلم، والمخاطب، وهو شديد الاهتمام بهذين القطبين للكلام. فالاسم والفعل لا يطابقان الاسم، والكلمة كما يفهمها أرسطو، بل قد يوافق هذان المفهومان المحدث عنه (المسند إليه)، والمحدث به (المسند) بشرط أن يعتبر فيهما التصديف، والتكذيب، أي من حيث صحة الحكم وبطلانه، وقال أن هذا الاعتبار منعدم عند سيبويه، ووجوده عند من تلاه يدل على تأثيرهم بالمنطق.

أما عن الحرف فإنه كذب زعم مركس في أنه ينظر إلى كلمة (Sundesmos) في كتب أرسطو. وبرأ سيبويه مما لم يقله، ورأى أن مركس وقع في هذا الإلتباس نتيجة اعتماده على أقوال الشراح بعد سيبويه، مما أوقعه في الخطأ¹، وذكر السيرافي في قوله:

وذكر السيرافي في قوله: الحرف ما دل على معنى في غيره، وقال أن السيرافي قد تعسف في هذا الشرح عندما قال: "وإن سأل سائل فقال: لم قال: وحرف جاء لمعنى وقد علمنا أن الأسماء والأفعال جئن لمعان؟ قيل له إنما أراد: وحرف جاء لمعنى في الإسم والفعل"².

ويقول الأستاذ إن هذا مغاير لما أراد سيبويه، وما يؤكد ذلك، أن تفتن النحاس بذلك وأصلحه في التعليقة، وتبعه أبو حيان.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "تحديث أصول في التراث اللغوي العلمي العربي"، مجلة الجمع الجزائري للغة العربية المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية الجزائر ديسمبر 2006م، عدد 4، ص: 12.

2- أبو سعيد السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، تح: رمضان عبد التواب ومحمود فهيمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1986م، ص: 52.

وأما عن الحدث فقد إدعى مركس أن ما يقوله سيبيويه عن الأحداث وهو جعل معنى مطابقاً لمعنى (Accident) فمنقول عن أرسطو.

ورأى الأستاذ أن الذي قصده أرسطو من كلمة (Sumbebekos) ينحصر في معنيين:

- ما يقابل المادة وهو لا يوجد إلا في غيره كاللون، والصورة وهما يزولان بزوال المادة ولا تزول هي بزوالهما.

- ما يقابل الجوهر، وهو ليس من ما يليه الشيء، أو جوهرة كالجلوس، والافتراش إذ ليس هذان بلازمين لجوهرة الجالس والمفترش، ولا تكاد تدلّ كلمة (حدث) على ما يفهم من كلمة (Accident) إلا في الوصف المشتق منه على صيغة اسم الفاعل - الحادث) والذي يرى أنه يجري استعماله عند فلاسفة، وهم أتباع الفلسفة اليونانية.

أما في اصطلاح النحاة العرب هو المعنى الذي يدلّ عليه الفعل (إحالة) والمصدر أي معنى الوقوع، وصدور أمر سواء كان ذلك بالتجدد (بالحركة كالجلوس، والمشى والأكل...)، أو بالثبوت (بالدلالة على حاله، أو حلية أو غريزة كالنوم، والحمرمة والكرم)، وقد وضع اللغويون المعاصرون كلمة كانت تنقصهم تؤدي المعنى تماماً وهي (Procès) من اللاتينية (Processus) ما يحدث.

ورد على ما أثاره مركس في مسألة تحول الكلمة أفراداً، وزعمه أن العرب يطلقون اسم الصرف على التحول الإعرابي أي ما يعتري أواخر الكلم من التغيير، وعلى التحول الصرفي (Conjugaison) ، وهو خاص في اصطلاحهم بتصريف الأفعال، وأنهم كانوا يجهلون المعنى الحقيقي لكلمة التصريف، وهم مدينون في معرفتها لأرسطو وعاد إلى كلمة صرف عند سيبيويه والتي لا تدلّ على تحويل صيغ الأفعال أبداً وإنما هي صفة للاسم المتمكّن¹ الأمكن أي الاسم الذي يعرب بالحركات الثلاث ويدخله التنوين، ثم إن علم الصرف تسمية محدثة قابلوا به علم النحو لمعناه الخاص: علم التراكيب،

¹ - ونقل لنا السيوطي عن بن الخباز (في شرح الذرة): المتمكّن يطلقه النحويون على نوعين على الاسم المعرب، أو على الظرف الذي يتعقب عليه العوامل كيوم، وليلة. جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985م، ص: 160.

وقد جرى لفظ التصريف في القديم على مسائل التمرين، وهو كما قال الرضي الاسترابادي في شرح الشافية¹: أن تبني من الكلمة بناء لم تبنيه العرب على وزن ما تبنيه ثم تعمل في بناء الذي بنيته ما يقتضي قياس كلامهم².

ولعل كلمة التصرف - قال الأستاذ - هي أقرب لفظ إلى دلالة ما يقصده مركس فهو كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: "تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة مقصودة لا تحصل إلا بها"³.

أما عن قول مركس: "إن الجنس كان شيئاً مجهولاً عند النحاة رغم إلهامهم بمعنى التذكير، والتأنيث الذين هما فرعان لهذا الأصل العام، إذ لم يعرفوا الكليات التي استنبطهما العلم اليوناني فاضطروا حينئذ إلى اقتباس لفظ (Genony) الإغريقي، وقالوا (جنس)".

وقال الأستاذ أن مركس لم يتصفح كتاب سيبويه تصفحاً علمياً حيث أن لفظ الجنس في الكتاب بهذا المعنى لا وجود له إطلاقاً. ويذكر أن وجوده فيما بعد⁴. فإن اطلاع النحاة المتأخرين على اصطلاحات أجنبية حدث وقرآن النحو قد أكمل، ورضي به السلف، والخلف⁵.

أما عن ألقاب الإعراب فيستبعد الأستاذ أن تكون مأخوذة من اليونانية ورأى تعسفاً في محاولة مركس التوفيق بين معنى الرفع في وضع اللغة ومعنى (Orthe) وهو (الحكم الإعرابي - الواقف) وبين معنى الجر الذي يراه منحصرًا في الإضافة وبين (Gencés) اليونانية وبين النصب الذي يريد هو فقط يدل على الغاية، وبين معنى (Astaatikos)⁶.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 56، 58.

2- رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي، "شرح شافية ابن الحاجب"، دار الكتب العلمية، دط، دت، ص: 67.

3- محمد علي التهانوي، "كلف اصطلاحات الفنون"، مكتبة لبنان ناشرون، دط، دت، ص: 454.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 58.

5- عبد الجليل مرتاض، "في رحاب اللغة العربية"، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2004م، ص: 19.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 59.

وأضاف الأستاذ أن في كتاب سيبويه أسماء الأحكام الإعرابية مأخوذة من أسماء علاماتها وهي الحركات¹.

فقد سُمي النحاة هذه الأصوات الناقصة حركات بالمجاز، وهي في الحقيقة حركات الأعضاء اللائفة.

يقول الزجاجي في الإيضاح: "نسبوا ذلك إلى الحركة فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع لأن المتكلم بالحركة المضمومة يرفع حنكته الأسفل إلى الأعلى... والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاهه فيبين حنكته الأسفل من الأعلى فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لابانة أحدهما عن صاحبه"².

ونقل لنا السيوطي في الأشباه والنظائر ما قاله السُّهيلي³: "المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين واللسان، أو الحلق الذي يخرج منه الحرف. فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف"⁴.

ويؤكد لنا الأستاذ جهل ماركس لأسرار النحو العربي، ولخصائص اللغة العربية عندما ذهب إلى أن معنى الإعراب مقابل لمعنى السليقة إذ يقول: "ليس الإعراب إلا ما نقلوه من الكلمة اليونانية (Rellemismé) فكذلك يقابل المعرب في العربية السليقي، ومعناه أن الناطق نطقاً صحيحاً يقابل الذي لا يحافظ على قواعد النحو، ويظهر أن كلمة سليق هي نفسها من أصل يوناني. ثم يستشهد بعد ذلك بهذا البيت:

ولست بنحوي يلوك لسانه ❖ ولكني سليقي أقول فأعرب.

¹ - ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "الكتاب"، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1988م، 13/1، 17.

² - أبو القاسم الزجاجي، "الايضاح في علل النحو"، تح: مازن المبارك، دار العروبة، دط، ص: 53.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 59.

⁴ - جلال الدين السيوطي، "الأشباه والنظائر في النحو"، ص: 191، 192.

ويفسر معنى سليقي في هذا البيت هكذا: هو المتكلم بالتغافل عن قواعد النحو. فلم يبذل الأستاذ جهداً في رده هذه السدّاجة في تعريف السليقة.

وذكر أن السليقي: هو الذي يتكلم عن طبع لا عن تعلّم وليس معنى ذلك أنه يلحن ويسقط فالعرب الأفحاح قبل عهدهم بالنحو كانوا يتكلمون بالسليقة؛ أي عن طبع، ولا يوصفون باللحن ووضح أن السليقة تقابل الإعراب لا من حيث الفصاحة، وعدمها بل من حيث اكتسابها اللّغة عفوا وعن طبع، واكتسابها تعلما وتلقنا بشرط أن يراد بالإعراب تعلم أتيّسة اللّغة، ومعنى الإعراب عند الشاعر المذكور ليس البيان¹ والإفصاح، وإنما أراد أن يبين أنه مطبوع لا يحتاج إلى تلون النحو².

2- تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي:

1-2. رفض العلماء المسلمين للمنطق:

ويذكر الأستاذ أن هذا التأثير بدأ بعد زمن سيوييه، ثمّ جمع أهم أقوال علماء مسلمين عرب عاصروا زمن دخول المنطق إلى الثقافة الإسلامية ورفضوا هذا الإجتياح، ورأوا فيه خطراً عليهم، وقد بلوا هذا الهجوم بهجوم عنيف ضد المنطق اليوناني، وتسرب به في العلوم إسلامية.

فأورد قول السيوطي في كتابه: "صون المنطق في ذكر من صرح بدم المنطق أو تحريمه من أئمة الإسلام: أما الصحابة رضي الله عنهم والتابعون وأتباعهم فلم يرد عنهم فيه التصريح بشيء لكونه لم يكن موجوداً في زمانهم، وإنما حدث في أواخر القرن الثاني... وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه حياً آنذاك فتكلم فيه، وهو أقدم من حطّ عليه.

يقول الشافعي: "ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس".

¹ - البيان والإنصاح إحدى معاني الإعراب، ولها معاني أخرى، ينظر: أبو البقاء بن الحسين العكبري، "اللباب في علل البناء والإعراب"، دار الفكر، ط1، 1995م، ص: 53، 52.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 60.

ونقل أيضا عن إبراهيم الحربي أنه قال: "صحبت الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل العربية سبعين سنة ما سمعت هذه المسائل التي أحدثت في هذا الوقت من أحد قط"¹.

كما نقل عن بن تيمية أنه قال: "لم يكن أحد من نظار المسلمين يلتفتون إلى طريق المنطقيين بل الأشعرية والمعتزلة والكرامية والشيعة وسائر الطوائف كانوا يعيونه ويشبتون فسادهم، وأول من خلط والمنطق بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي"².

وثار كثير من العلماء على المنطق، حتى الأدباء والشعراء، هذا البحتري يقول³:

كَلَّفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ ❖ وَالشَّعْرَ يَغْنِي عَنْ صَدَقِهِ الْكَذِبَا .

وفي ميدان النحو نذكر المناظرة المشهورة التي جرت بين أبي سعيد السرافي النحوي وأبي بشر متى المنطقي، فشدد فيها أبو سعيد على خصمه وما ترك له مجالاً للرد يقول له⁴: "إنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح بطريقتهم ونظرهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ناقصون، وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى"⁵.

وقال أيضاً: "فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة ولها اتصال شديد، وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أي لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به، وينصب عليه سواراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيئاً من خارجه، أن يدخل، خوفاً من

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 61.

² - المرجع السابق، ج1، ص: 61.

³ - المرجع نفسه، ج1، ص: 61.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 61.

⁵ - أبو حيان التوحيدي، "الإمتاع والمؤانسة"، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص: 109.

الاختلاط الجالب للفساد"¹. وهذا دليل قاطع أن النحاة العرب قد فرقوا بين اللغة والعقل أي بين النحو والمنطق وما رضوا بمزج هذا بذاك أو يجعلهما متوازيين.

2-2. دخول المنطق للنحو العربي:

لا أحد استطاع أن ينكر أنه رغم المقاومة الشديدة من بعض العلماء لهذا المنطق إلا أنه استطاع أن يدخل ويتغلغل في الثقافة الإسلامية وعلومها، وهي حقيقة لا يكاد ينفىها أي موضوعي. فهذا أستاذنا يؤرخ لهذا الدخول، وظهور المنطق في النحو العربي، بأن نفوا أن يكون الرماني (ت374هـ) أول من سلك طريق المناطقة في تحليله للعربية فقد أشار الزجاجي في كتابه (الإيضاح في علل النحو): أن لا بن كيسان (ت325هـ) في كتبه حدود للاسم غير هذا، هي من جنس حدود النحويين وحده في الكتاب المختار يمثل الحد الذي ذكرناه في كلام المنطقيين².

وحدد الزجاجي الاسم بما يقارب تحديد المناطقة، "صوت مقطّع مفهوم دالّ على معني، غير دالّ على زمان ، ولا مكان"³.

وقدم الأستاذ ظناً أن أول من استحسنا مزج النحو بالمنطق هم أصحاب الحدود النحوية، وهو الفراء (ت207هـ)، الذي أثر عنه أنه تعاطى الفلسفة، وقد ألف كتاب يحمل هذا الاسم (حدود النحو)، وهشام بن معاوية (ت209هـ) صاحب الكسائي، وقد ألف كتاباً أسماه (الحدود العربية)، وشكّ الأستاذ في تأثر الأخفش الأوسط (ت214هـ)، والمازني (ت249هـ)، أنهما تأثراً بالمنطق، وإن كان لم يجزم بذلك لعدم ثبوت النص⁴.

3-2. غزومنطق أريسطو الفكر العربي وامتزاجه بالنحو العربي:

¹ - المرجع نفسه، ص: 114.

² - أبو القاسم الزجاجي، "الإيضاح في علل النحو"، تح: مازن المبارك، دار العروبة، دط، 1959م، ص: 50.

³ - ابن فارس، "الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م، ص: 49.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 270.

فقد اعترف الأستاذ بدخول المنطق إلى النحو العربي وغروه إياه، وذلك على إثر ما حصل من تسرب للكثير من المفاهيم المنطقية في النحو العربي في نهاية القرن الثالث الهجري، فقد أعجب العلماء بما أدخل من الحدود على النحو مما سموه أوضاع المنطقيين، خاصة في الكثير مما جاء بعنوان مختص في النحو والذي آلف لتعليم العربية مثل الموجز لابن السراج، والجمال للزجاجي وغيرها.

يقول الأستاذ: أن فيها أثراً واضحاً للمنطق الأرسطي إلا أن النظرية الأساسية لم تُمس. فكأنَّ الحدود وبعض المفاهيم أضيفت فقط إلى ما عرف من حدود القدامن، ويضيف أن الكثير قد تنبه إلى وجود نظريتين مختلفتين في النحو، فنبهوا القراء لذلك، كما فعل الزجاجي في الإيضاح ومن جاء بعده ممن استساغ المفاهيم المنطقية، فميزوا فيما بعد بين الحد بالجنس، والفصل، وبين الحد بذكر الصفات اللازمة أي الخصائص أو العلامات وهو الحد العربي، وسموه (الحد بالرسم) تخليطاً بينه وبين الحد (الرسم المنطقي) ويقول بروكلمان¹: "والرأي الذي يتكرر دوماً عند علماء العرب هو أن علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة، بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم، ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي"². ويوضح الأستاذ أنه بعد ذلك بالغ بعض النحاة من المتأخرين فأدخل في النحو الكثير من المفاهيم الفلسفية المحضة، وأعطى مثلاً: ابن العريف في شرحه بحمل الزجاجي حيث يقول³: "قد يتركب الاسم مع الفعل فيكتفي به دون الحرف لأن العرض إذا اتصل بالجواهر اكتفى، وقام به، وكان موجوداً به"⁴.

ويرى الأستاذ أن إقحام هذه المفاهيم غير اللغوية، في الدراسة اللغوية ليس بالخطر الكبير إذا كانت المصطلحات تستعمل كما وضعت على أصلها، ولكن يرى أن الطاقة الكبرى في اختفاء المفهوم الأصيل مع بقاء اللفظ نفسه، واستبداله بمفهوم غريب عن النظرية الأصلية. مثل الخلط بين

¹ - المرجع نفسه، ص: 270، 271.

² - كارل بروكلمان، "تاريخ الأدب العربي"، الهيئة المصرية للكتاب، دط، 1994م، ص: 444.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 271.

⁴ - ابن العريف، "شرح لجمال الزجاجي"، مخطوط دار الكتب بمصر، ص: 8 نقلاً عن "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 271.

مفهوم السلوجسموس الأريسطو طاليس وبين القياس العربي الذي ينفي الأستاذ أن يكون مجموع مقدمتين ونتيجة بتاتا. وقال إن هذا وجد عند النحاة المحدثين¹.

فموضوع تأثر النحو العربي بالمنطق الأريسطي تناوله عدد كبير من النحاة العرب وإن اختلف هدف الدراسة فقد تناوله تمام حسان في كتابه (الأصول) واستدل على عدم تأثر النحو العربي بالمنطق الأريسطي باعتبار أن الثقافة العربية جزء من الثقافة الإسلامية فهي تحتكم إلى النصوص النقلية في أحكامها أكثر من النظر العقلي، قيل (لا يفسر القرآن إلا القرآن)، وأضاف أن الأمم التي كان لها الأثر الواضح في ثقافتنا العربية كالفارسية أيضا كانت لها هذه الثقافة النقلية باعتبار أن لها نصوصاً مقدمة.

وإن كان دليله هذا ليس قطعياً إذ يوجد في الثقافة الإسلامية الاجتهاد الذي يتطلب فكر عقلي، ولكن عاد ليؤكد أنه ليس من الضروري أن يكون هذا الفكر العقلي ممتداً من جذور يونانية، ليفرق لنا بين المنطق الطبيعي وإعمال الفكر في الأحكام النحوية².

وأيضاً عبده الراجحي في كتابه (النحو العربي والدرس الحديث) كتب في موضوع النحو العربي ومنطق أريسطو بهدف مغاير أيضاً، وهو تحقيق وصفية النحو العربي التي تقتضي وصف الواقع اللغوي كما هو دون أحكام عقلية التي سردها في النحو العربي إلى تأثيره بالمنطق الأريسطي فراح يسقط هذه الصفة بأدلة تاريخية جمعها حول علماء رفضوا أشكال المنطق مثلما وجدنا ذلك عند الأستاذ، والذي قام بمقابلة نصوص لأريسطو مع نصوص عربية، ووصل إلى نتيجة عدم تطابقهما³.

أما الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فإنه هدف من هذه الدراسة تحقيق، وتأكيد أصالة النحو العربي، ورأينا كيف أنه دافع عنها، وردّ شبهة تأثر النحو العربي بالمنطق الأريسطي في نشأته، وأزال هذا التشكيك في إمكانية إيداع العقل العربي، وتفوقه، وتصدى لهذه الحملة التي كان من وراء قيامها

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 271.

² - تمام حسان، "الأصول: دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، ص: 45، 51.

³ - عبده الراجحي، "النحو العربي والدرس الحديث"، ص: 61، 75.

المؤسسة الإستشراقية، ومن تبعها من العرب، والتي عمدت إلى ضرب جذور هذا الصرح الصامد عبر الزمن، الشاهد على عبقرية الفكر العربي الأصيل.

لذلك نجد الأستاذ في تصديه لهذه الثورة على النحو العربي قد ركّز على المستشرقين خاصة، وأتبع ذلك ببعض من تبني آراءهم من العرب وإن كان قد ذكر لنا بعضهم الذي برأ النحو العربي. وقد ركّز في رده على بعض رواد الجملة، وهو المستشرق (مركس) باعتبار من "أوائل من شنّ هجومه على النحو العربي، وأيضاً لما وجده الأستاذ عنده من قوة تأثير في كل من اطلع على آرائه لما تميزت به من قوة في الاحتياج والاستدلال. وما هو أستاذنا يردع أدلته بما قدم من شهادة العقل، والتاريخ ووجدناه قد حذى حذر من تقدمه من العلماء الأولين، وهو السرافي الذي كانت له مناظرة ردّ فيها حجج خصمه المنطقي متى بن يونس.

والأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كان رده على أساس علمي مقبول لأنه مسلّح بتقنيات البرهنة، وأساليب الاستدلال المعقولة التي جعلته يتمكن من فحص الأدلة، وأثبت بطلانها بما يحقق ذلك بأدلة عقلية، وتاريخية.

ليكتشف ويكشف لنا عن جهل (مركس) للتاريخ العربي بما في ذلك سرعة ظهور، وانتشار صرح الحضارة الإسلامية في جميع المجالات، ومنها النحو العربي الأصيل كشاهد على هذا الشموخ الحضاري، والفكري، ونلاحظ أن أدلة الأستاذ أدلة عقلية، وتنبّء عن فكر عبقرى، وحيوي قد فهم ذاته، وتعرف على الآخر معرفة جيدة، مما جعلته متمكناً وقادراً على ردع أدلة الخصم بأدلة أقوى منها، وما قدرته الفائقة على التعرف على الافتراضات التي ذكرها مركس سواء التاريخية منها أو العقلية إلاّ شاهداً على ذلك؛ بأن تمكّن من استيعاب هذه الافتراضات، وتقليبها في جميع جوانبها، ثم القدرة على تقويمها، وبالتالي الوصول إلى نتائج موضوعية بقدر الإمكان تتوافق ومبادئ العقل وحوادث التاريخ، ومن باب الموضوعية في الطرح لم ينكر الأستاذ تأثر النحو العربي بالمنطق الأريسطي، وإن كان ذلك بعد نشوئه، واكتماله، وأرخ لذلك بنهاية القرن الثاني الهجري، بعد أن عرض لأهم ما اتخذ

بعض العلماء العرب من وسائل لرفض دخول المنطق على علومهم. والأستاذ بذلك قد أثبت العربية أصالة نحوها، ومن ثم أصالة ثقافتنا العربية الإسلامية ككل¹.

¹ - ريجاني، "النحو العربي والمنطق الأرسطي"، منشورات: اتحاد الكتاب الجزائريين، 2005م، ص: 173.

الفصل الثاني

المنهج العلمي اللساني للنظرية الخيلية

- المبحث الأول: منهج النظرية الخيلية
- المبحث الثاني: المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية
- المبحث الثالث: نظرة الحاج صالح للخطاب التراثي.

المبحث الأول : منهج النظرية الخليلية

لقد اعتمد صاحب المدرسة مفاهيم استقاها من التراث النحوي الأصيل، وقبل أن نبين هذه المفاهيم نشير إلى أن الأستاذ قد بين أن هناك نحواً عربياً أصيلاً، وحصره في القرون الأربعة الأولى من الهجرة¹، وأن النحو العربي الخليلي لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل (أي باكتشاف الصفات المميزة)، وبالتالي لا يكفي بعملية الاشتمال، بل يتجاوز بإجراء الشيء أو حمل العنصر على الآخر²، فهو لا يكفي بالجنس الذي ليس إلا مجرد فئة تشترك عناصرها في صفة واحدة أو مجموع صفات بل يتجاوز ذلك بإجراء على آخر على حدّ تعبير النحاة، أي يجعلوا علاقة مباشرة بين العناصر التي توجد مجموعتين على الأقل لاستنباط البنية التي تجمعها جميعاً³.

وأبسط مثال في ذلك هو إثباتهم لصيغة الكلمة:⁴

فعل (تمثيل لبنية المجموعة) Simulation de la structure de l'ensemble	...ح	ن	ض	ك	تظنم (أو ترتيب) إجراء أو حمل شيء	
		م	ظ	ر		ت
		ل	ر	ب		ب
		مناسب (تكافؤ)				
← جنس = فئة →						

فالجامع بين هذه الوحدات ليس فقط جنسها (بل وقد لا تعتم بالجنس) بل البنية التي تجمعها. ولا يمكن أن تستخرج بإدخال بعضها في بعض بل بحمل كل جزء منها على نظيره إن كان هناك نظير

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - ص: 05. (المقدمة)

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1، ص: 212.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 37.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - ص: 22.

مع مراعاة انتظامها أي مع اعتبار كل جزء في موضعه، فالتحديد عند النحاة أكثره من هذا القبيل وهو يهتم في نفس الوقت بالحوين الاستبدالي والتركيبي بين التكافؤ (الانتماء) والنظم¹.

أما كيف يستنبطون البنى دون أن يستندوا إلى ظواهر التبليغ، فإن ذلك أساسه كل البحث عن "الجامع" أي عما يجمع بين أفراد الجنس الواحد، بالاعتماد لا على صفاتها المميزة فقط التي تجعلها تندرج في هذا الجنس بل بالنظر إلى هيئتها وزنتها^{2*}.

فكل هذه الأفراد التي تجمعها هيئتها تكون عندهم باباً وهي نظائر بعضها إزاء بعض لأنه يوجد فيما بينها تناظر لا مجرد تشابه إذ قد تختلف بعضها عن بعض اختلافاً شديداً³. وكلما اختلفت أكثر كان الجامع بينهما -إن وجد- أعمق والبحث عنه أقرب إلى المنهج العلمي كما يتصوره علماء الفيزياء والأحياء في عصرنا هذا⁴.

ويلجأون في ذلك إلى "حمل" هذه الأفراد بعضها على بعض وذلك يجعل كل جزء منها إزاء الجزء الذي يقابله في المرتبة⁵ ويعتمدون ههنا، مثل البنيوية، على مقياس التكافؤ وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء (الاستبدال في الاصطلاح اللساني الحديث)⁶.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات"، ص: 212، وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دار راجعي للنشر، دط، 2010، ص: 135.

* - يقول سيبويه: "لأنها في العدة والزنة والزيادة واحدة". أي عدد المكونات الصوتية وترتيبها كل في موضعه وكون المكونات زائدة أو أصلية"، ينظر الكتاب، ج2، ص: 208.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، البحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 37. عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 44.

3- المرجع نفسه، ص: 37.

4- المرجع نفسه، ص: 37. وينظر: "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 171.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 171.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 37.

وهكذا فإن النحو حسب أصحاب النظرية الخليلية كله مثل تبنى عليها كل وحدات اللغة أفراداً وتركيباً، وعلى هذا فمثال الكلمة هو وزنها والعلاقة التي تربط بين عناصر الكلمة هي علاقة بناء لأن حذف أي عنصر يقتضي زوال هذه الكلمة مثل حرف "م" في كلمة "مكرم"¹

فالفئة (La classe) عندهم ليست أبداً بسيطة أي مبنية على الكيف (Qualitatif) تحددها صفة مميزة فقط بل في الوقت نفسه على الكيف والكم، والكم هو هنا العدة مع الترتيب بمراعاة كل شيء في موضعه².

وقد أشار إلى ذلك الرضي الاسترابادي في حديثه عن الصيغة: المراد ببناء الكلمة وزنها وصيغتها وهيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه³.

إلا أن البنوية تريد بذلك أن تعرف عن الجزء من الكلام هل هو وحدة قائمة بنفسهامورفيماً وفونيمكليفيمستواه) وبالتالي ما هو جنسه⁴. أما النحاة العرب فيريدون أن يكتشفوا لا عن هوية الجزء وجنسه فقط بل عن مكانته ودوره في المجموعة من أجزاء العبارة التي ينحصر فيها، فبذلك تتحدد هويته لا بإدراجه في فئة بسيطة بل ببنائه، أو بتركيبه في مجموعة مرتبة، لكل جزء منها موضع خاص

¹ - Hadj Salah A, Linguistique arabe et linguistique générale, Essai de méthodologie et d'épistémologie du Ilm Alarabiyya Paris 1979. T2.P: 175.

وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص: 48.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 1، ص: 212-213.

³ - رضي الدين الاسترابادي، "شرح الشافية"، ط القاهرة، 1358هـ، ص: ... وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، منشورات الجمع الجزائري للغة العربية، دار راجعي للنشر، دط، 2010، ص: 167.

* - وفي الوقت نفسه تدرجها في صنف من أصناف الوحدات، ودليلها في تلك هو فقط تكافؤهما في المحو الاستبدالي (Prodignratic) مع أجزاء أخرى سبق أن عرفت كوحدات، ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة" - مفاهيمها الأساسية - ص: 21-22.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 37.

يؤدي فيه عملاً وضعياً خاصاً¹، وهذه المجموعة بهذا المعنى الرياضي هو الذي يسمونه باباً واحداً وقياساً، ورسمه وتمثيله يسمى عندهم مثلاً². وهو مفهوم اعتباري منطقي رياضي³. ولكل مستوى من مستويات اللغة حدود خاصة به. لنأخذ مثلاً مستوى الكلم المتمكنة، فحدودها ومثلها في هذا المستوى هو من قبيل البناء، ويعنون بع أن أجزائها مبنية بعضها على بعض على مثال معين بحيث لا يمكن أن تحذف إلا بتلاشي الكلمة كلها⁴.

ويمكن أن نصور هذه العمليات الحملية في هذا المستوى هكذا⁵:

(أ = مكتب) ⇔ (ب = ملعب) ⇔ (ج = مجلس) ⇔ المثال الجامع = مفاعل.

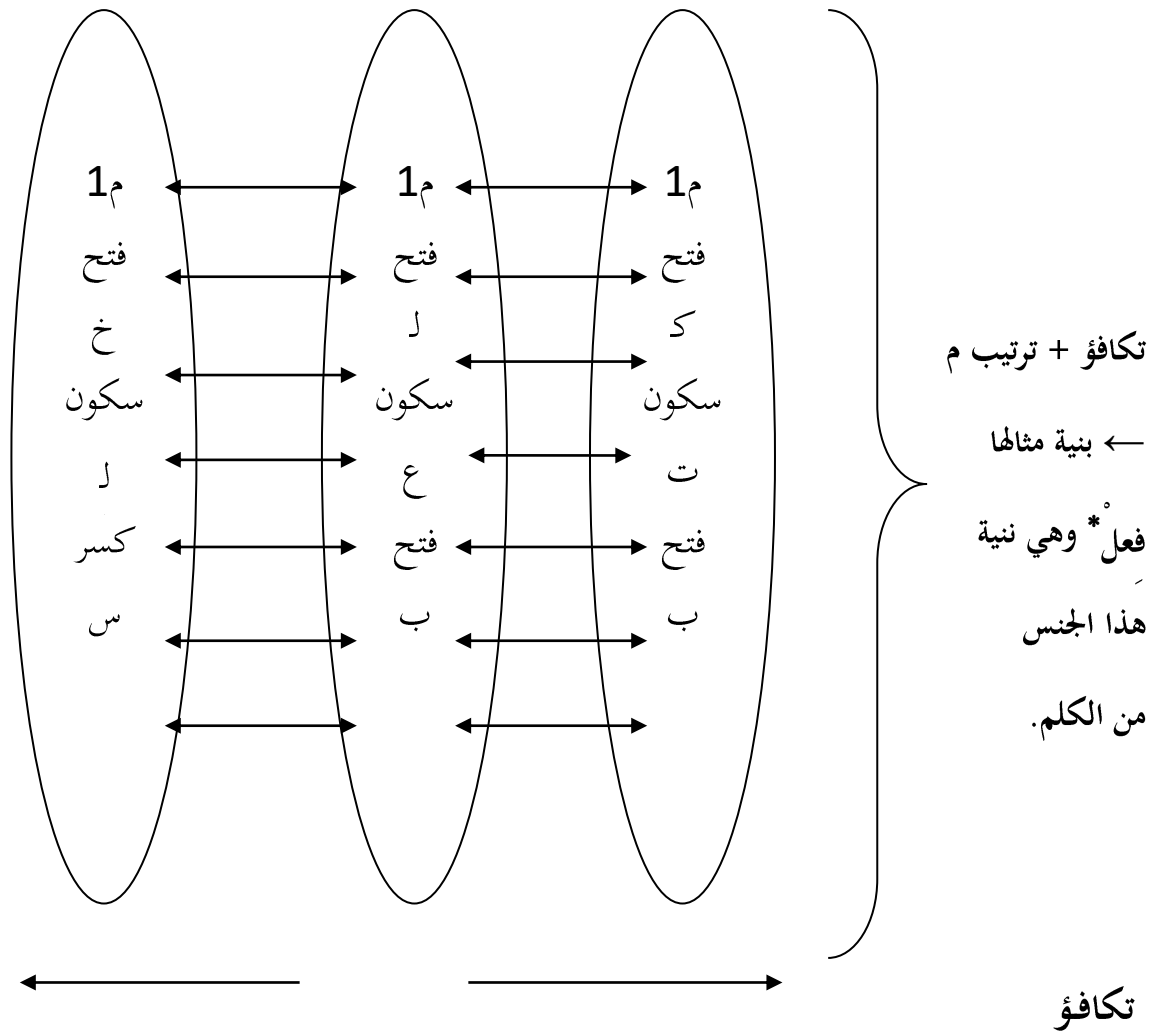
¹ - صالح بلعيد، "مقالات لغوية"، ص: 44، ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص37-38.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 164-165.

³ - المرجع نفسه، ص: 165.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 95، وينظر: "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 170.

⁵ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 38-78.



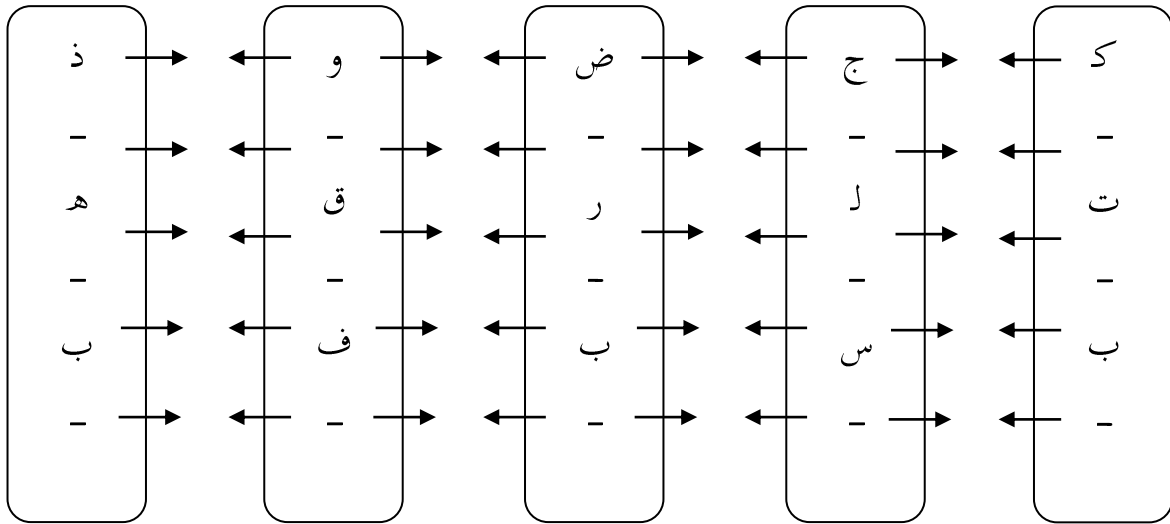
* - ومثل: "مقام" فيتضح بالجمل المشار إليه والرجوع إلى أصلها أن الواو قد قلبت حرف مد فيبحثون عندئذ عن العلة أي عما "صده عن وجهه" على حد تعبير الخليل وغالبا ما يلجؤون في التعليل إلى ظاهري الاقتصاد والفرق أو طرد الباب أو غير ذلك. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 38-39.

فالمقياس والحد هنا ناتج عن انتماء كل من "مكتب" و "ملعب" و "مجلس" إلى جنس واحد وهو اسم المكان من الثلاثي، وفي الوقت نفسه من تواجد عناصر على ترتيب معين في كل واحد منها، ولولا الترتيب المعين لما كان هناك قياس أو حد، ويؤدي هذا الحمل إلى تجريد رياضي لا يكتفى فيه بتجريد الصفات المشتركة التي ينتج منها الجنس (الفئة البسيطة) بل إلى بنية مجردة وهي مثال الكلمة وتمثل فيها المتغيرات برموز* (ف ا ع ا ل) والثوابت بالبقاء على أصلها¹.

والبناء هو العملية التي تتركب بها العناصر، وتركيب أي عنصر يخضع لمقاييس مضبوطة في صورة حدود إجرائية تسمى المثال، وقد ضبط النحاة الأوائل مقاييس للحصول على جميع المثل، وهو ما يعرف عندهم بقسمة التراكيب (Combinatoire)².

مثلاً على مستوى الكلمة نأخذ: التوافق الخاص بين الأفعال على وزن فَعَلَ³.

مثلاً:



*- مثل هذه الرموز الرياضية تماماً (الغاء تمثل أي حرف صامت في العربية في المرتبة الأولى وهكذا). ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 168-169.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 39. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 124.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية ضرورة استثمار التراث الخليلي، بحث ألقى في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهان، نوفمبر 1998، ص: 07.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 168.

فالكاف في "كتب" هي بمنزلة "الجيم" في "جلس" والضاد في "ضرب" والواو في "وقف"، والذال في "ذهب"، كلُّهن يقعن في موضع واحد وهو موضع الحرف الأصلي الأول، وقس على ذلك موضع الحرف الأصلي الثاني والثالث، فهي متكافئة مهما كانت مادتها وهويتها فهي نظائر بهذا الاعتبار وهذا التكافؤ¹.

وأي حرف أصلي يمكن أن يقع في هذه المواضع². ولهذا السبب رمزوا إلى كل الحروف الواقعة في الموضع الأول بالفاء والموضع الثاني بالعين وفي الموضع الثالث باللام³.

فهذه رموز رياضية بحتة لأنها تدلّ على متغيرات (أي حرف صامت من صوامت العربية) بمراعاة الترتيب الخاص بالثلاثي⁴.

أما الحركات والسكنات والحروف الزائدة فهي ثوابت بخلاف الحروف الأصلية لأن استبدالها بحركة أخرى أو بسكون أو بحرف آخر يتغير وزن الكلمة⁵، وفي الجدول السابق يمكن أن نلاحظ بالفعل أن الحروف الأصلية متغيرة هي كلمة إلى أخرى، وهي متكافئة من حيث أنها صوامت تقع في نفس الموضع⁶. أما الحركات فهي في كل كلمة ههنا فتحة في الموضع الذي يلي موضع الحرف الأصلي الأول والموضع الذي يلي الحرف الأصلي الثاني⁷.

كما نجد أن ابن جني في كتابه "الخصائص" قد تناول محوراً أو فصلاً سماه "حمل الشيء على الشيء" إذ يقول: "اعلم أن هذا باب طريقه الشبه اللفظي، وذلك كقولنا في الإضافة إلى ما فيه

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 169.

2- المرجع نفسه، ص: 169.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 67-69.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 169.

5- ينظر: "البنى النحوية العربية"، ص: 47-67-68.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 169.

7- المرجع نفسه، ص: 169.

التأنيث بالواو، وذلك نحو حمراوي، وصفراوي، وعشراوي، وإنما قلبت الهمزة فيه ولم تقرر بحالها لئلا تقع علامة التأنيث حشواً. فمضى هذا على هذا لا يختلف¹.

ثم إنهم قالوا في الإضافة إلى علباء: علباوي، وإلى حرباء: حرباوي فإبدلوا هذه الهمزة وإن لم تكن للتأنيث، لكنها لما شابهت همزة حمراء ولباء بالزيادة حملوا عليها همزة علباء. ونحن نعلم أن همزة حمراء لم تقلب في حمراوي لكونها زائدة فتشبه بها همزة علباء من حيث كانت زائدة مثلها لكننا لما اتَّفقتا في الزيادة حملت همزة علباء على همزة حمراء. ثم إنهما تجاوزا هذا إلى أن قالوا في كساء، وقضاء: كساوي، وقضاوي، فأبدلوا الهمزة واواً، حملاً لها على همزة علباء، من حيث كانت همزة كساء مبدلة من حرف ليس للتأنيث، فهذه علة غير الأولى، ألا تراك لم تبدل همزة علباء واواً في علباوي لأنها ليست للتأنيث، فتحمل عليها همزة كساء وقضاء من حيث كانتا لغير التأنيث².

ثم إنهم قالوا من بعد في قراء: قراوي، فشبهوا همزة قراء بهمزة كساء من حيث كانتا أصلاً غير زائدة، كما في همزة كساء غير زائدة. وأنت لم تكن أبدلت همزة كساء في كساوي من حيث كانتا غير زائدة، لكن هذه أشباه لفظية يحمل أحدهما على ما قبله، تشبثا به وتصورا له³. وإليه وإلى نحوه أوماً سيبويه بقوله: "ليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها"⁴.

كما يقول: "وعلى ذلك قالوا صحراوات، فأبدلوا الهمزة واواً لئلا يجمعوا بين علمي تأنيث، ثم حملوا التنثية عليه من حيث كان هذا الجمع على طريق التنثية، ثم قالوا: علباوان حملاً بالزيادة على حمراوان، ثم قالوا: كساوان تشبيهاً له بعلباوان، ثم قالوا: قراوان حملاً له على كساوان، على ما تقدم"⁵.

1- ابن جني، "الخصائص"، ص: 102.

2- المصدر نفسه، ص: 102.

3- ابن جني، "الخصائص"، ص: 102.

4- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 32.

5- ابن جني، "الخصائص"، ص: 102.

ثم يبين ابن جني أن سبب هذه الحمول والإضافات والإلحاقات كثرة هذه اللغة وسعتها، وغلبة حاجة أهلها إلى التصرف فيها، والترجح في أثنائها، لما يلابسونه ويكثرون استعماله من الكلام المنثور والشعر الموزون، والخطب والسجوع، ولقوة إحساسهم في كل شيء شيئاً وتحيلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألّف مذاهبهم. وعلى هذا ما صنع الصرف من الأسماء للشبه اللفظي نحو: أحمر، وأصفر، وأصرم، وأحمد، وتألّب وتنضب علمين، لما في ذلك من شبه لفظ الفعل، فحذفوا التنوين من الاسم لمشابهته ما لا حصّة له من التنوين، وهو الفعل. والشبه اللفظي كثير¹.

نستنتج مما سبق أن حمل الشيء على الشيء أي ألفاظ على أخرى يستدعي تغيير بعض الأصوات من أجل خدمة البنية الصرفية لأن المستويات اللغوية غير مفصولة عن بعضها البعض.

المبحث الثاني : المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية

1- الاستقامة والإحالة من الكلام:

إنّ الكلام عند النحاة العرب القدامى له مستويان: أحدهما أصل والآخر فرع لكل منهما اعتبارات وموضعه من التحليل، فأما الأصل فهو اللفظ في أبسط أحواله أي: حال خلوه من العلامات والزوائد²، ويأخذ حده على الوضع الذي وضع عليه عند النحاة ولا ينظر فيه إلى المعنى بأي حال من الأحوال، وهو منطلق التحليل، وذلك كحدّ الفعل (التعريف الإجرائي عند النحاة) فهم يحدونه بأنّه: «ما تدخل عليه زوائد معينة كقد والشيء، ويتصل به الضمير في بعض صيغته»³.

¹ - ابن جني، "الخصائص"، ص: 102.

² - الأصل (La racine) في النظرية الخليلية: «ما يبني عليه ولم يبن عليه غيره... ويستقل بنفسه؛ أي يوجد في الكلام وحده ولا يحتاج إلى علامة لتمييزه عن فروعه فله العلامة العدمية (Marque Zéro)»، ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "ينطلق العرب في علوم اللسان"، ص. 139-140، وكذلك عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، 217/1.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، 218/1-219؛ وينظر أيضاً: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية"، ص. 31.

ويمكن أن يفرع على ذلك باعتبار المعنى المتبادر من الكلمة فيقال مثلاً: «الفعل ما دلّ على معنى في نفسه واقترن»¹.

وهذا من باب الاستثناس وهو مفيد جداً لكنه لا يدخل في الحدّ النحوي الإجرائي، فالخليليون يميزون بين الحدود الإجرائية (Définition Opérationnelles) التي تنطلق دائماً وأبداً من اللفظ وما يكتنفه من زوائد لازمة تجري معه في مجرى واحد خلال السلسلة الكلامية، والحدود الوضعية (Définition Descriptifs) التي تركز على جزئيات عامة تتصل بالمعنى²، يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: «النحو العربي الأصيل [الخليل ومدرسته] هو في جوهره إجرائي، ونعني بذلك أنه يحدّد ويولّد في الوقت نفسه الكيانات النحوية بتحديد كيفية حصولها وتحقيقها»³.

في الباب المسمى: (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) يحرر سيبويه التمييز الحاسم بين اللفظ والمعنى من جهة، وبين الوضع أو (القياس) والاستعمال من جهة أخرى⁴.

وجزم صاحب النظرية الخليلية أنّ الخليل وسيبويه هما أول من صرحا بهذا التمييز واعتل له وبرهن عليه فقال: «سبويه على إثر الخليل هو أول من ميز بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظم العام الذي يميز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين»⁵.

1- السيوطي، "مع الهوامع"، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1998، 22/1.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية"، ص. 75-76.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، 78/2.

4- سيبويه، "الكتاب"، طبعة بولاق، تحقيق: جماعي، المطبعة الأمريكية الكبرى، مصر، ط1، (1316هـ-1906م)، 25/1؛ وينظر كذلك: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة- مفاهيمها الأساسية"، ص. 30-31.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ص. 218؛ وكذلك: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، جزء الدراسات الأجنبية، 74/1.

*- المستقيم الحسن وترجمته بال(Grammatical et Acceptable)

وينتج من هذا التمييز مجموعة مراتب في الكلام المحصل ذكرها سيويه وشرافة نوضحها كما يلي:

يقول سيويه: «أما المستقيم الحسن* فقولك: أتيتك أمس سآتيك غداً»¹.

وهذا كما قال؛ لأن ظاهره مستقيم اللفظ، والإعراب غير دال على كذب قائله، وكذلك كل كلام تكلم به متكلم، فأمكن أن يكون على ما قال، ولم يكن في لفظه خلل من جهة اللغة والنحو، فهو كلام مستقيم في الظاهر، وقد تبين في مثل هذا أن قائله كاذب فيما قاله، فتحكم على كلامه أنه كذب غير مستقيم من حيث كذباً، إلا أنه مستقيم اللفظ... غير أن الذي استعمله سيويه في المستقيم، أن يكون مستقيم اللفظ والإعراب فقط، وعنى بمستقيم اللفظ والإعراب أن يكون جائزاً في كلام العرب؛ دون أن يكون مختاراً².

وقال السيرافي (ت. 368هـ): «المستقيم ما كان على القصد (النحو) سالماً من اللحن»³.

وقال الرماني (ت. 384هـ): «المستقيم من الكلام هو الجاري على أصل صحيح، فإن كان في اللفظ فقط فهو مستقيم فيه بهذا التقييد، وإن كان في المعنى فقط فهو مستقيم فيه، وإن كان في المعنى واللفظ فهو مستقيم على الإطلاق وهو الجاري على أصل صحيح في اللفظ والمعنى»⁴؛ أي الجاري على أصل هو أولي.

وبناء على هذا، فإن المستقيم الحسن هو: «السليم (من الكلام) في القياس والاستعمال»⁵. أما المحال* أن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: "أتيتك غداً وسآتيك أمس"¹.

1- سيويه، "الكتاب"، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، 25/1.

2- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، تح: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2008، 186/1.

3- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، تحقيق: جماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1986، 92/2.

4- محمد إبراهيم يوسف شبية، "شرح كتاب سيويه لعلي بن عيسى الرماني"، المجلد الأول، رسالة دكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى، ص: 150.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 218.

*- المحال: وترجمته Asémantique

ويقول السيرافي (ت.368هـ): «وأما المحال فأن تنقض أول كلامك، فتقول: "أتيتك غدا، وسأتيتك أمس"»².

فهذا كلام محال؛ ومعنى المحال أن أحيل هو وجهه المستقيم، الذي به يفهم المعنى إذا تكلم به³.

ويقول أيضا: «وزعم قوم أن المحال هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادان...»⁴.

ويقول الرماني: «والمحال هو الذي ليس له معنى يمكن أن يعتقد لتناقضه، نحو: (سوف أتيتك أمس)، و(أتيتك غدا)»⁵.

ويستنتج من هذا أن المحال هو مرتبة موجودة في الكلام مثله كمثل المستقيم تماما وهو ليس مقابلاً له أو عكساً له كما هو ظاهر القسمة، ولذلك يمكن أن يستقيم في القياس والاستعمال⁶، وفساده منعقد على المعنى المحتمل فيه.

أما المستقيم الكذب*، فقولته: "حملت الجبل"، "وشربت ماء البحر" ونحوه⁷.

يقول السيرافي: «وإنما خص "حملت الجبل" و"شربت ماء البحر" بالكذب لأن ظاهرهما يدل على كذب قائلهما، قبل التصفح والبحث، وإلا فكل كلام تكلم به وكان مخبره على خلاف ما يوجبه

1- سيويه، "الكتاب"، 25/1.

2- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، 186/2.

3- المصدر نفسه، 186/2.

4- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، 90/1.

5- محمد إبراهيم يوسف شيبه، "شرح كتاب سيويه لعلي بن عيسى الرماني"، ج1، ص:150.

6 قال الأستاذ الحاج صالح: «المحال قد يكون سليماً في القياس والاستعمال لكنه غير سليم من حيث المعنى»، أنظر: عبد الرحمن

الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص:218.

*- المستقيم الكذب: Grammatical mais Invraisemblable.

7- سيويه، "الكتاب" ج1، ص:26.

الظاهر فهو كذب، علم أو لم يعلم مقول القائل: "لقيت زيدا اليوم" و"اشتريت ثوبا"، إذا لم يكن الأمر على ما قال، فهو مستقيم كذب»¹.

يقول الرماني: «والمستقيم الكذب إنما هو مستقيم في اللفظ فقط كالخبر الجاري على أصل صحيح في اللفظ مما مخبره على خلاف مما هو به»².

فالاستقامة هنا في اللفظ فقط وهذا يؤكد التمييز الصريح الذي يقيمه الخليليون بينهما.

وأما المستقيم القبيح*؛ فإن تصنع اللفظ في غير موضعه، وهو قولك: "قد زيدا رأيت" و"كي زيدا يأتيك" وأشباه هذا³.

يقول السيرافي (ت.368هـ): «وإنما قبح هذا لأن من حكم "قد" أن يليها الفعل، ولا يفارقها لأنها جعلت مع الفعل بمنزلة الألف واللام مع الاسم، وكذلك "سوف" مع الفعل، فقبح أن يفصل بين "قد" وبين الفعل بالاسم؛ لما ذكرنا من شبه الألف واللام، وكي قد جعلت بمعنى "أن" أو بمعنى اللام، إذا قلت: "جئتك كي يأتيك زيد"، فهو بمعنى ليأتيك زيد، ولأن يأتيك زيد، فحكم الفعل أن يليها دون الاسم؛ إذا كانت بمحل "أن"، فلا يلاءم إياها الاسم وضع الكلام في غير موضعه»⁴.

فإن قال قائل: كيف جاز أن يسميه مستقيماً قبيحاً؟ وهل هذا بمنزلة قوله: حسن قبيح؟ لأن المستقيم هو الحسن.

فإن الجواب في ذلك ينقسم إلى قسمين: كلام ملحون، وكلام غير ملحون؛ فالملحون هو الذي لحن به عن القصد، وكذلك معنى اللحن، إنما هو العدول عن قصد الكلام إلى غيره. وما لم يكن

¹ - السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، 90/1؛ ينظر كذلك: الشنمري، "النكت في تفسير كتاب سيويه"، تح: رشيد بلحبيب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 204/1.

² - محمد إبراهيم يوسف شبية، "شرح كتاب سيويه لعلي بن عيسى الرماني"، 150/1-151.

* - المستقيم القبيح: Grammatical mais non-Acceptable.

³ - سيويه، "الكتاب"، 25/1.

⁴ - السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، 187/1.

ملحونا فهو على القصد، وعلى النحو، ومن ذلك سمي النحو نحواً، والمستقيم من طريق النحو هو ما كان على القصد سالماً من اللحن، فإذا قال: "قد زيدا رأيت" فهو سالم من اللحن، فكان مستقيماً من هذه الجهة، وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فكان قبيحاً من هذه الجهة¹.

وبالتالي وضح السيرافي أن وجه استقامته هو عدم اشتغال على اللحن، ووجه قبحه إنما هو وضع اللفظ في غير موضعه، وهذا يعني أن مرتبة القبح مقابلة لمرتبة الحسن وكلاهما من سلوك الناطقين أنفسهم، وليس النحوي في هذا أي دخل.

يقول الرماني (ت. 384هـ): «والمستقيم القبيح هو الجاري على أصل ليس بأولى، فأما (زيداً ضربته) فهو مستقيم ضعيف، ويقال في الضعيف: قبيح، إذا كان يجوز على بعض الوجوه»².

ويقول أيضاً: «وإذا قيل: "قد زيدا رأيت" فهذا مستقيم قبيح؛ لوضع الاسم في غير موضعه»³.

وهذا ما ذهب إليه صاحب النظرية الخليلية حيث قال: «إنَّ المستقيم القبيح: "غير لحن لكنه خارج عن القياس وقليل»⁴.

أي أنه قليل في الاستعمال لأنَّ الناطقين هم أنفسهم لا يرضونه ولا يكثررون منه.

وأما المحال الكذب* فان تقول: "سوف اشرب ماء البحر أمس"⁵.

يقول السيرافي: «فهو محال كذب؛ فأما استحالته؛ فلا اجتماع "سوف" و"أمس" فيه وهما يتناقضان ويتعاقبان. وأما الكذب فيه، فإننا لو أزلنا عنه "أمس" الذي يوجب المناقضة والإحالة لبقى كذباً»¹.

¹ - المصدر نفسه، ص. 187، وينظر: الأعلام الشنتمري، "النكت في تفسير كتاب سيويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغيره"، دراسة وتحقيق: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ط، 1420هـ/1999م، 1/204.

² - محمد إبراهيم يوسف شبية، "شرح كتاب سيويه لعلي بن عيسى الرماني"، 1/150.

³ - المرجع نفسه، 1/151.

* - المحال الكذب: Asémantique et Invraisemblable.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 218.

⁵ - سيويه، "الكتاب"، 1/25.

وقد ذكر سيويه المحال في موضعين؛ فقال في أحدهما: «وأما المحال أن تنقض أول كلامك، فنقول: "أتيتك غداً"، و"سأتيك أمس"، وقال في الموضع الآخر: "فأما المحال" ولم يقل: "المحال الكذب"، وقال في الثاني: "المحال الكذب"، غير أنه مثل الأول بشيء هو محال كذب أيضاً، وإنما أجهم الأول؛ لأنّ المحال قد يكون كذباً وغير كذب، غير أن الذي يجمع ذلك كله تناقض اللفظ فيه»².

"فأما المحال الذي ليس بكذب، فاللفظ الذي يستحيل في الأمر، وفي الاستفهام، وفي موضع لا يقع فيه الكذب؛ كقولك لمن تأمره: "قم أمس"، ولم تستفهمه: "أستقوم أمس؟" و"هل قمت غداً؟"، والمحال الكذب قد مر، فحصل من ذلك أنّ المحال على ضربين: كذب وغير كذب، والكذب على ضربين: محال وغير محال"³.

وبالتالي كلتا الصفتين ملازمتين للمعنى؛ فالاستحالة توجب التناقض، والكذب يوجب ذكر الشيء على خلاف مما هو عليه، مع إمكان أن يكون اللفظ على القياس وموجوداً في الاستعمال. وقد ذهب الرماني: «إلى أن المحال الكذب هو الخبر الذي له معنى يمكن أن يعتقد، إلا أنه مضمن بالتناقض، إذ قد ظهر أنه لم يخل من الأعراض الحادثة فكأنه قيل: (الجسم قديم لم يزل) على أنه لم يخل من الأعراض الحادثة، ولو قيل هكذا كان محالاً ليس بكذب، لأنه ليس له معنى على هذه الجهة يمكن أن يعتقد فحكهما مختلف في الإطلاق والتقييد على ما بينا»⁴.

وبالتالي يرى الرماني أن "المحال الكذب" فيه معنى يمكن أن يعتقد إلا أنه مضمن بالتناقض وهذا التناقض فيه: "إنما يظهر بالدلائل لا بنفس معناه"⁵.

1- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، 187/1.

2- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، 188/1.

3- المصدر نفسه، 188/1.

4- محمد إبراهيم يوسف شبية، "شرح كتاب سيويه لعلي بن عيسى الرماني"، ص. 151.

5- المرجع نفسه، ص. 151.

إنّ هذا التحليل الذي ينتهي إلى التمييز الحاسم بين اللفظ واعتباراته وبين المعنى واعتباراته، على الرغم من أنّه يبدو بديهياً، إلاّ أنّ اللسانيات الحديثة لم تتفطنّ إليه إلاّ مؤخراً، وفي النحو العربي وقع الخلط بصورة واضحة في هذه المسألة المهمة ولاسيما في تعريف أصول الكلام أو حدّها كما يقول القدامى، فالفعل كلمة لها معنى هي حقاً ما يمكن أن يقال فيه مثلاً: الحدث المقترن بزمان، أو ما يدلّ على حدث وزمان¹.

أما النحوي فلا ينظر ابتداءً إلاّ إلى الوضع الأصلي لهذه الكلمة خالياً عن أي معنى، فعندما يقول: «الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء رتبت لما مضى ولما يكون ولم يقع، ولما هو كائن لم ينقطع»².

ويقول أيضاً: «وزعم قوم أنّ المحال اجتماع المتضادان كالقيام والقعود، والبياض والسواد، وما أشبه ذلك؛ قالوا: لأنّ المحال ما لا يصح وجوده، والكلام الفاسد الذي ذكرتموه من قول القائل: "أتيتك غداً"، وسأتيك أمس" كلام موجود، على ما فيه من الفساد والخلل، والمحال لا يوجد»³.

والذي نقول في هذا، وبالله التوفيق: إنّ المحال هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادات وقولنا، إنّ القعود والقيام اجتماعهما محال، إنّما نريد به الكلام الذي يوجب اجتماعهما محال، قد أحيل عن وجهه، ألا ترى أنك تقول لمن تكلم به: قد أحلت في كلامك؛ فالكلام هو المحال، كما أنّ الكلام هو الكذب⁴.

عقد سيوييه في مطلع كتابه بابا سماه "باب الاستقامة من الكلام والإحالة" استعمل فيه مصطلحي "الاستقامة والإحالة" للإبانة عن أصناف الجمل العربية والتفريق بين ما يجوز من أوجه التراكيب النحوية وما لا يجوز منها، فقال: «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 218-219.

2- سيوييه، "الكتاب"، 12/1.

3- السيرافي، "شرح كتاب سيوييه"، 186/1.

4- المرجع نفسه، 186/1.

قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن؛ فقولك: "أتيتك أمس وسأتيك غداً". وأما المحال؛
فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: "أتيتك غداً وسأتيك أمس". أما المستقيم الكذب؛ قولك:
"حملت الجبل"، و"شربت ماء البحر" ونحوه. وأما المستقيم القبيح؛ فإن تضع اللفظ في غير موضعه،
نحو قولك: "قد زيداً رأيت"، و"كي زيداً يأتبك" وأشباه هذا. وأما المحال الكذب؛ فإن تقول:
"سوف أشرب ماء البحر أمس"¹.

يريد سيبويه بالاستقامة أنه نطق به وسمع، ويريد بالقبح أنه لم يأت نثر قط، فاستعماله في المنثور
يعدّ قبيحاً، واستعماله في الشعر جائز، ويتكلم عن المحال فيقول: «هو مستحيل من حيث سلامة
المعنى وسليم في التركيب كقولك: "أتيتك أمس"، وهذا دليل على أن اللغة هي أداة مسخرة لكل
شيء حتى المحال»².

فهذا النص هو نص موجز يكون في حقيقته بذور نظرية نحوية دلالية، إذ تندمج قوانين النحو
مع قوانين الدلالة، ويمكن أن يسمى المعنى النحوي الدلالي³.

ويذكر أحد الباحثين المحدثين⁴ أن سيبويه تجهل أنواعاً من الكلام كالغلط والخطأ واللغو⁵
مستنداً في ذلك إلى قول الأعلام الشنتمري (ت.476هـ) في بيانه معنى أقسام الكلام الواردة عند
سيبويه؛ إذ قال الأعلام: «فإنما خص "حملت الجبل" و"شربت ماء البحر" لأن هذا يدل على كذب
قائلها قبل التصريح والبحث، وإلا فكل كلام تكلم به مخبره على خلاف ما يوجبه الظاهر، كذب علم
أو لم يعلم». وأما قوله: «المستقيم القبيح» لأن المستقيم هو الحسن؛ فالجواب أن الكلام ضربين:
كلام ملحون وكلام غير ملحون، والملحون هو الذي لحن فيه عن القصد؛ أي عدل عن وجهه إلى

1- سيبويه، "الكتاب"، 25/1.

2- ينظر: التواتي بن التواتي، "المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث"، ص.63.

3- ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، "النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، دار الشروق، القاهرة، ط1،
1983، ص.61.

4- من هؤلاء المحدثين: محمد سالم صالح.

5- ينظر: محمد سالم صالح، "الدلالة والتفعيد النحوي- دراسة في فكر سيبويه"، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006، ص.143.

غيره، وما لم يكن ملحونا فهو على القصد وعلى النحو، فالمستقيم من طريق النحو، هو ما كان عن القصد سالماً من اللحن، فإذا قلت: "قد زيدا رأيت" فهو سالم من اللحن، فكان مستقيماً من هذه الجهة وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فهو قبيح من جهة أخرى»¹.

قال الأخفش: «ومنه الخطأ، وهو ما لا يتعمده نحو قولك: "ضربت زيدا" هذا من جهة اللفظ مستقيم، فيقال فيه على قياس ما مضى من الباب: مستقيم كذب، ومستقيم قبيح، إلا أن سيويوه لم يذكر هذا القسم لأن لفظه لا يدل على أنه خطأ، وإنما ظاهره أنه صواب، وإنما حكى سيويوه أقساماً ظاهرها دال على ما قصد به فاعلم»².

ويبدو لنا أن ما قصده عبد الرحمن الحاج صالح من أن "المستقيم الحسن = سليم في القياس والاستعمال"، بأنه ما كان مستقيماً في اللفظ والتركيب (الإعراب)، وهو في الوقت نفسه لا يدل على كذب قائله، فالحكم بالاستقامة يأتي من جهة اللفظ والإعراب، يقول السيرافي في ذلك: «وكذلك كل كلام تكلم فأمكن أن يكون على ما قال - أي هو حسن غير كذب - ولم يكن في لفظه خلل من جهة اللغة والنحو فهو كلام مستقيم³، ثم يحسم معيار الاستقامة بشكل قاطع بقوله: غير أن الذي استعمله سيويوه في المستقيم يكون مستقيم اللفظ والإعراب فقط»⁴.

يتضح لنا أن معيار الاستقامة عند الحاج صالح هو استقامة اللفظ والإعراب أو - بعبارة - القياس والاستعمال، ومن ثم فصل بين أن يكون التركيب مستقيماً وبين كونه محالاً الذي قد يكون سليماً في القياس والاستعمال لكنه غير سليم من حيث المعنى، وبهذا يظهر لنا أن ما يقصده عبد الرحمن الحاج صالح من المحال أنه غير سليم من حيث المعنى، وهو يخص افتراضات النحاة أنفسهم وليس عدم السلامة في كلام العرب، ويسميه السيرافي "مستقيم محال" أو "المحال الذي ليس بكذب"؛

1- الأعلام الشنمري، "النكت في تفسير كتاب سيويوه"، 204/1.

2- الأعلام الشنمري، "النكت في تفسير كتاب سيويوه"، 204/1.

3- السيرافي، "شرح كتاب سيويوه"، 186/1.

4- المرجع نفسه، 186/1.

أي اللفظ الذي يستحيل في الأمر، وفي الاستفهام، وفي موضع لا يقع فيه الكذب؛ كقولك لمن تأمره: قم أمس، ولمن تستفهمه: "أ ستقوم أمس؟ وهل قمت غداً..."¹.

أما المستقيم القبيح = غير لحن لكنّه خارج عن القياس وقليل²، فقد قصد الحاج صالح أنه لم يحدث تصادم بين الوظائف النحوية في علاقاتها مع دلالة المفردات التي شغلتها، غير أن بعض هذه العناصر قد فصلت عن بعضها الآخر فلم توضع الموضع الصحيح، فاختل بها شرط ورود النحوي (الرتبة)؛ ولهذا وصف هذا النوع من الكلام بالقبح مع كونه مستقيماً، وبذلك يمكننا القول: إن الحاج صالح في تحليله لنص سيبويه يمثل اتجاه النحاة الذين يرون أن الاستقامة والإحالة تعود إلى معايير دلالية ونحوية معاً³.

فهناك توائم بين الوظائف النحوية والمفردات بدالاتها الأولية، فضلاً على أنه يمكن أن نستكشف من كلام عبد الرحمن الحاج صالح أمرين:⁴

أولهما: بنوي شكلي حسب ما تقتضيه القاعدة النحوية وتقبله.

وثانيهما: خطابي إعلامي إخباري، وهو في أمثلة سيبويه المذكورة في نصه السابق من خلال السياقات اللغوية والمقامات التخاطبية التي ترد فيها، وهذه ميزة أساسية في كتاب سيبويه، فهو يميز بين ما يقتضيه القياس بالنظر إلى النظم العام الذي يميز لغة عن أخرى، وبين ما يقتضيه الاستعمال بحسب الأغراض والمقاصد والأعراض التي يريدها المتكلم وهذا ما أرادته الحاج صالح.

ثم تميز عبد الرحمن الحاج صالح التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، فإذا حدّد اللفظ أو فُسر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو معنوي، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ

¹ - المرجع نفسه، 188/1.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، 218/1.

³ - مثل هذا الاتجاه عدد من الباحثين المحدثين ومنهم نهاد الموسى، ينظر كتاب: "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، ص. 102-103، وكذلك: محمد حماسة عبد اللطيف، "النحو والدلالة..."، ص. 64-66.

⁴ - ينظر: بشير ابرير، "آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه"، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 10، 2014، ص: 24.

دون الاهتمام بالمعنى فالتحليل هو لفظي¹؛ إذ يقول: «ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، وأعني بذلك أن اللفظ إذا حدّد أو فسر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى، فالتحليل هو تحليل معنوي (Sémantique) لا غير. أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى، فهو تحليل لفظي نحوي (Semiologico Grammatical)، والتخطيط بين هذين الاعتبارين يعدّ خطأً أو تقصيراً»².

وقد أعطى مثلاً على ذلك فقال: «وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنه "ما دلّ على حدث وزمان" فهذا تحديد على المعنى فهو جيد، ولكنّه من وجهة نظر المعنى. أما التحديد على اللفظ فهو "ما تدخل عليه من زوائد معينة كـ "قد" و"السين" ويتصل به الضمير في بعض صيغته»³.

وقد بنى على ذلك النحاة أن اللفظ هو الأول لأنّه هو المتبادر إلى الذهن أولاً، ثم يفهم منه المعنى، وهو الأصل (الذي ليس فيه زيادة ولا علامة له بالنسبة إلى ما يبني عليه)⁴.

نستنتج مما سبق أننا لو طبقنا المعيار الذي فهمناه من تحليل السيراني لنص سيبويه لوجدنا فيه حلاً لجميع المشكلات التي واجهت محاولات تحليل هذا النص وخاصة الكلام في "المستقيم القبيح" فقد جعل السيراني معيار الاستقامة والإحالة معياراً نحويّاً تركيبياً، ولكنّه بمفهومه الواسع الذي أشار عليه عبد الرحمن الحاج صالح، هو الذي يتم فيه التفاعل بين المستوى الوظيفي النحوي واختيار المفردات اللغوية المناسبة بدلالاتها لأداء تلك الوظائف، فالتلاحم بين المفردات ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالي نحوي معاً، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأنّ المفردات من غير نظام نحوي معاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأنّ المفردات من غير نظام نحوي يحكمهما لا يتأتى لها

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص. 31.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، 1/218.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص. 32-34.

4- التواتي بن التواتي، "المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث"، ص: 100.

اجتماع إلا في التنظيم المعجمي فحسب والنظام النحوي من غير مفردات تقوم به وتحقق وجوده العقلي وعاء فارغ ولا يقوم إلا في عقول أبناء اللغة¹.

2- مفهوم الأفراد أو الانفصال والابتداء:

يعد مفهوم الأفراد من المفاهيم المهمة في النظرية الخليلية الحديثة، إذ يشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن منطق النحاة الأوائل في تحليل اللغة هو من (الاسم المنفرد) باعتباره النواة أو الأصل الذي تتفرع منه أشياء أخرى.

فقد أطلق الخليل على هذا المفهوم مصطلح (الإسم المظهر)، إذ سيوييه نقلا عن الخليل: "إنه لا يكون اسم المظاهر على حرف أبدا ، لأن المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء"².

"فالذي يسكت عنده وليس قبله شيء هو الاسم الذي "ينفصل ويتدئ"³، كما أطلق عليه الزمخشري (ت538هـ) وابن يعيش والرضي الأستربادي مصطلح "اللفظة".

عرفها الزمخشري - الكلمة- بقوله: "هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع..."⁴.

فاللفظة جنس للكلمة لأنها تشتمل المستعمل والمهمل ودلالاتها على معنى مفرد بالوضع حدد كونها كلمة، ولذا كانت كل كلمة لفظة وليس كل لفظة كلمة كما ذكر ابن يعيش⁵. كما عرفها الرضي الأستربادي بأنها: "لفظ وضع لمعنى مفرد"⁶.

¹ - ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، "النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، ص.166.

² - سيوييه، "الكتاب" ج2، ص: 304.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص: 96.

⁴ - الزمخشري "المفصل"، دار الجيل للنشر والتوزيع، الطباعة، بيروت، ط2، د.ت، ج1، ص: 23.

⁵ - ينظر: الزمخشري، شرح المفصل، ج1، ص: 19.

⁶ - رضي الدين الأستربادي، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق، أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ج1، ص:12.

أما المقياس الثاني فهو مقياس التمكّن¹، إذ تتمثل في قابلية اللفظة على التحمل الزيادة يمينا ويساراً على محور التعاقب. والاسم في العربية أكثر الكلمات تمكناً، إذ يقبل عدداً كبيراً من الزيادات على اليمين واليسار، فقد حدد الدكتور الحاج صالح (التفريع) من (النواة = اللفظة) من خلال ما حدده النحاة القدماء - فتنوع إلى زيادات قبلية وبعديّة عليها - دون أن تخرج عن كونها (لفظة) (أي قطعة واحدة). وقد سمى النحاة هذه القابلية (زيادة) بـ (التمكّن) ولاحظوا أنّ لهذا التمكّن درجات تترتب كالآتي:²

أ- اسم الجنس المتصرف، وهو المتمكّن الأمكن.

ب- الممنوع من الصرف، وهو المتمكّن غير الأمكن.

ج- المبني وهو غير المتمكّن ولا الأمكن.

وبهذا يحدّد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح اللفظة تحديداً جرائياً، إذ قدم مثلاً واحداً لتوضيح هذا المفهوم وهو مثال (اللفظة الاسمية)، إذ ذكره كما تصوره صاحب النظرية الخليلية على الشكل الآتي³.

واللفظة في النظرية الخليلية تعتمد على مقياسين، أولهما: مقياس (الانفصال والابتداء) أو (الوقف والابتداء) فهي أقل ما ينطق به مما يتفصل فيسكت عنده ولا يلحق به شيء أو يبدأ فلا يسبقه شيء، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "كان المنطلق - عند النحاة - عندهم كل ما يتفصل ويبدأ وهي صفة الانفراد، ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه، ولهذا فيجب أن ينطلق من أقل ما ينطق به مما يتفصل ويتبدأ (=ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية، وكل

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 220.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 220.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 89.

شيء يتفرع عليه ولا يمكن لها في داخله أن ينفرد فهو بمنزلة، ولهذا سمى النحاة الأولون هي النواة بالاسم المفرد... وأطلقوا عليها (اللفظة) وترجمناها بـ (Lexie)¹.

فيمكن ترتيب القطع اللغوية بالنظر إلى قابليتها للانفصال والابتداء إلى المراتب الآتية:

أ- وحدات يبتدأ بها و لا يوقف عليها (ما يبتدئ ولا ينفصل) مثل (حروف الجر) إلى، في (في الدار صاحبها، إلى القسم).

ب- وحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها (ما ينفصل ولا يبدأ)، مثل (تاء الفاعل) في: دخلت، خرجت.

ج- وحدات يبتدأ بها ويوقف عليها (ما ينفصل ويبتدأ) مثل: (رجل) للجواب عن (من دخل؟)

ونستطيع بعد ذلك أن نحصي جميع القطع الصغرى التي تنفصل عما قبلها يمناً ، وما بعدها يساراً، فيبنى بها الكلام، وقد تبين بعد الاستقراء الدقيق أن اللفظة هي أصغر قطعة في الكلام مما يمكن أن تبتدئ وتنفصل².

- يذكر عبد الرحمن الحاج الصالح أن النحو بين القدماء قد استعملوا مفهوم الموضع كمقياس لمعرفة جنس العنصر اللغوي وحكمه³، وهذه المواضع جاءت على مستويات هي (الموضع في مستوى التكييب الموضع في مستوى اللفظة، الموضع في مستوى الكلم، الموضع في مستوى الخطاب)⁴.

- إن لكل جزء من اللفظة (أي ما ينفصل ويبتدئ) موضعاً خاصاً به، يقترن به على المحور التكييب فإداة التعريف "ال" لا تكون إلا في اليمين منفردة، وكذلك الحرف الجار، وأما الصفة والإضافة لا

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 219، وينظر كذلك، ج2، ص86.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص82.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص10.

4- ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 10-16.

تظهران إلا في آخرها - أي على يسارها - وهذا التحديد للاسم جرائي رياضي يتميز به النحو الخليلي، أما تحديده الدلالي فهو ما دلّ على الذات¹.

- إن المواضع التي تحتلها الكلم هي خانات تتحدّد بالتحوّلات التفرّيعية، أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادات التدرّجية، أو تعكس (ردّ الفروع إلى أصلها)².

وقد أشار عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن المواضع التي حول النواة، تدخلها الزوائد وتخرج منها بعمليات الوصل، وقد تكون فارغة³، وأطلق على هذا المفهوم العلامة العدمية⁴. وتختفي هذه العلامة لمقابلتها علامة ظاهرة في موضع آخر⁵. وضرب لها مثلاً بجميع العلامات التي تميز الفروع عن أصولها، المفرد، والمذكر والمكبر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع والمؤنث والمصغر، وكذلك هو الأمر بالنسبة للعامل الذي ليس له لفظ ظاهر هو الابتداء⁶.

3- مفهوم الموضع والعلامة العدمية:

لقد بينا في ما سبق أمّ المواضع التي هي حول النواة (الاسمية أو الفعلية) يمينا ويساراً، تدخلها الزوائد وتخرج منها بعمليات الوصل⁷، وقد تكون فارغة، أي خالية من العنصر؛ لأنّ الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر⁸. وهذا الخلو من العنصر مع بقاء أو ثبات الموضع، هو ترك للعلامة وخلو منها، ويطلق الحاج صالح على هذا المفهوم العلامة العدمية (Expression Zéro)⁹، ويرمز لها

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 84-89.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص 221.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية"، ص: 36.

4- خولة طالب الابراهيم، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 134.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222.

7- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دط، 2016م، ص: 87-

96-95.

8- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية"، ص: 36.

9- خولة طالب الابراهيم، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 134.

بالعلامة (Ø)¹ وتعني عدم وجود الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة ، فيما بلونها لظهار الفوارق من حيث صفاتها الذاتية ... كما هو الشأن عند البوين (الانطلاق في التحليل من ظاهر الكلام فقط)، بل يحملون هذا النحو على ذلك ، حتى يظهر الترتيب والنظر (لا الصفات الذاتية فقط)².

والواقع أن عدم وجود العلامة هي في حد ذاتها علامة، فضلا على أنها رمز رياضي محض³، وتختفي هذه العلامة في موضوع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر⁴، فعلمة التذكير العدمية تقابلها علامة ظاهرة في المؤنث (باحث - باحثة)، وعلامة المفرد العدمية تقابلها علامة ظاهرة في التثنية والجمع، وعلامة الابتداء العدمية (التجرد من العوامل) التي تقابلها علامات لفظية ظاهرة، وتنطبق العلامة العدمية أيضا على التقابل بين الحروف الصوتية كالباء في مقابل غنة الميم وكلاهما له مخرج واحد⁵، وتنطبق في العربية على ضمير الغيبة المفرد مثل: خرج (هو) الضمير المستتر عند المتأخرين⁶. وهو ما يسميه سيويو، "بالعلامة غير الظاهرة" أو "الخلو من العلامة"⁷.

يتبين لنا من خلال التحديد الإجرائي السابق للاسم ما يلي:

1. أن التحويل بالزيادة والتعاقب هو الذي يحدد الوحدات في النظرية الخليلية ومواقعها وللأسم ستة "مواقع" لا يتجاوزها.

2. بتحديد المواقع تتحدد العناصر التي تدخل فيها بكيفية صورية أيضا.

3. كل مرتبة في هذا المثال المولد للاسم تحتوي على فرع يتفرع مما سبق بعملية الزيادة الموجهة إلى يمين الاسم -النواة- أو على يساره. وكل هذه الفروع متكافئة لغويا ورياضيا. ومعنى ذلك أن كل فرع

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222-223.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 21-22. وينظر: "البنى النحوية العربية"، ص: 70.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 36.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 51.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 51.

7- سيويو، "الكتاب"، ج1، ص: 7-340.

مساو للأصل ولفروعه (وهي نظائر في اصطلاح القدماء)، فكل واحد منها هو اسم واحد كما يقول سيبويه مهما بلغ طوله¹، ويسمى الأصل عند سيبويه "الاسم المفرد" إذا عزل عن زوائده وما يتفرع عنه بالزيادة "ما بمنزلة الاسم الواحد"².

وقد أطلق الرضي الاستربادي - أحد النحاة العباقرة وقبله ابن يعيش اسم "اللفظة" على كل واحد من هذه الفروع³. ويمكن أن تتواضع على هذه التسمية ونطلقها أيضا على الأصل بما أنه لفظة مجردة من الزوائد⁴.

4. مفهوم الموضوع مهم جدا لأنه اعتباري، إذ ليس مجرد موقع للوحدة اللغوية في مدرج الكلام، فقد يكون فارغا. فمجموعة المواضع المرتبة ترتيبا أفقيا خاصا تكون "مثال الاسم" أو الفعل، مثل بناء الكلمة، فالأصل فيها مع زوائده كل في موضعها يكون مثالها⁵.

إن لكل جزء من اللفظة (أي ما ينفصل ويتبدئ) موضعا خاصا به يقترن به في المحور التكميبي فأداة التعريف "ال" لا تكون إلا في اليمين منفردة وكذلك الحرف الجار، وأما الصفة والإضافة لا تظهران إلا في آخرها - أي على يسارها - وهذا التعديل ضروري إجرائي رياضي للاسم يتميز به النحو الخليلي، وأما تحديده الدلالي فهو من دل على الذات⁶.

مجموع المواضع المرتبة يشكّل عند النحاة الخليليين حداً أو مثالا (Modèle) وقد تظهر عمليات التحليل وحدات طويلة جدا بالمقارنة مع الوحدات الأخرى في نفس المثال ولكنها مع ذلك تبقى عبارة عن لفظة واحدة، فإذا أخذنا مثالا القطعة اللغوية (كتاب) كجواب عن سؤال ما هذا؟ أو ما

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 85-86.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 86.

3- الاستربادي: "شرح كافية ابن الحاجب"، ص: 34، وكذلك: ابن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري"، ج1، ص: 70.

4- المرجع نفسه، ج2، ص: 86.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 51-88.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي"، ص: 222.

في يدك؟ ففيها ثلاثة مواضع؛ موضع الابتداء (العامل) وموضع المبتدأ وموضع الخبر¹، مع أن الذي ظهر في اللفظ هو الخبر فقط، لكن المواضع المذكورة مرسومة في بنية الجملة وصورتها التقديرية بدليل أنها يمكن أن تظهر في اللفظ ويمكن أن نوضح ذلك بالنسبة لهذا المثال كما يلي:

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا باصطلاح الرياضيات فيمكن أن نقول بأن ما يظهر فالتفريع داخل المثال المولّد للفظة هي عبارات متكافئة حتى ولو كانت بعضها أطول بكثير من البعض الآخر، ذلك لا يخرجها عن كونها لفظة²، وذلك مثل: (كتاب، الكتاب، بالكتاب، كتاب زيد، الكتاب الذي قرأته أمس...) ³. وبهذه العمليات التحويلية الخيلية يتحدد موضع كل عنصر في داخل المثال، كما في الشكل التالي⁴:

حرف الجر	أداة التعريف	النواة الاسمية	علامة الإعراب	التنوين أو المضاف إليه	الصفة
2	1	0	1	2	3

وتختفي هذه العلامة لمقابلتها علامة ظاهرة في موضع آخر⁵.

وضرب لها مثلاً يجمع العلامات التي تميز الفروع عن أصولها، المفرد، والمذكر والمكبر لها علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع، والمثنى، والمؤنث، والمصغر. كذلك التجرد من العوامل تقابلها علامات ظاهرة⁶. إذ أن خلو الموضع من العنصر له ما يشبهه وهو "الخلو من العلامة" أو "تركها"⁷.

وقد استعمل النحويون الأولى هذا المصطلح (الموضع) كمقياس لمعرفة جنس العنصر اللغوي وحكمه وجاءت هذه المواضع كما يلي:

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 12-13.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 221.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 14.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البن النحوية العربية"، ص: 86-90.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222.

7 -Hadj Sala, Linguistique Arabe et linguistique générale, P143.

- الموضوع في مستوى التركيب.
- الموضوع في مستوى اللفظة.
- الموضوع في مستوى الكلم.
- الموضوع في مستوى الخطاب¹.

وذلك مثل: أداة التعريف وحرف الجر (وقد ولم ولن بالنسبة للفعل)².

وهناك فرق كبير بين التحليل البنوي والتحليل العربي؛ فالبنويون ينطلقون في هذا المستوى من الجملة ويقطعونها بالاعتماد على مبدأ الاستبدال مورفيما بحسب تسلسل الكلام* أو بالتجزئة إلى مكونات متداخلة كما هو الشأن عند الأمريكيين³. أما العرب فينطلقون من "أقل ما يتكلم به مفرداً" على حدّ تعبيرهم وهو العنصر الذي يمكن أن ينفرد في الكلام وبذلك يتأكد الباحث أنه وحدة من وحدات اللغة (مع أنه كلام مفيد) مثل "كتاب" في جواب "ما هذا؟" تم ينظر ما هي العناصر التي تستطيع أن تدخل عليه يميناً وشمالاً ولا تغيره عن كونه اسماً واحداً، فهذه الزيادات المتتابعة يتحدّ موضع كل عنصر طارئ وما يؤديه فيه، ومجموع هذه المواضع المرتبة تكون حدّ الاسم اللفظي (أي الصوري) لا كمفردة بل كمجموعة "تدخل عليها لوازمها وتخرج"⁴، وقد اصطلحنا على تسميتها "لفظة" (اسمية أو فعلية) لا طلاق الرضى "اللفظة" على ما هو فوق الكلمة وتحت الكلام مباشرة⁵.

1- ينظر:الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 10-16.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بني النحوية العربية"، ص: 105-106.

*- التحليل التسلسلي عند الوظيفيين دليل على تخليطهم في منهجهم بين الكلام Parole وبين اللسان Longue على الرغم من أنهم من أتباع سوسير. أما اعتبار جميع البنويين الوحدات الدائّة (المورفيومات) كلها تقطع صوتية فهو أيضا من هذا القبيل مع تفتنهم لوجود النبر وإلى أن للترتيب دلالة في جميع المستويات

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 39.

4- ينظر: "بني التحولية العربية"، ص: 75.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 40.

كما قد يحل في موضعه تركيب كالمصدر المؤول كما في قول سيوييه: "وتقول بلغني أنك منطلق فإنك في موضع اسم مرفوع"¹.

ويقول: "ألا ترى أنهم يقولون حسبك هذا وبحسبك هذا، فلم تغير الباء المعنى وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء لأن بحسبك في موضع ابتداء"².

ويقول: "ومن ذلك هل من طعام؟ أي هل من طعام في زمان أو مكان؟ وإنما يريد هل طعام؟ فمن طعام في موضع طعام كما كان ما تأتي من رجل في موضع ما أتاني رجل ومثله جوابه: ما من طعام"³.

فمفهوم الموضع لا يوجد مثله في اللسانيات المغربية إطلاقاً، ذلك أن التحليل عندهم يقتصر على ظاهر الكلام. والعرب أيضاً ينطلقون من الكلام في ظاهره لكن لا يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة فيقابلونها لإظهار الفوارق من حيث صفاتها الذاتية بل يحملون هذا النحو على ذلك، فيتمكّنون بذلك من استنباط المواضع في داخل المثال، وهذا العمل هو عملية رياضية⁴.

4- مفهوم العامل:

نشأة العامل في التراث اللغوي القديم:

تعد نظرية العامل من الأسس الهامة التي قام عليها النحو العربي، وهي نظرية عربية صرف، لأنها ولدت في بيئة عربية لم تتأثر بمثيرات أجنبية.

¹ - سيوييه، "الكتاب"، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988، ج3، ص: 120.

² - المصدر نفسه، ج1، ص: 68.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص: 130.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 21-22.

فقد ولدت في مرحلة النشأة، المرحلة التي تأسس فيها النحو العربي واكتملت قواعده، والتي تشمل القرنين الأول والثاني للهجرة¹.

وقد فطن إلى ذلك شوقي ضيف، فرأى أن نظرية العامل نظرية انفراد بها النحو العربي، وهي تدلّ على أن هذا النحو لم يوضع على أساس أجنبي إذ أن محوره الذي تدور حوله بحوثه، محو عربي خالص². ووافقه في ذلك فتحي الدجني³.

ويرى محمد خير الحلواني أن نظرية العامل نجمت في اللغة العربي، ولم تنجم في غيرها من اللغات، وذلك بسبب البحث في سمة الإعرابية التي تزيد بها العربية على غيرها من اللغات الحية⁴.

5- مفهوم نظرية العامل:

لم تحض نظرية من النظريات بمثل ما خضيت به نظرية العامل في النحو العربي عن دراسات وأبحاث، تضمنت من ناحية الهجوم على هذه النظرية وتفنيدها، والنيل منها، ومن ناحية التجديد لها ومؤازرتها، وعرض أدلة للدفاع عنها⁵: فما المقصود بالعامل النحوي؟.

وردت لفظة عامل لغوياً بمعنى عمل، يعمل، عاملاً، وفاعلها "عامل"، وقيل في (لسان العرب): "والعامل هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله، وملكه وعمل ومنه قيل الذي يستخرج الزكاة عامل والعمل "المهنة والفعل"⁶ ولم تخرج المعاجم العربية عن توضيح ابن منظور لكلمة "عامل".

¹ - ينظر: عبد الرحمن مصطفى السيد، "نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التراكيب"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، العدد: 3، 2002م، ص: 46.

² - شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول"، دار المعارف بمصر، ط3، دت، ص: 124.

³ - فتحي الدجني، "النزعة المنطقية في النحو العربي"، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982م، ص: 47.

⁴ - محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، جامعة تشرين، اللاذقية، دط، 1979م، ص: 182.

⁵ - وليد عاطف الأنصاري، "نظرية العامل في النحو العربي عرضاً ونقداً"، دار الكتاب والثقافي للطباعة والنشر، الأردن/ إربد، ط2، 1435هـ-2014م، ص: 05.

⁶ - ابن منظور، "لسان العرب"، دار الحديث، القاهرة، دط، 2003، ص: 474.

ومن ذلك أخذ الاسم (العامل) بمعنى المهنة وأسقط على النحو في شيء الذي جعل الكلمة مرفوعة، أو مجزومة، أو منصوبة، وأطلق عليها العامل النحوي كما عرفه الجرجاني بأنه: "ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو ساكناً"¹.

أ- العامل عند النحاة القدماء:

نشأت جذور نظرية العامل لدى "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي"^{*}، وحذا حذوه عيسى بن عمر، وتأسس واتسع عند "الخليل بن أحمد الفراهيدي"². وطبقت النظرية في النحو على يد سيبويه في (الكتاب) الذي أطلق فيه نظرية العمل في تقييم أبوابه وتقييم الكلام من الأفعال والأسماء والحروف، وسار عدد كبير من العلماء في إنجازاتهم ومؤلفاتهم النحوية بناء على فكرة العامل وأثرها في التّكيب النحوي³.

ب- العامل عند الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ذهب سيبويه في كتابه إلى أن أول من ثبت أصول نظرية العامل في التراث النحوي هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) واضع علم العروض والبحور الشعرية ومقيم صرح النحو والتصريف ومؤلف (معجم العين) الأول في العربي، فالخليل إذن مدّ فروع نظرية العامل وأحكامها وأرسى قواعدها وأثبت صورتها التي ظلت عليها على مر العصور⁴.

1- السيد عبد الحميد مصطفى، "نظرية العامل في النحو العربي"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، العدد: 3 و4، سنة 2002م، ص: 47، وينظر: الجرجاني، "العوامل النحوي"، تحقيق وشرح، محسن محمد معالي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، دط، 2009م، ص: 09.

*- ويتمثل ذلك في سؤاله الفرزدق: (على أي شيء رفعت مجلّفاً؟) ينظر: الأنباري "نزهة الألباء"، ص: 12.

2- ينظر: جعفر عبابنة، "مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي"، دار النشر والتوزيع، عمان، ط1، 1984م، ص: 109-110.

3- السيد عبد الحميد مصطفى، نظرية العامل في النحو العربي"، ص46، ص12. وينظر: عباس حسن، "اللغة والنحو العربي بين القديم والحديث"، دار المعارف، القاهرة، دط، 1971م، ص: 21-22.

4- ينظر: جعفر نايف عبابنة، "مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي"، دار الفكر النشر والتوزيع، عمان، ط1، 1984م، ص: 110.

فقد صرح سيبويه أن وراء كل رفعٍ أو نصبٍ أو خفضٍ أو جزمٍ عاملاً يعمل في الأسماء والأفعال المعربة، ومثلها الأسماء المبنية، فلا بد من وجود أداة لفظية أو معنوية تفسر الحركة التي يحملها الاسم أو الفعل المعرب، وهذه الأداة هي العامل¹.

يؤكد سيبويه من جهة أخرى أن "الخليل" صاحب فكرة الإلغاء، والأعمال في العوامل كباب (إن)، وباب (ظن) وأخواتها²، وهو كذلك فاتح مباحث حروف الجر الزائدة العاملة عملاً لفظياً فيما بعدها، مع ملاحظة موقع حرف الجر هذا من الإعراب بالنسبة للعوامل التي تطلبه* نحو قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: 43].³

وهي عنده في تأويل (كفى بالله) بالرفع ولكن عندما دخلت الباء عملت⁴، والخليل أيضاً صاحب فكرة تأويل المضارع المنصوب بـ "أن" المضمرة أو الظاهرة وإعرابه حسب موقعه من العوامل نحو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 71].⁵

1- ينظر: وليد عاطف الأنصاري، "نظرية العامل في النحو العربي عرضاً ونقداً"، ص: 46.

2- ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 118-119.

*- وقد ميز بين العامل القوي والعامل الضعيف، فالحرف المشبه بالفعل (إن) عامل ضعيف بالرغم من أنها تعمل عملين: النصب في المبتدأ والرفع في الخبر، في حين أن (كان) عامل قوي، لأنه يتصرف ويستتر فيه الضمير. ينظر: محمد خير الحلواني "المفصل في تاريخ النحو" مؤسس الرسالة، بيروت، ط1، 1399هـ-1979م، ص: 266.

3- ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 92.

4- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 92.

5- ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 05.

كما تحدث عن حذف الفعل الناصب للمفعول جوازا أو وجوبا، وإضماره لقيام القرين* ومثل له بالقرآن والشعر العربي في كثير من المواضع¹.

يقول سيويه، "وزعم الخليل رحمه الله أن رجلا لو قال: أتميمي، يريد: "أنت" ويضمها لأصا، وأتما كان النصب هو الوجه لأنه موضع يكون الاسم فيه معاقبا للفظ بالفعل، فاختر فيه كما يختار فيما مضى من المصادر التي في غير الأسماء"².

ومن ذلك أيضا كلام الخليل في عمل إن وأن وكأن ولكن وليت ولعل.

قال سيويه: زعم الخليل أنها عملت عملين: الرفع والنصب، كما عملت (كان) الرفع والنصب حين قلت: كان أخاك زيد. إلا أنه ليس لك أن تقول: كأن أخوك عبد الله، تريد كأن عبد الله أخوك، لأنها لا تصرف تصرف الأفعال، ولا يضم فيها المرفوع كما يضم في (كان)، فمن ثم فرقوا بينهما كما فرقوا بين (ليس) و(ما)، فلم يجرها مجراها، ولكن قيل هي بمنزلة الأفعال في ما بعدها وليست بأفعال³.

ج- العامل عند سيويه:

تجلى الحديث عن العامل في كتاب سيويه بدءا من صفحاته الأولى، وكأنه من المسلمات في بناء الأسس النظرية في النحو العربي، مرتبطا بالإعراب والبناء والمعرب والمبني⁴.

يقول سيويه: "أما ذكرت ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء

* - ومثل ذلك ما أتى به الخليل إذ يروي سيويه عنه قوله: "وتظير ذلك قوله: إن خيرا فخيروا وإن شرا فشرأ، حملته على الفعل حين لم يجز أن تتبدى بعدا إن "الأسماء... ينظر: سيويه، "الكتاب"، ج3، ص: 149-150.

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 255-257-258.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 347.

3- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 131.

4- محمد ابراهيم عبادة، النحو العربي أصوله وقضاياه وكتبه مع ربطه بالأسس اللغوي الحديث"، مكتبة الآداب علي حسن، ط1 1430هـ-2009م، ص: 103.

أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب"¹.

وهنا نجد أن سببويه يجعل التغيير الذي يطرأ على آخر الكلمة نتيجة لعامل يحدث هذا التغيير وأن العوامل متعددة، ولكل عامل منها نوع يظهر أثره في آخر الكلمة وهو بهذا يومي إلى ما عرف بعوامل الرفع وعوامل النصب وعوامل الجر وعوامل الجزم.

ثم خصص بعض المقدمات في كتابه وكان منها الحديث عن العوامل القياسية، ودرجات كل منها قوة وضعفاً، وهو الباب الذي قال فيه: "باب الفاعل الذي لم يتعدّ فعله إلى مفعول"².

والمفعول الذي لم يتعدّ إليه فعل فاعل³، ولا يتعدى فعله إلى مفعول آخر⁴، وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدى إلى مفعول، وما يعمل من المصادر⁵ وما يجرى من الصفات التي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التي تجري مجرى الفعل وليس بفعل ولم يقو قوته وما جرى من الأسماء التي ليست بأسماء الفاعلين التي ذكرت، ولا الصفات التي هي من لفظ أحداث الأسماء، وتكون لأحداثها أمثلة لما مضى ولما لم يمض، وهي التي لم تبلغ في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين... وليست لها قوة أسماء الفاعلين التي ذكرت لك، ولا هذه الصفات كما أنه لا يقوى قوة الفعل ما جرى مجراه وليس بفعل"⁶.

ثم يقول: "هذا باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليس بمفعول"^{*} ويقول: "هذا باب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل

1- سببويه، "الكتاب"، ج1، ص: 13.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 33.

3- المصدر نفسه، ج1، ص: 33.

4- المصدر نفسه، ج1، ص: 33.

5- المصدر نفسه، ص: 34-35.

6- المصدر نفسه، ص: 34-35.

*- المصدر نفسه، ج1، ص44.

به وما كان نحو ذلك، وهو قولك: ضربت وضربني زيد، وضربني وضربت زيدا تحمل الاسم على الفعل الذي يليه، فالعامل في اللفظ أحد الفعلين، وأما في المعنى فقد يعلم أنه الأول وقع إلا أنه لا يعمل في اسم واحد رفع ونصب، وإنما كان الذي يليه أولى لقرب جواره وأنه لا ينقض معنى وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزید¹.

وفي هذا القول يتناول سيبويه ما عرف فيما بعد ذلك بـ "باب التنازع" في العمل وساق مثالين كل منهما يشتمل على فعلين واسم صريح بعدهما، وأحد الفعلين يطلبه مفعولاً به، والآخر يطلبه فاعلاً، ويبين سيبويه أن العامل في الاسم الصريح هو الفعل الثاني لقربه، وبذلك دعم سيبويه فكرة العامل وبين أن العامل في الاسم الصريح في كل من الجملتين هو الفعل الثاني نظراً لقربه، وتابعه في ذلك البصريون وخالفهم الكوفيون².

ويعمضي سيبويه في تقديم العوامل المحذوفة كقولك: نفسك يافلان. أي اتق نفسك³، ومن ذلك أيضاً: "إياك والأسد، وإياك والشر، وكأنه قال: إياك فاتقين والأسد، إياي لاتقين والشر، فإياك متقى، والأسد والشر متقيان [فكلاهما مفعول ومفعول معه]⁴.

يقول: "ومن ذلك قولهم: "شأنك والحج؛ كأنه قال: عليك شأنك مع الحج"⁵.

وكقول العرب: (اللهم ضبعا وذئبا) وذلك للدعاء على غنم الرجل والتقدير: اللهم ضبعا وذئبا يقضي على غنم فلان⁶.

ويقول سيبويه أيضاً: " هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى وما يعمل فيه، وذلك قولك: هذا الضارب زيدا، فصار في معنى "هذا الذي ضرب زيدا وعمل عمله لأن الألف واللام

¹ - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 73.

² - محمد ابراهيم عبادة، "النحو العربي أصوله وأسس وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللساني الحديث"، ص: 104.

³ - سيبويه، "الكتاب" ج1، ص: 273.

⁴ - المصدر نفسه، ج1، ص: 273-274.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص: 274.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 181-182.

منعتا الإضافة وصارتا بمنزلة التنوين، وكذلك هذا الضارب الرجل وهو حدّ الكلام¹. وهنا نجد سيبويه يقرر أن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل، فيرفع الفاعل وينصب المفعول به، وبجانب حديثه عن العامل يبين أن "ال" في الضارب بمنزلة "الذي" وأن "الضارب" بمنزلة الذي ضرب، ولذلك عمل اسم الفاعل عمل الفعل، وبين أن اسم الفاعل المقترن بـ "ال" لا يضاف لما بعده، وقال: وهو وجه الكلام².

6- مفهوم الأصل والفرع:

يكثر في كلام النحاة مجي كلمة أصل ومعها وبعد سيبويه كلمة فرع* . وهم يقسمون كل الضروب من الكلام والفئات من عناصر اللغة إلى أصول وإلى فروع³.

إن النظام اللغوي عند العرب القدماء مبني كـله على أصول وفروع، فميز العلماء بين الأصل والفرع كمفهومين؛ فالأصل: "ما يبني عليه ولا يبني على غيره" ويمثل النواة أو العنصر الثابت الذي يستقل بنفسه ولا يتغير"⁴، أما الفرع أد الفروع بذاتها: "فمتغيرات متعددة يتعلق وجودها بالأصل وبصفتها الذاتية"⁵.

وقد يكون العنصر الواحد فرعاً لأصل وأصل لعنصر آخر، وواضح أن هذين المفهومين هما من المفاهيم المنهجية الأساسية في علوم العربية⁶.

وهو مفهوم لم ينتبه إليه أغلب اللغويين المحدثين، وهو مفهوم تفريعي على الأصول استعماله النحاة بشكل أعمق، بني عليه النحو العربي وكل علوم العربية المرتبطة بالحدود الإجرائية، أي المثل

1- سيبويه، "الكتاب" ج1، ص: 181-182.

2- السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج2 ص: 37-38.

* - يقول سيبويه: "لأن الأسماء كلّها أصلها التذكير" ينظر: "الكتاب"، ج1، ص: 22.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الأبيار، الجزائر، دط، 2010، ص: 139.

4- بشير ابرير، "أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة"، مجلّة العلوم إنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، 2005م، ص: 11.

5- المرجع نفسه، ص: 11.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 139-140.

(الأنماط)، التي تتفرع عليها الفروع، فاعرق هذه المثل وأشهرها هي (الموازن الصرفية ولم ينتبه الناس إلى وجود مثل هذه المستوحات العليا (حدّ الاسم وحدّ الفعل، ثم الحدود الأخرى¹.

هذا ويبدو لأول وهلة أن اللغة عند النحاة مراتب، فبعض الفئات من عناصرها وتراكيبها هي أسبق من بعض².

قال سيبويه: "الواحد أشدُّ تمكُّناً وهو الأول"³، ثم يقول: "وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكّر، لأن الأشياء كلّها أصلها التذكير ثم يختص بعد ... فالتذكير أول وهو أشدُّ تمكُّناً، كما أن النكرة هي أشدُّ تمكُّناً من المعروفة لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرّف فالتذكير قبل ... فالأول أشدُّ تمكُّناً عندهم... والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة"⁴. وقال: "النكرة أخفُّ عليهم من المعرفة وهي أشدُّ تمكُّناً لأن النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به"⁵. "وأعلم أن الواحد أشدُّ تمكُّناً من الجميع لأن الواحد الأول"⁶.

وقد بين ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمي، وهو ما يسمونه حمل الشيء على الشيء أو اجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها، وهو البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل⁷.

ومثال ذلك هذه المتتاليات المستقاة من التراث اللغوي العربي، وهي ما أوردها سيبويه في كتابه⁸:

1- ينظر: حسن خميس الملخ، "نظرية الاصل والفرع في النحو العربي"، دار الشروق، عمان، ط1، 2001م، ص: 71-130.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 140.

3- المرجع نفسه، ص: 140.

4- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص22.

5- المصدر نفسه، ج1، ص22.

6- المصدر نفسه، ج1، ص22.

7- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 37.

8- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 429-430.

- مررت برجل راكب وذاهب.
- مررت برجل راكب فذاهب.
- مررت برجل راكب ثم ذاهب.
- مررت برجل راكع أو ساجد (بمنزلة إما وإما ...)
- مررت برجل راكع لا ساجد (إما غلط فاستدرك وإما نسي فتذكر) ...

ينطلق اللغويون العرب القدماء من الجملة الأصل، فيحملون عليها جملاً أخرى فيها زيادة فتكون الفرع للجملة الأصل البسيطة، بحيث تظهر بذلك تحول النواة بالزوائد، وهي في الحقيقة مقارنة بنوية أساسها تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طرداً وعكساً¹، وهذا التحليل يعدّ أقرب إلى الإجراءات الرياضية، وأكثر دقة من التحليل التكيبي الذي يعتمد على التقطيع والاستبدال، " إذ ينطلق الخليليون من أقل ما ينفرد ويمكن التخاطب به، ويولدونه بعملية تفرعية تحويلية أي بالزيادة على الأصل².

إن ما يسمى بالاشتقاق هو تفرع خاص بالكلم، والتصريف هو العمليات التحويلية التي تجري على اللفظ (زيادة، حذف، قلب، تقديم، وتأخير...) في تفرع الفروع، أما التراكيب فأقلها عناصر تعدّ أصولاً لما أكثر منها بنفس العمليات لكن بتسليطها لا على الحروف بل على الكيانات الدالة ودائماً على مثال سابق³.

إن مفهوم التفرع من المفاهيم التي انفرد بها النحو العربي، فالألفاظ والجمل قد تتفرع إلى أنماط جديدة بزيادات (أي تحويلات)⁴.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 93، 94.

² - شفيقة العلوي، "العامل بين النظرية الخيلية الحديثة والترابط العملي عند تشومسكي"، حوليات التراث، جامعة مستغانم العدد السابع، 2007، ص: 06.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 321.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 83.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ عبد الرحمن الحاج صالح قد نفى أن يكون (مفهوم التفريع) معمم في اللسانيات الغربية، واستثنى من ذلك تشومسكي وربطه بالمنطق الرياضي، إذ يقول: "لم يعمم الغربيون مفهوم التفريع على كل الكيانات اللغوية وفي جميع مستوياتها (إلا في آخر ما توصل إليه الباحث تشومسكي) وأكثر من هذا فإن المنهج العربي هو قرب إلى المنهج الأكسيوماتيكي في المنطق الرياضي لأنّ الأصول هي بمنزلة المسلمات (والمعطيات عامة)، التي ينطلق منها الباحث فيحوّلها بعدد من العمليات بضوابط هي المثل السابقة¹.

واعتبر تشومسكي الجملة المبنية الفاعل نواة ومنطلقها التفريع، والأصل عند النحاة هو ما يبنى عليه، ولا يبنى على غيره، ولا يحتاج إلى علامة ليميز بها عن فروعها، فله العلامة العدمية².

لقد أدخل تشومسكي في التحليل مفهوم التفريع والتوليد والتحويل كما حول الهدف من البحث اللساني في حدّ ذاته، من التعليق السكوني البسيط على بعض التردديات اللغوية إلى الاهتمام بتحديد المعرفة اللغوية عند المتكلم والسامع وشرحها³.

والنحو العربي العلمي، لا التعليمي أو الفلسفي، هو مجموع المثل والقواعد التي يمكن أن تفرع بها وعليها جميع الإمكانيات التعبيرية الخاصة بالوضع العربي، فهذا الجانب الديناميكي للغة تجهله اللسانيات البنوية التقليدية⁴ لأنها تركز كل اهتمامها على تشخيص الوحدات في ذاتها وبالاعتماد على تقابل الصفات الذاتية التي تميزها عن غيرها⁵.

¹ - المرجع نفسه، ج1، ص: 322.

² - ينظر: محمد صاري، "المفاهيم الأساسية النظرية الخليلية الحديثة"، مجلة كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، العدد الثامن 2010م، ص: 10.

³ - ينظر: مازن الوعر، "حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية" مجلة اللسانيات، العدد السادس، الجزائر، 1982، ص: 71-72.

⁴ - محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة"، ص: 08.

⁵ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 83.

ويشير عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن (الأصل) هو منطق كل تحويل، فيقول عنه العرب أنه: " ما يبنى هو على غيره"، أو "ما تفرع عليه الفروع"، فالبناء هنا أو التفرع هو العملية التحويلية. ويعرف الأصل بقوله: " هو الشيء غير المتسبب الثابت المستمر إلا أنه يوجد في جميع فروعه مع زيادة، ولذلك لا علامة له بالنسبة لفروعه فهي تحتاج إلى علامة، مثل المذكر بالنسبة للمؤنث، والمفرد بالنسبة للمثنى والجمع ... والمضارع بالنسبة إلى الماضي، وغير ذلك"¹.

فالوحدات اللغوية والبنى التي تدخل فيها تولدها - عند العرب - التحويلات نفسها بل المجموعات من التحويلات هي نفسها بنى بسبب ترتيبها².

ومجموع العمليات التحويلية (التفرعات بالزيادة) تكون مجموعة بالمعنى الرياضي ويسمونها الرياضيون المحدثون (زمرة Group)³. وهذه الزمرة لها عمليات عدة مترابطة فيما بينها وهي⁴:

1. عملية داخلية: وهي التحويل بالزيادة (الموجهة يمينا ويساراً).
2. وهذه العملية تجميعية: (كتاب + ن) = (كتاب) + (ن) وهذه العملية تجميعية: (كتاب + ن) + (ن) = (كتاب + ن) + (ن).
3. ولها عنصر محايد وهو عدم الزيادة (تحويل مساو للصفر).
4. ولكل عنصر (أو تحويل) فيها نظير، وهو التحويل برد الشيء إلى أصله.

وهذه الزمرة هي التي تولد الاسم في العربية، وكذلك الفعل له مثل مولدة⁵.

فضلا عن أن جميع مستويات اللغة (الصوتي والصرفي والتركيب) يتكون من مثل مولدة كل واحدها يكون زمرة¹.

¹ - المرجع نفسه، ج2، ص: 43 وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 51-52.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 43.

³ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 270.

⁴ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 86.

⁵ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 91-92.

7- العلامة العدمية:

والموضع في النحو الخليلي شيء وما يحتويه شيء آخر، إذ قد يكون فارغاً، فخلو الموضع من الكلمة شبيه بالخلو من العلامة، أو ترك العلامة، وهو ما اصطلح على تسميته بالعلامة العدمية، في مقابل العلامة الظاهرة المادية، وكذلك بالنسبة للعامل الذي له لفظ ظاهر وهو الابتداء، وهذا المفهوم موجود في اللسانيات الحديثة إلا أنه لم يستغل الاستغلال الكافي والمناسب، إذ يجب أن يكون مرتبطاً بالموضع داخل بنية معينة ذات عرض وطول، أي في البنية التي سميت بـ "المثال" (Schéma générateur)².

8- مفهوم المثال:

أهم شيء تركه لنا اللغويون العرب في مجال الدراسة العلمية للسان العربي هو مفهوم المثال، ويعرف المثال بتعبير النظرية الخليلية على أنه: "مجموعة المواضيع الاعتبارية المرتبة ترتيباً معيناً يدخل في بعضها وقد تخلو منها العناصر الأصلية وفي بعضها الآخر الزائدة ولا ينحصر المثال في مستوى الكلم (الأوزان) بل يوجد في كل مستويات اللغة بما فيها التراكيب وما فوقها"³.

9- مفهوم الباب:

يشير النحاة كثيراً إلى لفظة (باب)، وهذا دليل - كما يقول: الحاج صالح، على أنّ هذه الكلمة هي من المفاتيح التي تمكن الباحث من مفهوم الغرض الحقيقي مما قالوه حول العربية⁴.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "البحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2 ص: 87.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي"، ص: 222.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" ج1، ص: 317.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" ج2، ص: 16.

ولا يستبعد أن يكون النحاة قد استعاروا لفظة (الباب) من (باب المنزل)؛ لأنه مدخل له، قال الكفوي (ت1094هـ): "الباب هو الأصل مدخل، ثم سمي به ما يتوصل إلى شيء"¹.

فإذا قلنا: (باب الفاعل) فكأننا قلنا: الباب الذي يدخل إلى قضايا الفاعل ومسائله وهي على تنوعها - ينتظمها خيط منهجي واحد يحدد مفهوم الفاعل أو القاعدة الكلية لباب الفاعل، وهناك شروط عدة لبناء الباب، منها:

1- أن يكون موصلاً إلى قاعدة كلية عامة تندرج تحتها مسائل مختلفة تتعلق بالحكم النحوي، وبالموقع الإعرابي ضمن الجملة، وبالتقديم والتأخير، وبال حذف والذكر وبالعمدة والفضلة... الخ، وقد يسمي النحاة المسألة الجزئية باباً تسامحاً في العبارة وتساهلاً، فيقولون: "هذا باب تقديم الفاعل، وهذا باب تأخير..."².

قال ابن الحاجب (ت646هـ): "الباب لا يثبت بالاحتمال"³

لقد صاغ عبد الرحمن الحاج صالح هذه الشروط صياغة رياضية مجردة، بعدانين "أن الباب لا يخص مستوى من مستويات اللغة ولا جانباً واحداً من جوانبها، بل ينطبق على اللفظ والمعنى أفراداً وتركيباً وما هو أعلى من هذه المراتب"⁴.

فالباب حسب ما يظهر عند عبد الرحمن الحاج صالح هو "مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة"⁵.

وقد اعتمد في تفصيله لهذا المفهوم (الباب) على ما قاله سيبويه، إذ يرى أن مصطلح الباب يطلق على:

1- الكفوي، "الكليات"، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1993، ص: 249.
 2- حسن خميس الملخ، "التفكير العلمي في النحو العربي"، ص: 228.
 3- ابن الحاجب، "الإيضاح في شرح المفصل"، تحقيق: موسى بناي العلي، مطبعة العاني، بغداد، دط، 1976م، ج1، ص: 544.
 4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 318.
 5- المرجع نفسه، ج1، ص: 318.

أولاً: المجموعات المرتبة من الحروف الثلاثية مثل: (ض رب - رب ض...)
ثانياً: تطلق على أبنية الكلمة، أي على أوزانها المتكونة من الفاء والعين واللام، أي على أوزانها باب فعل وباب فعل وغيرها¹.

ثالثاً: تطلق على أنواع التراكيب²، إذ ذكرها سيويه كما في باب "حمداوشكرا"³.
يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "من المميزات التي يتميز بها الباب هو العموم، لا عموم المفهوم بل عموم سلوكه ومجرى أفرادها، فما يدخل في الباب غير منظور إليه في ذاته، بل في هذا المسار الذي يسير عليه كل أفراد بابها، وعناصر الباب لا يجمعها مفهوم أي صفة ذاتية فقط بل جامع أهم منه غير مفهومي وهو فيما يخص الكلم وزنها كما سيأتي بيانه"⁴.

2- كثرة الاستعمال والتصرف⁵، فلا يمكن أن يبنى الباب على المثال الواحد، أو الشاهد الواحد، إذ لا تبنى عليه القاعدة الكلية، فلا يصلح أن يكون باباً، قال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) بـ "البيت والبيان لا يبنى عليهما القواعد"⁶.

وهذا ما يراه الحاج صالح إذ يقول: "والباب كمفهوم رياضي هو مماثل لما يسمى الآن بالمجموعة فباب (فعل) مثلاً "هو مجموعة خالية إذ لا يوجد أي عنصر على هذا الوزن في الاستعمال"⁷.
3- الجمع والمنع⁸: ويقصد به أن يجمع الباب أمثلة يمتنع حملها على أي باب آخر، ولو على سبيل الاحتمال؛ لأن ما صار فيه الاحتمال بطل به الاستدلال⁹.

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 134.
2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 318.
3- سيويه، "الكتاب"، ج1، ص: 318-319.
4- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 135.
5- حسن خميس الملخ، "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، دار الشروق، عمان، ط1، 2007م، ص: 228.
6- السيوطي، "مجمع الهوامع في شرح الجوامع"، تح: عبد العال سامح مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980م، ج2 ص: 120.
7- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 135.
8- ينظر: حسن خميس الملخ، "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، ص: 229.
9- ينظر: الأنباري، "الانصاف في مسائل الخلاف"، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ج2، ص 726.

ثم يؤكد الحاج صالح على عدم التخليط بين الباب كمجموعة بالمعنى المنطقي الرياضي وبين الجنس بالمعنى الأريسطي، إذ أن أفراد الباب تجمعها صيغة أو مجرى لا صفة فقط كما هو الشأن في الجنس¹.

هذه العملية هي عملية رياضية²، وقد أطلق عليها القدماء "حمل الشيء على الشيء أو إجراءه عليه"³.

فمن الصفات التي يتميز بها الباب هو العموم لا عموم المفهوم، بل عموم سلوكه ومجرى أفرادها، فما يدخل في الباب غير منظور إليه في ذاته بل في هذا المسار الذي يسير عليه كل أفراد بابه⁴، وعناصر الباب لا يجمعها مفهوم أي صفة ذاتية فقط، بل جامع أهم منه غير مفهومي، وهو فيما يخص الكلم وزنها⁵.

يقول الحاج صالح: "الباب غير معين حتى كفرد من جنس فلا يعرف بانتمائه إلى جنس فقط بل بمساواته لأفراد بابه أو لعناصر تنتمي لأفراد فئة مختلفة، فالعلاقة بين عناصر الباب لا تنحصر في الإلتواء المجرد إلى الفئة والجنس"⁶.

هذه العملية هي عملية رياضية⁷، وقد أطلق عليها القدماء "حمل الشيء على الشيء أو إجراءه عليه"⁸.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 318.

2- المرجع نفسه، ص: 318.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 37.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 135.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 37.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 135.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 318.

8- ينظر: ابن جني، "الخصائص"، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية بغداد، دط، 1990م، ج2، ص: 200.

ثم يقدم سؤالاً فيقول في هذا الشأن : إذا كان الباب لا يتقوم بمجرد الصفات الذاتية فقط مثل الجنس فبما يتقوم؟

وكإجابة عن هذا السؤال يبين "أن الباب قد لا يكون موجوداً في واقع الاستعمال مثل باب (فعل) فلم تجيء أي كلمة على هذا الوزن في المسموع، وهذا مما تقتضيه قسمة التراكيب في كل احتمالاتها بدون استثناء لأي تركيب (وقسمة التراكيب اصطلاح عربي ظهر بعد سيبويه)¹.

فهذا الباب الذي هو (فعل) تحتمله هذه القسمة، لأن جميع تراكيب الثلاثي المجرد تنحصر في 12 تركيباً منها (فعل)². وعلى هذا فالباب هو نتيجة القسمة التركيبية (Compintory) ليس غير، وهو مفهوم رياضي محض لم يعرفه الفلاسفة القدامى من غير العرب³، والباب كمفهوم رياضي هو مماثل لما يسمى الآن بالمجموعة⁴.

مفهوم المثال:

يعدّ المثال أهم شيء تركه لنا اللغويون العرب القدماء في مجال الدراسة العلمية للسان العربي هو مفهوم المثال، ويعرفه صاحب النظرية الخليلية بقوله: "مجموعة من المواضع الإعتبارية مرتبة ترتيباً معيناً يدخل في بعضها، وقد تخلو من العناصر الأصلية، وفي بعضها الآخر الزائدة"⁵.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 135.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 135.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 135.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 318.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16.

وقد بين الحاج صالح "أن أهم شيء يمكن أن نقوله ههنا هو أن المثال ليس خاصا بمستوى من تحليل الكلام، بل هو موجود في كل المستويات: في أدناها كمستوى الكلمة (وهي المكون للفظة)، ومستوى التراكيب الذي هو فوق اللفظة"¹.

إن هذا الحدّ الصوري الإجرائي الذي به تتحدّد العمليات المحدثة للوحدات ومن ثمّ المحددة لها من وجهة نظر النحو هو صورة تفرعية طردية عكسية تنطلق من أصل إلى ما لا نهاية من فروع ويسمّيها نحّاتنا المتقدّمون مثلاً...²

وقد أطلق عليه عبد الرحمن الحاج صالح اسم *Générateur potion* أو *Schème générateur* بالانجليزية والفرنسية حتى تكون له مكانته في اللسانيات العامة³.

وعلى هذا فمثال الكلمة هو بناؤها ووزنها، لأنه يمثّل بكيفية صورية مجردة الهيئة التي يكون عليها هذا الجزء من اللفظة الذي يسمّى الكلمة⁴.

ربما أن الكلمة العربية ناتجة عن قسمة تركيبية للحروف الصوتية، لكن على مثل معينة محدودة العدد، فقد جعل النحاة الأولون لكل حرف من الحروف الأصول الأول والثاني والثالث رموزاً هي الفاء والعين واللام (هذا بالنسبة للثلاثي)⁵.

ووزعوا عليها الزوائد هي بذاتها دون تجريدتها إلى رموز (لأنها ثوابت لها الأصول فمتغيرات)، ثم حصروا هذه المثل، فأحصى منها سيبويه ما يقرب من 300 وأحصوا بعده أكثر من ألف ومئتين وأكثرها قليلة الاستعمال¹.

¹-المرجع نفسه، ج1، ص: 251.

²- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 77.

³- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 251.

⁴- المرجع نفسه، ج1، ص: 251.

⁵- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 169.

ولابدّ من التنبيه على أن مثال الكلمة (ومثال اللفظة) هو شيء تجهله تماماً اللسانيات الغربية ولا يعرفه من اللسانيين إلاّ من اطّلع على ما كتبه النحاة العرب، أو ما أثر عنهم (عن طريق المستشرقين وسماه هؤلاء Schème)².

يقول الحاج صالح: "وكنا قد نبهنا إخواننا الباحثين العرب أنه من العيب أن يحاول المحلل أن يكتشف في كلمة مثل: "أصحاب" ما هي لقطعة الصوتية التي تدلّ على الجمع وذلك خضوعاً للتقطيع الذي تعود الغربيون أن يسلطوه على لغاتهم"³.

يقول: "فالمجموعة من الهمزة الزائدة وسكون الصاد وزيادة الألف وترتيب كل ذلك أصولاً وزوائد، هو الذي يدلّ معاً على الجمع أي مثال: أفعال، لا الهمزة وحدها ولا الهمزة مع الألف، وهذا خلافاً لكلمة (مسلمون) فزيادة الواو والنون هي وحدها تدلّ على الجمع"⁴، وهذه الزيادة اللاحقة هي ميزة لأكثر اللغات الأوروبية إلا أن اللغات الجرمانية - ومنها الإنجليزية - بعض تصاريفها هي من قبيل التصريف العربي، ولم يفكر أحد في استخراج مثلها على الطريقة العربية على ما علمناه وذلك مثل⁵: (Sprecheu / Sprach, children/ child)

ويتضح من ذلك أن اللسانيات البنوية كلها والنحو التوليدي إلى حدّ ما تعتقد الاعتقاد الراسخ، أن الوحدات اللغوية كلّها قطع صوتية أو ظوهر تبرية على الرغم من أنهم يعرفون أن للترتيب أيضاً دلالة، إلا أنهم لا يستخلونه كعنصر هام في استخراج المثل في كل مستوى من مستويات اللغة⁶. فالنزقة السائدة عندهم ما تزال التقطعية (Segmentalism) المفرطة⁷.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 78.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 252.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 87..

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 252.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 79..

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 252.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 83.

أما مستوى الكلام (أو التركيب) فيبحث ههنا أيضا عن المثال المجرد الذي يبنى عليه أقل الكلام المركب وذلك بحمل كلام على كلام آخر من جنسه (واجب وغير ذلك) * . ومعنى ذلك أنهم ينطلقون هنا أيضا من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما هو فوق الاسم (كما حددناه)، وذلك مثل: "زيد منطلق"، "قام عبد الله¹ وينظر ما هي العناصر التي يمكن أن تدخل على ذلك دون أن تخرجه عن كونه كلاماً واحداً وذلك مثل²:

* - الواجب عند سيبويه هو المثبت أما غير الواجب فاستفهام والشرط وغيرهما ويدخل فيه المنفي.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 40.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 148.

Ø	زيد	منطلق	
كان	زيد	منطلقاً	أمس
إن	زيداً	منطلق	
حسبة	زيداً	منطلقاً	
ضرب	زيد	عمراً	
رأى	خالد	عبد الله	وهو راكب
ضرب	ت	خالداً	ظلما
ضرب	ت	هـ	أمس
1	2	3	4
		ترتيب	

ومثال التّكيب في مستوى الجملة المفيدة يتكون من: موضع العامل (ع) يدخل فيه الابتداء والنواسخ والفعل غير الناسخ والناسخ، وموضع المفعول الأول (م1)، ويدخل فيه المبتدأ والفاعل (أو ما يقوم مقامهما) وموضع المفعول الثاني (م2) ويدخل فيه الخبر والمفعول (أو ما يقوم مقامهما، وهي النّواة، وتطلق بهذه النّواة مواضع للعناصر المخصصة (خ) (الحال والتمييز والمفاعيل الأخرى)¹. ويمكن أن يرمز إلى هذه العناصر بالصياغة الآتية²: [ع ← م¹ + خ. ومثال اللفظة وحدها ويشمل مثال واحد للاسم وثلاثة مثل للفعل³.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 128-129.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيم الأساسية"، ص: 77.

الماضي والمضارع والأمر، والأصل في الماضي هو الغائب لأنه يأتي على أقل ما يمكن أن ينطق به: فيه الفعل + علامة عدمية تمثل ضمير الغيبة، ثم تتفرع عليه الأمثلة بزيادة ضمير الرفع ثم ضمير النصب على يساره، والزوائد التي تخص الفعل كـ "قد" وغيرها¹.

نربط بين العناصر المتشابهة لنحصل في الأخير على الأوزان التالية:

فَعْلٌ، فُعْلٌ، فاعِلٌ، مَفْعَلٌ، والرابط الموجود بين هذه المجموعات هو ف ع ل (المادة الأصلية) لأن هناك زوائد أخرى تدخل عليها، فهذه العملية تسمح باكتشاف المشابهة بين عدة عناصر أو وحدات لغوية تسمى بالاستنباط وهو استخراج البنية بعملية القياس، وهو قياس عربي أصيل لا يمتُّ بصلةً لقياس أريسطو (وهو أن تحمل كل ما ينتمي إلى جنس أو فئة معينة من العناصر اللغوية بعضه على بعض حتى يمكن أن يتضح تكافؤها في البنية)².

والمثال لا ينحصر في مستوى المفردات (أوزانها)، بل يتعداها إلى ما هو أعلى منها، وهو مستوى اللفظة³.

ويستنبط النحاة حدّ الاسم وحدّ الفعل ربما يدخل على كل واحد منهما وهو مستوى أعلى من الكلمة) بحدّ آخر⁴. والفرق بين هذا الحدّ وهو ما يخص الكلمة المفردة في ذاتها هو وجود عناصر في داخله لا تبني بعضها على بعض بل هي موصولة فقط لأنها "تدخل على الاسم المفرد أو الفعل وتخرج"، كما يقول الخليل⁵.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيم الأساسية"، ص: 77.

² عبد الرحمن الحاج صالح، "مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، ص: 07-08.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 39.

⁴ عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 102-115.

⁵ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 39.

مفهوم القياس:

يعد القياس من أهم ركائز الدرس اللغوي العربي القديم فضلاً عن الدرس اللغوي المعاصر؛ إذ لا يقل أهمية لدى علماء علم اللغة الحديث.

نشأ القياس عند اللغويين العرب منذ مرحلة وضع الدراسات اللغوية وتكوينها، فكانت مصاحبة لنشأة النحو العربي؛ إذ بدأت بأبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) فكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنتج سبيلها، ووضع قياسها¹.

ثم تطور على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ)، وذلك فيما أورده ابن سلام الجمحي واصفا إياه بأنه "أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل"²، وكان سبب هذا الظهور المبكر في الدرس اللغوي العربي هو العلامة الوثيقة التي ربطت الدراسات اللغوية بالعلوم الإسلامية فاللغة والنحو هما ركنان أساسيان في الدراسات الإسلامية، وفي الوقت نفسه كان النحوي يعتمد في دراسته النصوص اللغوية الدينية أهمها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف...³.

إن مفهوم القياس اختلط على كثير من الباحثين المعاصرين⁴، فظنوا أنه تلك الصورة التي آل إليها أمر القياس من عصور متأخرة وأطلقوا على الباحثون (القياس المنطقي) ومن هؤلاء إبراهيم السمراي⁵.

وعند تتبع تاريخ البحث اللغوي عند العرب، فسنجد أن ثمة ثلاث اتجاهات بارزة:

¹ - القفطي، "إنباء الرواة على أنباء النحاة" تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1406هـ، ج1، ص: 49.

² - ابن سلام الجمحي، "طبقات فحول الشعراء"، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، دط، 1997م، ص47.

³ - كريم حسين الخالدي، "أصالة النحو العربي"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005م، ص: 69-70.

⁴ - ينظر: محمد خير الحلواني، "المفصل في تاريخ النحو العربي"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م ص: 145.

⁵ - ينظر: إبراهيم السمراي، "النحو العربي نقد وبناء"، دار الصادق بيروت، دط، 1968م، ص: 19.

أ. اتجاه القياس المقيد: وتمثل في مدرسة البصرة التي تقيدت بالقياس على المطرد الغالب في السماع¹، وقد أرجع بعض الباحثين إلى هذه المدرسة نشأة قبل أن يظهر في محيط الدراسة اللغوية بعد ذلك².

ب. اتجاه القياس المطلق: وهو قياس تجسم في مدرسة الكوفة، التي اتسمت بالتوسع لتشمل القياس على القليل والكثير والنادر والشاذ³، فقد روي أن الكسائي (ت189هـ) أنه كان يسمع الشاذ الذي لا يوجد إلا في الضرورات ويجعله أصلاً يقيس عليه، ومنه قول الفراء في قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام:139] ولو نصبت (الخالص) و(الخالصة) على القطع ... والنصب في هذا الموضع قليل لا يكادون يقولون: عبد الله قائماً فيها، ولكنه قياس⁴، ومن هنا خالفت هذه المدرسة اتجاه مدرسة البصرة في منهج تطبيق القياس وطرق الإفادة منه.

ج. اتجاه إنكار القياس: وظهر على يد المدرسة الظاهرية التي تزعمها ابن مضاء القرطبي (ت513هـ) متأثراً بمذهبه الظاهري في العلوم الشرعية⁵. ولفظ القياس في الأصل: هو تقدير شيء بشيء⁶.

ومن أشهر تعريفات القياس ما قاله أبو البركات بن الأنباري: "حمل غير المفعول على المنقول إذا كان في معناها"⁷ وقيل هو: "حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع"⁸.

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 263، وينظر: براجستراسر، "تطور الدرس النحوي" تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997م، ص: 270.

2- حامد صادق قنيني، "القياس اللغوي وتنمية الألفاظ"، مجلة اللسان العربي، العدد 37، 1993، ص: 19-20.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 260.

4- ينظر: الفراء، "معاني القرآن"، تح: أحمد يوسف نحاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، دط، 1955م، ج1، ص: 358.

5- ينظر: ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، تح: محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1979م، ص: 29. وينظر: منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 107.

6- ابن فارس، "مقاييس اللغة" تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت مادة (قوس) ص: 40.

7- الأنباري، "المع الأدلة في أصول النحو" تحقيق: سعيد الأفعاني، مطبعة الجامعة السورية، دط، 1957م، ص: 93.

8- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 159.

ويشير عبد الرحمن الحاج صالح في تحديد القياس النحوي عند النحاة القدماء ويخص أبا البركات ابن الأنباري، إذ أخذ تحديد الفقهاء الأصوليين للقياس وجعله ماثلاً لقياس النحو، فيذكر الباحثون ما ذكره ابن الأنباري في أن القياس يتكون من أربعة أركان: المقيس عليه وهو الأصل، والمقيس وهو الفرع، والحكم والجامع أو العلة أو الشبه¹، ولا يتطرقون إلى أهم صفة للقياس النحوي وهو أنه يخص البنى اللغوية أفراداً وتركيباً. فإن اشترك القياسان النحوي والفقهي في صفات أساسية يفتقان فيها عن القياس الأرسطي، فإن للقياس النحوي خصوصية مهمة وهي أن مجاله هو المثل اللفظية من أوزان للكلم وتراكيب الجمل، فبنية الكلمة وبنية الكلام هو مجاله الوحيد².

"فحمل شيء على شيء في الحكم الجامع بينهما"³ يقول في عبد الرحمن الحاج صالح: هو تحديد ينطبق على القياسين:

- لعمومه وعدم تقيده بمفهومي الأصل والفرع والعلة والشبه - فلا تدلّ كل لفظة فيه في قياس النحو على ما تدلّ عليه في مقياس الفقهاء، وخاصة لفظة الجامع فهي أهم لفظة في هذا التحديد⁴.

ويعرف عبد الرحمن الحاج صالح القياس بأنه "تسمية للعملية الطبيعية التي يقوم بها كل متكلم في كلامه دون ما شعور منه، فهو مسار توليدي (Gnerative process) ينتهجه المتكلم عند إحداثه لكلامه ليكون كلامه هذا موافقاً لما يقتضيه نظام اللغة التي ينطق بها، فجانب هام من جوانب سلامة كلامه متوقف على مجموع عملياته القياسية اللاشعورية"⁵.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 159.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 159.

3- الأنباري، "لمع الأدلة في أصول النحو"، ص: 93.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 159.

5- المرجع نفسه، ص: 160.

وبالتالي فالقياس عنده هو عملية منطقية رياضية تفرعية من الأصل¹، فهو حمل شيء على شيء لجامع بينهما، أي حمل الكلم بعضها على بعض إذا كانت تنتمي إذا كانت تنتمي إلى جنس واحد²، وهو الذي يسمى في المنطق الرياضي النظر على النظر³.

وقد تطرق عبد الرحمن الحاج صالح إلى تطبيق القياس على كافة مجالات اللغة: الصوتي والصرفي والتركيبي فضلاً عن الدلالي⁴، وتوصل إلى وجود تكافؤ في القياس وهو ما يسميه الرياضيون الغريون باللايزومورفيزم (Isomorphism)⁵.

سماه في موضع آخر "القياس الأعلى تجريداً"⁶ وقصد به التكافؤ بين العمليات فقد مثل لهذا الحاج صالح التكافؤ بما جاء عند النحاة العرب القدماء التصغير والتكسير الرباعي، فكلاهما يمثلان مجموعة من العمليات التحويلية تحول صيغة المكبر الرباعي إلى صيغة المصغر، وصيغة المفرد الرباعي إلى صيغة الجمع المكسر منه، فالمصدرات (تصغير) و(تكسير) يدلان على حصول عمليات معينة تؤدي إلى صيغتين معينتين⁷.

قال ابن يعيش بهذا الصدد: "قوله التكسير والتصغير (من واحد واحد) يريد العمل فيها واحد، وذلك أنك تغير الأول منهما إلا أن تغيير أول المكسر بالفتح وتغيير أول المصغر الضم، فإذا قلت: "مساجد" فليست الفتحة في الميم هي الفتحة في ميم "مسجد" يدل ذلك على قولك: برثن برائن وزبرج زبارج، وتزيد فيهما حرفاً من حروف المد ثالثاً إلا أن المزيد في المكسر ألف وفي المصغر ياء.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 323.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 49.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 29.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 322-324. وينظر: ج2، ص: 39-

42.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 323.

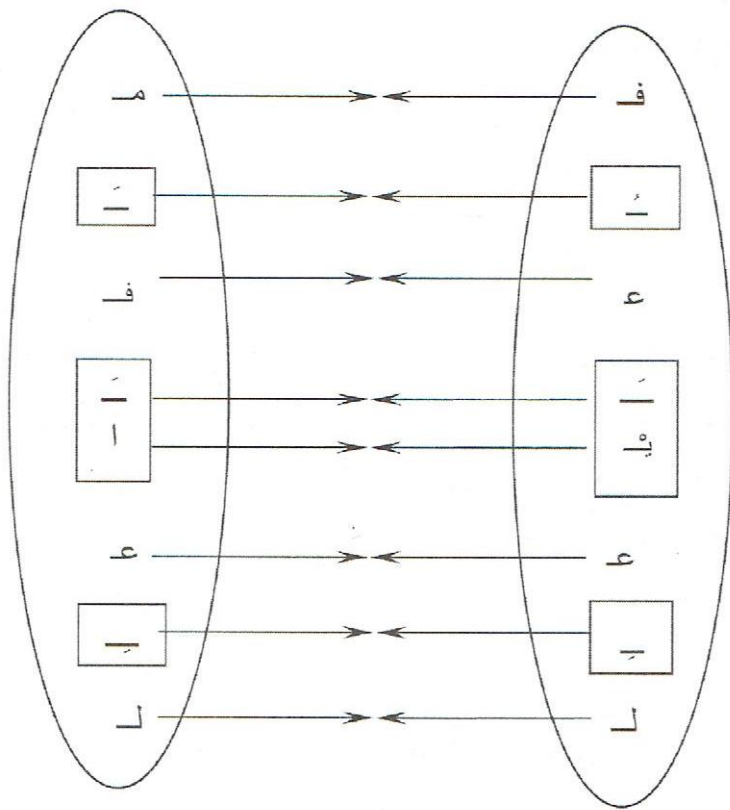
6- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 178.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 178.

وتكسر ما بعد الياء في المصغر كما تكسر ما بعد الألف في المكسر فلما كان بينهما من المناسبة ما ذكرنا قيل أنهما من واد واحد¹.

ويمثل عبد الرحمن الحاج صالح لهاتين العمليتين بمنحنيات رياضية، وهاتان العمليتان هما²:

1- العملية الأولى: التسوية بالتجريد بين المصغر الرباعي (ص) والتكسير الرباعي (ك) ويمثل لها بالشكل الآتي:



ك = مفاعل:

ص = فاعيل:

فالصيغ المجردة التي نحصل عليها من هتين الصيغتين المجردتين هما³:

¹ - ابن يعيش، "شرح المفصل"، قدم له: لميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص: 118.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 180.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 180.

ف - ع - ع - ل | | م - ف - ع - ل |

فقد حدث تقابل بين المكونات للوزن وصارت هذه المكونات مجردة من محتواها كما كانت في المستوى التجريدي الأول¹.

2- تكافؤ العمليات بين ص و ك:

ويمثل عبد الرحمن الحاج صالح لهذا التكافؤ في العمليات في أربع عمليات تحويلية وهي الانتقال من المكبر إلى المصغر ومن المفرد إلى المكسر، وهذه العمليات هي²:

العملية الأولى هي تحويل حركة الأول ولنسمها: ت1. ولنسم الحركة الأصلية ح1.

والثانية: هي تحويل حركة الحرف الثاني ولنسمها ت2 والحركة الأصلية ح2.

والثالثة: هي زيادة ياء في المصغر وألف في التكسير ولنسمها: ت3.

والرابعة: هي تحويل الحرف ما قبل الأخير: ت4 والحركة الأصلية ح3.

ويحصر التكافؤ بين هذه التحويلات في: حصول نفس التحويل من المكبر إلى المصغر ومن المفرد إلى الجمع في نفس الموضع في أربعة مواضع من الصيغة المجردة وهي³:

1- حصول تحويل حركة (مهما كانت): فيما بعد الحرف الأول.

2- حصول تحويل حركة (الفتحة في المفرد وغير الفتحة في الجمع): فيما بعد الحرف الثاني.

3- حصول نفس التحويل وهو زيادة حرف ليس (ألف أو ياء) بعد.

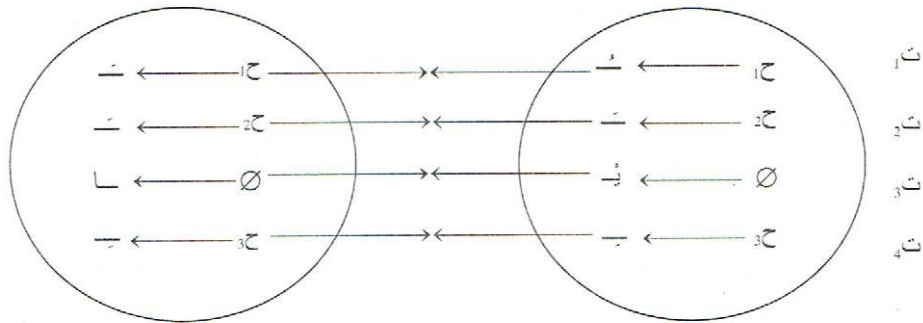
4- حصول تحويل حركة إلى كسرة بعد الحرف الثالث.

¹ - المرجع نفسه، ص: 180.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 181.

³ - المرجع نفسه، ص: 180.

ويمكن أن ترسم هذه العمليات بالشكل الآتي:



نلاحظ أن لهاتين المجموعتين ص و ك عناصر وهي العمليات التحويلية ، ولكل عنصر منها في ص نظير في ك عناصر وهي العمليات التحويلية، فلكل عنصر منها في ص نظير في ك؛ لأن كل عملية لها ما يساويها في المجموعة الأخرى وفي كلا المجموعتين يوجد نفس الزيادة للتحويلات، وهذا يعبر عنه في الرياضيات الحديثة: أن هناك تطبيقاً من ص على ك وهو تقابل $=^1$ أو Application biunivoque bijection

فهذا تكافؤ بالتناظر التام وهو تكافؤ بالتناظر التام² وهو الذي يسمى عند الرياضيين بالايزومورفيم Isomorphisme³، وهذا في غاية الأهمية؛ لأن مثل هذا القياس هو من النوع العالي تجريداً إذ يخص المجموعات لا المجموعات من الوحدات فقط ثم هو ترافق في بنية هاتين المجموعتين وهما يخصصان صيغتين: المصغر الرباعي والمكسر الرباعي وهما في أصلهما مختلفان⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن عبد الرحمن الحاج صالح يقيم موازنة بين القياس الصوري في النحو العربي والمنطق الرياضي الحديث، إذ يقول: "هو عند النحاة الأولين توافق البناء أو المجرى أو العمل التحويلي

1- عبد الرحمن الحاج صالح، " منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 180-182.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، " البنى النحوية العربية"، ص: 270.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 323.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، " منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 182.

بين أفراد الباب وهي نظائر لهذا التوافق نفسه. وقد يكون هذا التوافق جارياً بالفعل في الاستعمال أو غير جارٍ¹، ويستدلّ على ذلك بأراء للنحاة القدماء مثل سيويوه²، وابن جني³، وابن السراج⁴.

أما من وجهة المنطق الرياضي الحديث: "فإن ما يسميه النحاة العرب الأولون قياساً هو الذي يحصل بين عناصر بمقتضى انتمائها إلى مجموعة تحددها علاقة تكافؤ في البنية أو المجرى يكون دائماً: إما خاصاً بالسلاسل الكلامية أو بين بابين فأكثر Isoschemisur وإما تكافؤ خاص بمجموعتين فأكثر من العمليات التحويلية (Isomorphism)⁵.

وبذلك يكون القياس من الأمور الضرورية لنماء اللغة، إذ كيف يمكن أن تزداد اللغة وتنمو لتساير التطور إن لم يكن لها ضوابط قياسية نسير عليها.

خلاصة القول: استطاع عبد الرحمن الحاج صالح عن طريق إعادة قراءة التراث، أو كما يسميها هو "القراءة الجديدة"⁶ أن يوازن بين مفاهيم العلماء العرب القدماء وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة، وفي المنطق العلمي.

10- مفهوم الحركة والسكون:

الحركة مفهوم غامض عند الكثير الذين لم يتجردوا من التصورات التي ورثها الغربيون عن الحضارة اليونانية، فهم لم يميزوا بين الحركة كصوت مسموع أي مصوت (Voyelle)، والحركة التي تمكّن من إخراج الحرف ووصله بغيره والخروج منه إلى حرف آخر، وهو المفهوم الذي يقصده القدماء

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 183.

2- ينظر: سيويوه، "الكتاب"، ج2، ص: 253.

3- ينظر: ابن جني، "الخصائص"، ج1، ص: 116.

4- ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، تح: حسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، دط، 1985م، ج2، ص: 78.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 184.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 81.

من الحركة فهي تمكّن من إخراج الحرف، والسكون لا يمكن من ذلك، فالحرف لا يحدث إلا في مدرج صوتي، أي في سياق متسلسل¹.

يقول ابن جني: "... لأن أصل الإدراج للمتحرك إذا كانت الحركة سببا وعاوناً عليه"²، فالحركة عند النحاة القدامى هي الدفعة والنقلة العضوية والهوائية³ التي تهيء المتكلم لما بعدها، إذ يحتاج إليها للانتقال من مخرج حرف لآخر، وكذلك من كلمة إلى كلمة أخرى⁴.

فهي إطلاق بعد حبس، عكس السكون الذي هو وقف لا يستلزم الانتقال إلى حرف آخر⁵.

استطاع عبد الرحمن الحاج صالح عن طريق إعادة قراءاته التراث، أو كما يسميها هو "القراءة الجديدة"⁶، أن يوازن بين مفاهيم العلماء العرب القدماء وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة، وفي المنطق العلمي فقد تضمن تراث علمائنا القدماء مفاهيم تكون، تكون في الحقيقة نظرية دقيقة، وهذه المفاهيم جديدة بأن يكشف عنها وعن حقيقتها، وقد تمكّن الحاج صالح أن يأتي لكل مفهوم بدليل قاطع عند القدماء والمحدثين، فظلا عن أنه لم يحمل أقوال القدامى أكثر ما تحتمله، فقد اتبع طريقة علمية دقيقة للكشف عن أوجه الشبه، فضلا عن الفوارق التي قد تظلّ الباحثين فلا يهتدون إلى الشبه العميق الذي لا يتضح إلا بالطرق التحليلية الدقيقة كالطرق المنطقية الرياضية، فضلا عن تنبيهه إلى بعض المصطلحات التي لا مقابل لها في اللسانيات الغربية مثل مفهوم (المثال) و(اللفظة) ... وغيرها.

¹ - ينظر: محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة"، ص: 12. وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 179-180.

² - ابن جني، "الخصائص"، ج1، ص: 58.

³ - محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة"، ص: 12.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 180.

⁵ - محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة"، ص: 13.

⁶ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 81.

ونتج عن موازنته بين مفاهيم العلماء القدماء – ولاسيما الخليل وسيبويه والمنطق الرياضي الحديث، أن اتضحت أيضا العلاقات الوثيقة القائمة بين المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق العربي مثل: مفهوم القياس، مفهوم النظرير ومفهوم الباب...

فتمكّن من خلال قراءته هذه أن حصل لديه نوع من التحديث لنظرية الخليل، إذا ترجمها إلى لغة العلوم الحديثة بالعربية واللغات الأخرى، فلم يخطئ حين أطلق على تسميتها بـ (الحديثة)؛ لأنها نظرية على نظرية سابقة.

المبحث الثالث: نظرة عبد الرحمن الحاج صالح للخطاب التراثي

لَقِيَ التراث اللغوي العربي اهتماماً كبيراً من قبل اللسانيين العرب، وحينما نقول (تراث)، فالأكيد أن المقصود من ورائه كل ما خلفه القدماء من أعمال لغوية، سواء كانت من صنيع النحاة أنفسهم، أم من صنيع علماء الأصول والفلسفة والكلام.

ويحاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح سبر أغوار هذا التراث اللغوي الثري، فينتقي من بين جواهره بعض الموضوعات الهامة، التي يرى إمكانية إقامة توفيق بينهما وبين اللسانيات المعاصرة.

تعدُّ النظرية الخليلية الحديثة أول عمل تراثي يُقدِّمه المؤلِّف، معالِجاً من خلاله أهم الأفكار المرتبطة بالنحو العربي عند نحائنا العرب القدماء، محاولاً إبراز مواطن الاتفاق بينها وبين الفكر اللساني الحديث، فضلاً عما تفرد به علماؤنا القدماء.

لقد تمخضت عن النظرية الخليلية مجموعة من البحوث والمقالات، عالج عن طرقها جوانب عديدة من التراث اللغوي العربي، إذ شمل كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - مجزئين-) موضوعات عدّة تخص النظرية الخليلية الحديثة، منها: (تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل)، و(الجملة في كتاب سيبويه)، و(أول صياغة للتراكيب العربية: نظرية العمل العربية)، و(التحليل العلمي للنصوص)، و(مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي)، و("تعال نحي علم الخليل". أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه)، و(دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية). فضلاً عن بحوث أخرى تخص النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية من خلال النظرية الخليلية الحديثة¹.

تشكّل هذه الأعمال الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وقد حاول المؤلف جعلها فضاء برهن عن طريقه على تميز الفكر اللغوي العربي باختلاف توجهاته.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ج2، وكذلك كتابه "البنى النحوية"، ص: 123 وما بعدها.

وقبل الوقوف على أهم خصائص الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تجربته (النظرية الخليلية الحديثة) أود أن أشير بعجالة إلى (مفهومي المنهج والخطاب)، وأنواع الخطاب وأهم آلياته في التحليل اللساني العلمي.

1- مفهوم الخطاب:

يختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف وجهات النظر وتنوعها، ويتداخل مفهومه . بوجه خاص . مع مفهوم النص¹، الذي يرى بعض من الباحثين ترادفهما، والبعض الآخر تمايزهما عن بعضهما وتشكل زاوية الكتابة والمشافهة نقطة حاسمة في التفريق بينهما، إذ يعدُّ الخطاب إنجازاً شفهيّاً يوجهه المخاطب إلى المخاطب الحاضر، في حين يعدُّ النصّ إنجازاً كتابياً موجهاً للمخاطب الغائب.

ولن نتوسع في مقامنا هذا، في طرح هذه الآراء والاتجاهات المختلفة، بل سنكتفي برأي ميشال فوكو Michel Foucault الذي يعدّه "مصطلحاً لسانياً يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها بشمله لكل إنتاج ذهني سواء كان نثراً أو شعراً، منطوقاً أو مكتوباً، فردياً أو اجتماعياً ذاتياً أو مؤسسياً، في حين أنّ المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد، وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية فهو ليس ناتجاً بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو مدة زمنية أو فرع معرفي ما"². إذاً، يمكننا القول: إنّ الخطاب مجموعة

1- تعرف جوليا كريستيفا النص بقولها: " نحدد النص كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلية يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، أو المترامنة معه. فالنص إذا إنتاجية، وهي ما يعني: أ- أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناء)، ولذلك هو قابل عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتناقى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى". ينظر: علم النص، "جوليا كريستيفا"، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1991م، ص: 21.

2- ميشال فوكو، "نظام الخطاب"، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1984م، ص: 9.

مترابطة من الملفوظات الصادرة عن الأفراد والجماعات المؤسسات المختلفة باختلاف المتكلمين والعصور أيضاً. "ويمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعدّ خطاباً"¹.

هذا يعني أنّ النصوص التي تشترك في المحتوى أو الطرح أو اللغة أو الهدف أو التخصص أو حتى الفئة المتكلمة، تشكّل باتحادها خطاباً له مميزاته الخاصة، أو هو "مجموعة من الآليات الخطابية التي تحدّد ما يمكن أن يقال وبأية صيغة يمكن أن يقال، وما هو جدير بالمعرفة، وما هو مهم تذكره واسترجاعه"².

يتضح مما تقدّم أنّ الخطاب يرتبط بقائله ومتلقيه والموضوع المطروح والوضع الذي يحتويهم، أو المؤسسة الثقافية أو الاجتماعية أو العلمية التي ينتمي إليها طرفا الخطاب. وهو ما يجعل من "مجموعة من العبارات المباركة التي لها قوة مؤسسية، أي أنّ لها تأثيراً عميقاً على الطريق التي يفكر بها الأشخاص وعلى الكيفية التي يسلكون بها"³، فضلاً عن أنّ لها تأثيراً على اللغة التي يوجه بها الخطاب، والتي تختلف بدورها من قائل إلى آخر، ومن تخصص إلى آخر، كما تختلف باختلاف المناسبة أو الموقف وطبيعة المتلقي والهدف المقصود من وراء إصدار الخطاب، وعليه يمكن تحديد الخطاب بوصفه مجالاً بعينه من الاستخدام اللغوي تُحدّد بنيته بتمازج العناصر السابقة التي تفرز باختلافها أنواعاً جديدة من الخطاب⁴.

صفوة القول: "تختلف أنواع الخطابات باختلاف المؤسسات والممارسات الاجتماعية التي تتشكّل فيها هذه الخطابات، وباختلاف أوضاع أولئك الذين يوجه إليهم الحديث"⁵، فهناك الخطاب

¹ - روبرت دي بوجراند، "النص والخطاب والإجراء"، ترجمة: د. تمام حسان، عالك الكتب، مصر، ط1، 1998م، ص: 72.

² - سارة ميلز، "الخطاب والايديولوجيا"، ترجمة: يوسف بغول، حولية مختبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، مطبعة البحث، عدد1، 2002م، ص: 110، 111.

³ - المرجع نفسه، ص: 110.

⁴ - ينظر: ديان مكدونيل، "المقدمة في نظريات الخطاب"، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، مكتبة الأكاديمية، ط1، 2001م، ص: 68.

⁵ - ديان مكدونيل، "المقدمة في نظريات الخطاب"، ص: 67.

السياسي، والخطاب الديني، والخطاب العلمي، والخطاب اللساني...¹، إذ يرد لفظ (الخطاب) مقترناً مع صفات أخرى. وبما أن موضوع بحثنا يدور في فلك اللسانيات، وتحديدًا بغرض تحليل نموذج من نماذج الخطاب اللساني العربي الموجه للقرء العرب باختلاف مستوياتهم، فإن المؤسسة اللسانية بتموقعها العربي ستفرض وستستدعي في الوقت ذاته حضوراً خاصاً للخطاب.

2- أنواع الخطاب العلمي:

ومن أنواع الخطاب التي يمكن تلمسها في النظرية الخليلية الحديثة ما يأتي:

أ. الخطاب العلمي:

يتنوع الخطاب العلمي بتنوع العلوم، ويختلف باختلاف طبيعة الحقيقة التي يطرحها، ويتميز الخطاب العلمي بلغة خاصة، لا مجال للعاطفة والجمال فيها، فهي لغة موضوعية تستند إلى سجل مصطلحي خاص، تتحدد من خلاله مدلولات الدوال بشكل دقيق، ولا مجال فيه لتعدد الدلالات لمصطلح الواحد، ولا لتعدد القراءات للفكرة الواحدة. يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "أما البحث اللغوي فينبغي أن لا يتصف بالمعيارية، أي لا يفضل اللغوي لهجة على أخرى أو كيفية في الأداء على أخرى لسبب من الأسباب غير العلمية، بل يجب أن يكتفي بالوصف الموضوعي لكل ما ورد في مدونته وإلا فإنه سيهدر كثيراً مما هو موجود، ويفرض ما يستحسنه، فيكون له بذلك موقف ذاتي بعيد عن العلم"².

ولاشك "أن الخطاب العلمي . كغيره من الخطابات . يتحدد تبعاً للمخاطب والمخاطب ووضع الخطاب، إلا أن الخطاب العلمي . في جوهره . خطاب نظري يمكن تصوره كبنية تفسيرية تربط عدداً من الظواهر بعدد من المفاهيم والمسلمات والمبادئ عن طريق استنتاجي... وتحدد البنية التفسيرية

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب". مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م، ص: 34.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 213.

بصفة أدق بالنظر إلى مجال البحث ومجال التفسير مجال الاحتجاج. فمجال بحث الخطاب تحدده مفاهيم ذلك الخطاب، وهذه المفاهيم تخصص مجموعة من الظواهر"¹.

أ. الخطاب اللساني:

الخطاب اللساني خطاب علمي موضوعه اللسانيات بوصفها "الدراسة الموضوعية للظواهر اللسانية العامة الوجود منها والخاصة بكل قوم والغاية منها هو الكشف عن أسرارها وقوانينها سواء أكان في مستوى النظام المتواضع عليه أم في مستوى الكلام وتأدية المتكلمين لوحداته وتركيباته في المخاطبات الشفهية والكتابية"².

ج. الخطاب التربوي:

الخطاب التربوي أو التعليمي هو الخطاب الذي يعنى بنقل المعارف والمعلومات بشكل بسيط يضمن سهولة اكتسابها من قبل القارئ أو المتعلم ، ويتم ذلك باعتماد منهج واضح يقوم على مجموعة من الوسائل التبسيطية مثل: التلخيص، التكرار، المخططات والرسوم البيانية وغيرها.

والهدف الأساسي من الخطاب التربوي أو التعليمي هو تيسير بناء الرصيد المعرفي للقارئ لتأهيله لسبر أغوار تلك المعرفة، والانتقال به من مرحلة التخزين إلى مرحلة الإخراج، أي من مرحلة تقبل المعلومة إلى مناقشتها ونقدها ودحضها أيضاً ، وعليه يمكننا القول: إنَّ للخطاب التربوي هدفين: قريب وهو التسهيل، وبعيد وهو التأهيل، فهو يسهل المعلومة حتى يؤهل القارئ لإعادة قراءتها في سياق علمي أكثر تعقيداً.

د. الخطاب التراثي:

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، "عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني في المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية"، دار توبقال للنشر، ط2، 1993م، ص: 43.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ص: 174.

يعرف عبد الرحمن الحاج صالح التراث اللغوي العلمي أنه "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جلييلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الاعجام والنقط لتصحيح القراءة"¹.

إذ يشير لفظ (تراث) في الخطاب العربي الحديث والمعاصر إلى ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعاً خلفاً لسلف².

وجدير بالذكر أن الجانب الأهم من التراث هو الأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها³. والرصيد اللغوي القديم الذي خلفه أسلافنا مادةً وبجثاً، جزءاً لا يتجزأ من هذا التراث، وعليه، يمثّل (التراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكرية القديمة المتعلقة بتحليل الظواهر اللغوية بشكلٍ عام وظواهر اللغة العربية بشكلٍ خاص⁴.

نخلص من هذه التقسيمات إلى أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قد وقف عند هذه الأنواع من الخطاب، إذ كان خطابه تراثياً فضلاً عن جمعه بين الخطاب العلمي والتربوي فضلاً عن اللساني، إذ نلاحظه - في المباحث السابقة - يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث وما تواصلوا إليه من أفكار ومناهج، وما يقوله المحدثين في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم اللسانية، كالنحو التوليدي والتحويلي وكنظرية الخطاب وغيرها.

3- آليات الخطاب العلمي:

تتمثل آليات تحليل الخطاب العلمي في:

3-1. مقومات الخطاب العلمي:

¹- عبد الرحمن الحاج صالح، "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، ص: 7.

²- محمد علي الجابري، "التراث والحداثة"، المركز الثقافي العربي بيروت ط 1 1991 ص: 24

³- عبد الرحمن الحاج صالح، "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، ص: 7.

⁴- المرجع نفسه، ص: 7-8.

يقوم الخطاب العلمي على أربعة مقومات أساسية هي:

أ- الوضوح:

نقصد بالوضوح في الخطاب العلمي، الابتعاد عن الغموض أو الإبهام، ولا يتحقق ذلكم إلا من خلال حسن اختيار العبارة ودقة قصدها وتفرد دلالتها، وعدم قابليتها لتعدد القراءات "فلا ينبغي أن يجعل للفكرة الواحدة أكثر من كلمة أو تعبير يحتمل معنيين أو أكثر"¹. وهكذا يرتبط وضوح الخطاب العلمي بوضوح ودقة عبارته أو صيغته اللسانية، فظلاً عن إنه يخضع لصياغة لسانية صارمة، ولا مكان فيها للمجاز والعبارة الذاتية كالتى تتضمن التعجب أو المدح أو الذم...²، إلا بما تقتضيه المعلومة، كطرح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مجموعة من الأسئلة المبدئية حول قضية ما³، والتي يكون القصد منها عموماً، إثارة الإشكاليات لدى القارئ، وجذب انتباهه إلى تفصيل الموضوع، وينبع وضوح الخطاب في النظرية الخليلية، من بساطة أسلوب المؤلف، ومباشرته والتزامه باستخدام مفردات بسيطة، سهلة، عادة ما ترافق الخطاب العلمي، مثل: التحديد والتلخيص، والتعريف والدراسة والمفهوم والمصطلح...

ب- الموضوعية:

يقتضي الخطاب العلمي - على عكس الخطاب الأدبي - إقصاء شخصية المؤلف، فهو مطالب بوضع حد فاصل بين ذاته وموضوعه، وأن تكون الغلبة في بناء الخطاب للموضوع، الذي هو إما عرض للمعلومات أو استثمار للمناهج أو استخلاص للنتائج أو تحليل للقضايا، أو تفسير للظواهر بشكل لا مجال للذات أو الحكم الشخصي⁴.

¹ - شريف بو شحدان، "واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي - الخطاب اللساني أمودجاً"، مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد السادس، 2002م، ص: 268.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 268.

³ - ينظر: على سبيل المثال: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 9-10.

⁴ - ينظر: "خصائص الخطاب اللساني"، ص: 70.

ويلتزم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الموضوعية في طرح مواضيعه التراثية، فهو لا ييدي من خلال أعماله انحيازاً لآراء القدماء، ولا مبالغة في الإشادة بها، ولا محاولة لتخطئة ما يخالفها، ولا تصغيراً لجهود المحدثين بحجة أسبقية الآراء عند القدماء، إنه عمل منظم موضوعي، يعتمد أسلوباً توافيقاً يسعى من خلال الباحث إلى استخلاص الآراء اللغوية المتطورة في التراث العربي.

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "المقصود من هذا¹ ليس هو أن نأخذ ما يقوله المحدثون من علماء اللسانيات وننطلق منه كأصول ثم ننظر ما الذي يوافق ذلك فيما جاء به العلماء القدامى من أقوال فنحكم على بعضها بالصحة لموافقتها لها وبعضها بالخطأ (بل بالبدائية) لمخالفتها، فهذا تعسف محض؛ لأن النظريات والمذاهب ليست هي الحقائق العلمية التي يجمع على صحتها كل العلماء. ومن جهة أخرى فهناك أصول علمية يجمع عليها في زماننا بين جميع العلوم لا في علوم اللسان فقط فهي التي يجب أن تكون كالمحك في اختبار الصفة العلمية لأي فكرة ولأي مذهب ولأي منهج لعمومها وانطباقها على جميع المعارف ولعدم الخلاف فيها... كما أن المقصود ليس هو إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة... وكل يعرف أن لكل عصر نظرة خاصة وتصوراً خاصاً للظواهر وكيفية خاصة للكشف عن أسرارها. والمنظور العربي يتميز بلا شك في هذه العلوم اللسانية عن المنظور الغربي الحديث، ثم لا بد أن نعرف أن الكثير مما هو موجود عند الغربيين ورثوه عن الحضارة اليونانية"². هذا دليل قاطع على موضوعية المؤلف، وإلزامه بهدفه وهو ربط الفكر اللغوي العربي بالفكر اللساني الحديث.

ج- الانتظام:

¹- عبد الرحمن الحاج صالح، قصد دراسته التوافقية بين علوم اللسان العربية وعلوم اللسان الغربية.

²- عبد الرحمن الحاج صالح، "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، ص: 8.

يتعلق الانتظام ببناء الخطاب، وكل بناء لابد له من تخطيط مسبق لتنظيم مادته، "إذ كلما أخذت الحقائق والمعلومات التجريبية، وهي المادة الأولية للخطاب العلمي، حظاً في التنظيم والترابط والتماسك كلما تميز هذا الخطاب عن غيره، وكان أقرب إلى روح العلم"¹، فكثرة المعلومات دون تنظيمها، وتعدد الطروحات دون تماسكها لا يمكن أن يؤدي إلى بناء خطاب علمي حقيقي.

ويتمثل انتظام العمل التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من انتظام الأفكار التراثية واللسانية المعروضة ضمن النظرية الخليلية الحديثة، فهو ينطلق - في أغلب الأحيان - من القديم، ثم يعود إلى الحديث، مؤسساً بذلك موازنات تنتظم فيها آراء القدماء من ناحية كما تنتظم آراء المحدثين من الناحية الأخرى.

وتتماسك هذه الأفكار جميعاً لتخدم الفكرة العامة التي يطرحها المؤلف ويسعى لتأكيدھا، دون خلط للآراء، أو إسقاط تام للحديث على القديم - كما ذكر - ويتجسد ذلك بوضوح من خلال اعتماده المصطلحات التراثية للتعبير عن مفاهيم القدماء، فضلاً عن اعتماده المصطلحات الحديثة للتعبير عن مفاهيم المحدثين، وإن كان المفهوم متقاربا بينهما، من ذلك مثلاً اعتماده مصطلح (قسمة التراكيب) مقابل التوزيعية في المدرسة الاستغراقية²، هذا وتوجد أمثلة أخرى مثل مفهوم (اللفظة) التي لا يوجد في اللسانيات الغربية واقتراح - مؤلف - ترجمتها بـ (Lexai)، والعامل والاستقامة... وغيرها. وإثماً مصطلحات أصلة تعبر بدقة وصرامة ووضوح على مفاهيم لسانية خليلية أصيلة وتُحيط بها إحاطة جامعة مانعة، فضلاً عن وعيه بالمصطلح الغربي الحديث والعمل على توطينه في اللسانيات العربية بما يتلائم مع السياقات المعرفية التي نشأ فيه المصطلح، مثل مصطلح الإيزومورفيزم Isomorphisme وقصد به (التكافؤ بين العمليات) أو (التكافؤ في القياس)³.

د - الاقتصاد:

¹ - الشريف بوشحدان، "واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي"، ص: 269-270.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 210.

³ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 178.

الخطاب العلمي خطاب دقيق لا مجال للخيال أو الإيحاء فيه؛ ولذلك فإن عباراته موجزة، محدّدة الفكرة، تحمل دلالةً واحدةً ولا تطرح فرصاً تتعدد قراءاتها، ويلجأ المؤلف لتحقيق الاقتصاد في الخطاب العلمي إلى وسائل عدة، على سبيل المثال: تلخيص المسائل في شكل نقاط¹، وصياغته النتائج والقوانين ووضع المخططات واستخدام الرموز²، وكل ذلك لتجنب الإطناب والحشو الذي قد يؤدي إلى سوء تبليغ الموضوع، ومن ثمّ سوء فهمه من قبل المتلقي.

وقد تبني الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة أسلوب علمي دقيق، يعالج الأفكار بشكل بسيط جداً سهل الفهم، دقيق القصد، مختصر يركز فيه على المعلومة كما تبينها، سواء أكانت تراثية أم حديثة، عاملاً على إجراء الموازنات بينها، دون توسع في الأفكار والاسترسال في الحديث، وهو ما يجنبه جعل الموضوع كبير الزوايا، بذلك عن كل ما ليس له علاقة بالموضوع.

2-3. مستويات تحليل الخطاب العلمي:

أ- البنية التقنية (La Structure Technique)

تعني هذه البنية فهم الموضوع، وتتجلى من خلال "القابلية لتحليل المعلومة الكبرى إلى أجزاء أصغر منها قابلة . هي بدورها . للفهم، من أفكار أو أحداث، والبحث عن نوعية الترتيب المنطقي للأفكار والمعلومات، مثل: الترتيب الاستدلالي (من الخاص إلى العام) والترتيب الاستنتاجي (من العام إلى الخاص)، والترتيب التاريخي وبعبارة أوضح، فإن أي نص يمكن وصفه بالسردية أو الوصفية أو البرهانية أو التوضيحية، تبعاً لنوعية الترتيب المنطقي الغالب الذي يظهره الخطاب"³.

فضلاً عن أن للمفاهيم دوراً فاعلاً في بناء الخطاب وفهمه وتحليله، فهي مفاتيح الخطاب، ومن أدركها تمكّن من فتح مستغلقاته وما يزيد المفاهيم العلمية دقةً ووضوحاً تفرد دلالاتها، إذ لكل

¹ - ينظر: على سبيل المثال: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 306.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 319.

³ - بشير إبرير، "تعليمية الخطاب العلمي"، مجلة التواصل، دراسات في اللغة والأدب، عناية، العدد الثامن، 2001م، ص: 80.

مصطلح علمي مفهوم واحد وعلاقات خاصة يؤثر ويتأثر بها في إطار بناء الدلالة العامة للخطاب وهذا ما وجدناه واضحا وجليا في النظرية الخليلية الحديثة.

ب- البنية التنظيمية (La Structure D'organisation)

تتم الملكة التنظيمية ببناء الخطاب، و"يظهر ذلك من حيث الكتابة في فقرات، وكلُّ فقرة تحمل فكرة رئيسة أو خطوة مهمة في تقديم الحجج والبراهين التي يحتويها الخطاب العلمي، بالنظر إلى ترابطها عضويًا، بحيث يجعل الشكل العام للخطاب أعلى درجة من الانسجام والتناسق"¹، وينقسم الخطاب العلمي . في إطار البنية التنظيمية . على مستويين من التحليل هما: الخطاب الأساسي والخطاب الثانوي. الخطاب الأساسي: يرتبط بمادة الخطاب المطروحة، "ويحتوي على الأدلة المركزية للخطاب أو فرضياتها وآراء الكتاب والنتائج التجريبية المدعمة للبراهين"²، ويمكننا القول: إن الخطاب الأساسي يتجسد بشكل عام في متن الخطاب أو النص المؤلف.

أما الخطاب الثاني: فإنه عادةً ما يرافق متن الخطاب العلمي هوامش ترشح وتحيل وتثبت الأقوال المستخدمة كوسيلة لدعم دقة الخطاب الأساسي وتحقيق الأمانة العلمية. وهكذا "تكون المقولات المأثورة والمراجع والإحالات المرجعية في الهوامش أو الحواشي... الخ، كلها عناصر مكونة للمستوى الثاني الذي يمكن أن نسميه الخطاب الثانوي"³.

ج- البنية اللسانية (La Structure Linguistique):

ترتبط البنية اللسانية بلغة الخطاب، و"تعني مدى قدرة الكاتب في ميدان العلم . تعليما وبحثا على التحكم في اللغة بفاعلية واختصاص كمكون أساسي من مكونات الموضوع وما يقتضيه من معجم وصيغ وتراكيب ودلالات كامنة في الخطاب"⁴.

1- بشير إبرير، "تعليمية الخطاب العلمي"، ص: 81.

2- المرجع نفسه، ص: 81.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 36-37.

4- المرجع نفسه، ص: 82.

فضلاً عن أن الخطاب العلمي يفترض اعتماد معجم خاص ينبع من صميم التخصص، كما تتميز الصيغ والتراكيب بوضوحها وقيامها على دقة القصد والإشارة المباشرة للمعنى.

هذه هي لمحة عن الخطاب اللساني المعاصر، فضلاً عن أهم تقنيات التحليل التي يمكن اعتمادها في دراسة الخطاب اللساني، والتي يمكن تلمسها عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من صلب المادة المطروحة - النظرية الخليلية الحديثة - من قبل المؤلف والتي تدور حول تحليل الخطاب التراثي عنده، وبنية الخطاب فضلاً عن لغة الخطاب التراثي التي اعتمدها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

4- تحليل الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

أ. من حيث الموضوع:

يجمع الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بين شكلين من التفكير اللغوي: التفكير اللغوي العربي القديم والتفكير اللساني الحديث. وسعيًا منه إلى التوفيق بين التفكيرين، يقدم المؤلف بعض القراءات المتنوعة بتنوع مجالات البحث اللغوي.

يقسم مصطفى غلفان القراءات التراثية على ثلاثة أصناف أساسية¹:

(1) قراءة شمولية.

(2) قراءة قطاعية.

(3) قراءة النموذج الواحد.

فيما يخص للقراءة الأولى، تقدم تجربته (النظرية الخليلية الحديثة)، قراءة شمولية لجميع مستويات اللغة (الصوت، الصرف، النحو، الدلالة)، إذ يعرض أفكار وآراء علمائنا القدماء ثم يوازنها مع ما

¹-ينظر: مصطفى غلفان، "اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية للمصادر والأسس النظرية والمنهجية"، منشورات كلية الآداب الدار البيضاء، ص: 136.137.

بماثلها في التفكير اللساني الحديث. فقد أسس النظرية الخليلية مستنداً إلى تحليلات اللغة، طبقاً للمستويات أو المراتب الآتية¹:

المستوى (6)	↑	الحديث أو الخطاب
المستوى (5)	↑	أبنية الكلام أو البنى التركيبية
المستوى (4)	↑	اللفظات (جمع لفظة)
المستوى (3)	↑	الكلم أو الكلمات
المستوى (2)	↑	الدوال
المستوى (1)	↑	الحروف
المستوى (0)	↑	الصفات المميزة

وانطلق العلماء في تحليل اللغة من مستوى اللفظة Lalexie وهو "المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية والواحدة الإعلامية أو الإفادية". ثم يبدأ المستوى (0) الذي يخص الصفات المميزة المتمثلة في المخارج من الحق إلى الشفتين، والصفات مثل الجهر والهمس والغنة وغيرها. ثم يتدرج إلى المستوى الأول كما تدل العلامة ↑ المتمثل في الحروف، فقد اقتصرت العربية على ثمانية وعشرين حرفاً وستة أصوات (حركات وحروف مد). وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكون المستوى الثاني المتمثل في (الدوال) أو العناصر الدالة وهي أربعة:

أولاً: المادة الأصلية المكونة من حروف المعجم مثل: (ض.ر.ب).

ثانياً: الوزن أو الصيغة المتمثلة في القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصلية.

¹-عبد السلام المسدي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، ص:13.12.

ثالثاً: حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيها معنى إضافياً غير المعنى الأصلي لهما، ويعرفها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنها: "كلمة محسوسة بنيت بناء لازماً وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى والإفادة، فتعدّ في أحد هذين القبيلين إلا أنّها تبنى بناء لازماً كأدوات الأخرى وذلك مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول"¹.

رابعاً: العلامة العدمية أو ترك العلامة كما سماه العرب القدماء، ويتمثل في غياب اللفظ الدال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض، وذلك مثل: طويل (للمذكر)، وكتبت (للمتكلم) وطويلة (ة التأنيث) وكتب (Ø للغائب)².

وأما المستوى الثالث من التحليل فيبنى على المستويين السابقين ويتمثل في (الكلم) وتدرج فيه الأسماء والأفعال، وقد عرف سيبويه الوحدات في هذا المستوى بقوله: "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"³.

إنّ الكلم نوعان: متمكن يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدلالة على معناها، وغير متمكن ويتمثل في حروف المعاني والأفعال الناقصة وغير المتصرفة والأسماء المبنية؛ فالكلم المتمكنه يبدأ بها ويوقف عليها؛ لأنّها تنفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة، وأما غير المتمكنه فتحتاج إلى غيرها من الكلم وينعدم فيها الأصل والصيغة"⁴.

¹ -عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات ، ع1973 ، ص34، 1974.

² -خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص:96.

³ -ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص:12.

⁴ -عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص:192 193.

أما مستوى التحليل الخاص باللفظة فينتظم انتظاماً معقداً، يقول عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنَّ الكلم ... لا تنتظم في الكلام على مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النحاة المتأخرين، فإن الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوماً من أدوات مخصصة به ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج) يسمى عند نحائنا القدامى بالتعاقب، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه، وذلك مثل المضاف إليه والتركيب المسمى بالصلة والموصول والصفات وحتى الأبنية المسماة - من حيث الإفادة فقد- جملاً¹.

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: الكتاب، كتاب التلميذ، بالكتاب، الكتاب المفيد الذي اشتراه التلميذ أمس... الخ، تعدُّ بمنزلة الكلمة الواحدة وهي التي سماها الرضي الاسترباي "لفظة"² لا كلمة. ومن هذا المفهوم عندهم³.

تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات "كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد"⁴، كما قال سيبويه: "فأما النعت الذي جرى على النعوت فقولك: مررت برجلٍ ظريف، فصار النعت مجروراً مثل المجرور لأنه كالاسم الواحد ... أما لا النافية للجنس واسمها فجعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد"⁵.

¹-المرجع نفسه،ص:192.

²-الاسترباذي، "شرح كافية ابن الحاجب"، ج1 ص:12.

³-عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص:192.

⁴-ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص:421.

⁵-المصدر نفسه، ج2، ص:284-285.

أما المستوى المتعلق بأبنية الكلام فيعني التراكيب والجمل وهو أعلى من اللفظة، ويبحث عن المثال المجرد الذي يبنى عليه أقل الكلام المركب وذلك بجمل كلام على آخر من جنسه¹.

بمعنى أن الانطلاق في التحليل اللغوي يتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما فوق اللفظة لاكتشاف البناء أو الأصل، "بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريداً وهو مستوى العامل وهو العنصر اللغوي الذي يتحكم في التركيب فيعمل فيه الرفع والنصب، وهو الذي يحدد العلامات الإعرابية في التركيب"².

وقد أوجز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أبنية الكلام في العربية بقوله: "إن أصغر ما يبنى عليه الكلام يتكون دائماً من عامل (ع) ومعمول أول (م1) ثم معمول ثان (م2)³. وهكذا يعدُّ العامل أو العمل النحوي الفكرة الجوهرية التي تأسست عليها نظرية النحاة العرب فكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنما يجيء تبعاً لعامل في التركيب، فلا تجد معمولاً إلا وتصور له العلماء العرب الأوائل عنصراً لفظياً و معنوياً هاما هو العامل الذي يكون مع معموله زوجاً مرتباً Coupleodonne⁴.

وأما المستوى الأخير من التحليل فيتعلق بالحديث أو الخطاب وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه التحليل، فقد كان للخليل وسيبويه والعلماء العرب الذين جاءوا بعدهما نظرية لغوية متميزة فرقوا فيها بين النظرة إلى الكلام بعده خطاباً والنظرة إليه بعده بنية ومن أهم المبادئ التي بنيت عليها هذه النظرية التمييز الصارم في تحليلهم للغة بين جانبها الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة، أي تبليغ الأغراض المتبادلة بين متكلم ومخاطب، وبين جانبها اللفظي الصوري، أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بغض النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية⁵. فضلاً عن أن اللغة وضع واستعمال أي نظام من الأدلة المتواضع عليها واستخدام لهذا النظام وليست نظاماً فقط ينظر فيه

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص:ص:326.

² -خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص:100.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص:40.

⁴ -خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص:113.

⁵ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص:91.

الباحث دون أن يفكر في كيفية استخدام المتكلم له كوسيلة تبليغ أولاً، وكوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانياً¹.

فاللغة عبارة عن مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية وهذا يسمى الوضع، أي ما يثبتته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية وعلاقتها الرابطة وبين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفرعي أو توليدي، أما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فيختار المتكلم ما يحتاج من الدوال للتعبير عن أغراضه فيميز بين ما هو راجع إلى القياس وبين ما هو راجع إلى الاستعمال؛ بمعنى أنه يستعمل اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب؛ لأن قوانين الاستعمال هي قوانين الوضع أو القياس ولذلك فإن اللفظ والمعنى في الوضع يختلفان عنه في الاستعمال².

وبخصوص القراءة الثانية التي تركز على (القطاعية)، فأعتقد أن بحثه الموسوم بـ (الجملة في كتاب سيبويه)³ يمكن تصنيفه ضمن هكذا نوع من القراءة؛ وذلك لأنه لا يعالج قطاعاً بأكمله - وهو المستوى النحوي - بل يعالج أفكاراً جزئية فيه: هي الجملة عند سيبويه، والتميز بين الكلام كخطاب وكبنية⁴.

ومن أجل ذلك أقترح تسميتها بالقراءة الجزئية أو التفصيلية، التي تتمحور حول نقطة جزئية في قطاع عام أو نظرية خاصة وهي: النظرية الخليلية الحديثة.

أما ما يخص القراءة التي تركز على النموذج الواحد، فيقدم عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً - ضمن بحوث النظرية الخليلية الحديثة - بعنوان: (أقائم أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج، 1: ص 218-219.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 195.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج، 1: ص 290-303.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 102-103.

بالاعتماد على مفهوم الموضع والمثال)¹، يعرض من خلاله أهم الأفكار التي يطرحها عالمان الجليلان - سيوييه والرضي- بالتفصيل، ومشيراً إلى ما اتفق منها مع التفكير اللساني الحديث، وما يفتقر عنها، إذ إنَّ (مفهوم الموضع) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً²؛ والسبب في ذلك أنَّ التحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللفظ المسموع وحده كما هو الشأن عند البنيويين، والنحاة العرب ينطلقون - أيضاً- من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق بينهما من حيث صفاتها الذاتية بل يحملون هذا النحو على ذلك ... والمثال الناتج عن هذا الحمل هو الصورة الجامعة³.

ويورد عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً آخر - ضمن بحوث النظرية الخليلية الحديثة- بعنوان: (تعال نحي علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيوييه)⁴، إذ تعرض المؤلف فيه إلى عرض موضوعات ذكرها في موضوعات ذكرها في مواضع سابقة⁵، فضلاً عن إنه بين ما للخليل من "تصور علمي وأدوات تحليلية لا يضاهيها في القيمة العلمية إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا، وذلك لا من الناحية المنهجية فقط، بل أيضاً من الناحية المنهجية التجريبية منها والنظرية"⁶.

وقد ذكر أن النحو العربي الأصيل في جوهره إجرائي وقصد بذلك: "أنه يُحدّد ويولّد في الوقت نفسه الكيانات النحوية بتحديد كيفية حصولها وتحقيقها، ويتم ذلك بحصر الأصول أولاً ثم بتفريع الفروع على الأصول مع إمكانية ردّ الفروع إلى أصولها"⁷. فالاسم - مثلاً- يبحث فيه النحوي أولاً عن أقل ما يمكن أن ينطق به من اللفظ ويكون في الوقت نفسه كلاماً مفيداً مثل (كتاب)، فهذا

¹-عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص: 9-21.

²-المرجع نفسه، ج2، ص: 21.

³-عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص: 22.

⁴-ينظر: المرجع السابق، ج2، ص: 57-79.

⁵- كموضوع الأصل والفرع مثلاً.

⁶-التوليد اصطلاحاً للرياضيين يستعمله تشومسكي وغيره من اللسانيين المحدثين.

⁷-عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 29.

أصل يمكن أن تفرع عليه فروع بعملية تسمى الزيادة، وهو تحويل في اللسانيات التحويلية التوليدية¹، وهكذا يتمحور العمل التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حول ثلاثة موضوعات قرائية، نلخصها في الجدول الآتي²:

نوع القراءة	العمل التراثي
قراءة شمولية	المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي. المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب.
القراءة القطاعية	الجملة في كتاب سيويه.
قراءة النموذج الواحد	"أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيويه والرضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال. "تعال نحى علم الخليل" أو الجوانب العلمية. المعاصرة لتراث الخليل وسيويه.

مما تقدم يتضح لنا أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لا يكتفي في أعماله التراثية بالمعالجة العامة، بل يعتمد إلى المسائل الدقيقة فيحللها ويستخلص أهم ما تقوم عليه من مبادئ بما اتفق معها في النظريات اللسانية الحديثة.

إنّ هذا المنطلق يدل على أنّ المؤلف لا يستند في أعماله على إخضاع التراث اللغوي لتيار لساني محدد، فلم يقل إنّ التراث اللغوي العربي بنوي أو توليدي، بل يحاول طرح المفاهيم ومقابلتها بما شابهها سواء أكان بنوياً أو توليدياً أم غير ذلك. وبذلك تصبح الموازنة لديه موازنة مفهومية جزئية، لا

¹- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص:78.

²- بشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة"، ص:17.

موازنة نظرية عامة. وهذا يعني أنه يتجنب إصدار الأحكام العامة التي تُخضع التراث اللغوي العربي لتيار لساني محدد، بل يحاول تناول الموضوعات بدقة موضوعية وعلى وفق منهجية علمية يزواج بين القدماء العرب واللسانيات الحديثة.

ب. من حيث المنهج:

تعدّ دراسة التراث وربطه بالفكر اللساني الحديث، عملية دقيقة وصعبة التحقيق، خاصة وأنّ تراثنا اللغوي العربي يتميز بضخامة حجمه المبعثر في بطون الكتب العلمية المتعددة الاتجاهات، لذا تأخذ عملية دراسته بعدين:

البعد الأول: جمع نتاجه وحصر مادته لتفسيرها وفهم أبعادها.

البعد الثاني: وضعه الصحيح من الدراسات اللسانية الحديثة.

إنّ عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفردية المبذولة من قبل بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة تضافر مجهودات اللسانيين العرب لتغطيه أكبر عدد ممكن من اللغويين العرب، ودراسة أهم القضايا المتطورة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثمّ ربطها بالتراث اللغوي العالمي¹.

وكغيره من اللسانيين المعاصرين، اهتم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بدراسة التراث اللغوي العربي، مقدماً عدداً من المحاولات لكشف ذلك التقارب القائم بين التفكيرين، ولردّ على التهميش الذي شهده التراث اللغوي العربي في مسيرة التأريخ للسانيات، إذ لا نبالغ إذا قلنا: إنّ هناك ظلماً طال التراث اللغوي العربي في هذا المجال².

إنّ محاولة العودة إلى الأعمال التراثية التي قدّمها المؤلف تبرهن على صحة ما ذهب إليه، إذ إنّ اتّخاذ وضعاً وسطياً، فهو لم يتوقع في التراث عازلاً إياه عن مستجدات البحث اللساني العالمي، وفي

¹- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج1، ص: 101-100.

²- ميشال زكريا، "الملكة اللسانية في مقدمك ابن خلدون"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1986، ص: 70.

المقابل لم ينسوخ عن هذا التراث، منجرافاً وراء اللسانيات الحديثة وما تحتويه نظرياتها ومناهجها، فظلاً عن إنه لم يكتفِ بعرض أفكار القدماء، ولا منهجهم في الدرس اللغوي، بل سعى في أكثر من موضع إلى مقارنة هذه الآراء بآراء المحدثين، وإظهار نسبة التقارب القائمة بينها.

ويعبر المؤلف عن هذا المنهج قائلاً: "إن أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التحليل هو التناسب الوضعي الذي يوجد علم اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري فهذا التناسب لجدير بالدراسة¹. إذاً يتضح لنا مما تقدم أن المنهج الذي تبناه الدكتور الحاج صالح في عمله التراثي هو (التوافقي) فضلاً عن كونه (مقارنة)، وهو ذات المنهج الذي يعتمد عليه أغلب دراسي التراث العربي²، وإن كانوا لحد الآن غير متفقين على أسسه وخطواته العامة. يتبادر إلى الذهن سؤال، أين تكمن مواطن الإبداع في منهجيته المعتمدة في تحليل الخطاب التراثي في النظرية الخليلية الحديثة؟ بصيغة أخرى، هل يمكننا عدّ الخطاب التراثي في النظرية الخليلية الحديثة خطاباً أصيلاً؟

يرتبط مفهوم الأصالة - هنا - بمجموعة الصفات أو المميزات الخاصة بالخطاب التراثي، كما تمثلته تجربة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، من حيث طريقته في معالجة ما اختار من التراث العربي، وما تعلق بهذه المعالجة، من مفاهيم ومبادئ ومصطلحات. وهو ما يقودنا إلى تحديد معالم النموذج المقترح من قبله في دراسة وإعادة بث التراث اللغوي العربي من جديد، وفي هيئة جديدة، بهدف استثمار أفكاره في بناء صرح لساني عربي يتسم بالأصالة والتجديد في الوقت ذاته.

وتتحدد الأصالة بنظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال قوله: "أن يكون الشيء أو الإنسان مبدعاً مهما كان عصره أي أن لا يكون نسخة لغيره بالنسبة إلى الأفكار التي ينتجها، فالأصيل هو من ليس نسخة لغيره مهما كان الزمان، وقد تكون أصالة في زمن قديم وقد تكون أصالة في زماننا هذا، وقد يكون الرجل فريداً من نوعه في ميدان خاص أو استعماله لبعض الوسائل

¹- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 10.

²- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 15.

العقلية¹. وهذه الأصالة التي ذكرها المؤلف وجدناها بوضوح تام في النظرية الخليلية الحديثة، فقد تفرد في طرح الموضوعات فظلاً عن اختلاف هذا الطرح في كل مرة، وباختلاف الطروحات تكتشف أشياء جديدة وهذا الاكتشاف هو ما يمكننا وصفه بالأصالة.

فقد تميز طرح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بخضائص قلّ التطرق إليها عند غيره من الباحثين العرب، إذ إن عودة المؤلف إلى التراث اللغوي العربي وسعيه إلى تعريف الآخر به، أول عنصر دال على أصالة الخطاب عنده، فهو على الرغم من دراسته للسانيات الغربية، ومحاولاته الجادة لجعلها مقوماً من مقومات ثقافة العربي، فإنه لم يتوقف عندها، وكأَنَّها شيء من نوعه، لا سابق له ولا مثيل.

لقد أوضح مؤلف النظرية الخليلية الحديثة من خلال عمله هذا، سعيه لربط الماضي بالحاضر، وإظهار استمرارية الفكر اللغوي؛ لأن اللغة متطورة أبداً، واللغوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها²، وما قدّمه الحاج صالح دليل قاطع على أن اللغة متطورة، فقد تفرد علماءنا القدماء بأرائهم الدقيقة والعلمية، لدرجة تجعلها تضاهي أفكار المحدثين. فبعد تقديمه مفهوم (اللفظة) في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية)³، يخلص إلى أن هذا المفهوم لم يذكره اللسانيون الغربيون واقترح ترجمتها (Lexie)⁴.

وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما موجود في اللسانيات البنوية والتوليدية التحويلية⁵، وخلص إلى أن هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربية إطلاقاً⁶.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج1، ص: 11.

2- مهدي المخزومي، "في النحو العربي: نقد وتوجيه"، ص: 22.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج1، ص: 219.

4- المرجع نفسه، ص: 219.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 35-36.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات العربية"، ج2، ص: 21-22.

فأصالة الخطاب عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تبرز في اعتماده المطلق على أقوال القدماء، فهو يعتمد منهجاً قوامه طرح الأدلة الفعلية المستقاة من أقوال القدماء، فهو ينتهج منهجاً واحداً، قوامه الموازنة بين آراء القدماء وآراء المحدثين في المفاهيم والأسس.

إن النظرية الخليلية الحديثة قامت في ذهن مؤلفها بعد القراءة المتأنية الدقيقة لمفاهيم النحو العربي، ثم سعى عن طريقها إلى إعطاء منهج حدائوي لدراسة نحو العربية، فضلاً عن سعيه إلى ترسيخ مبادئها بإعطائها ما يميزها من مفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل خاصة بما على غرار ما تعرف به النظريات اللسانية الحديثة. وفي هذا المجال فإن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وقف مع الكثير من المفاهيم والمصطلحات النحوية العربية الأصيلة والتي استغلق فهمها عند بعض الباحثين أو أسقط عليها مفاهيم أرسطية فطمس معناها، فحاول تصحيح هذه الرؤية وبيان ما فيها من العلمية والدقة المتناهية إذا فهمت على أصلها الذي وضعت له.

ويمكن أن نقسم منهج الحاج صالح الحدائوي على مستويين:

الأول: مستوى المفاهيم: ويتجلى من خلال إحيائه للمفاهيم والمصطلحات العربية الأصيلة، وكشفه عن دلالاتها الحقيقية، والتي جاءت بمنهجية وعلمية مستقلة عند النحويين القدماء، والتي تصلح أن تكون مبادئاً لنظرية لغوية نحوية.

والثاني المستوى التقني: استثماره لهذه المفاهيم ودلالاتها الحقيقية بصورة عملية في تطوير هذه اللغة، وضمان حيويتها واستمراريتها.

فهو في منهجه هذا يمتلك إبداعاً لغوياً جديداً، استخدم فيه قوة ذهنية كبيرة، وعلمية بأن وضع المفاهيم في موضعها الصحيح، وهذا راجع إلى طبيعة دراسته للرياضيات فضلاً عن المناهج اللسانية الحديثة، وإطلاعه على علوم الفلسفة، والمنطق، والحاسوب.

5- بنية الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

1-5. العنوان:

إنَّ طبيعة العناوين عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة تتمثل في حضور كلِّ من التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة. إذ تعكس العناوين التي اختارها د. عبد الرحمن أصالةً واضحةً لديه، فهو لم يربطها- العناوين- بالمفاهيم الغربية الحديثة بقدر ما أسسها على المفاهيم التراثية، فبينتها كالآتي:

عنوان الموضوع التراثي	الكتاب أو المقال
عنوان الكتاب (نفسه).	منطق العرب في علوم اللسان
النظرية الخليلية الحديثة، وفيها: - مدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحالية. - المدرسة الخليلية ومشاكل علاج العربية بالحاسوب. - تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصلي - منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات . مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي.	بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.

تعبّر هذه العناوين عن جملة من الأفكار نلخصها فيما يأتي:

1. ينطلق المؤلف في طرح موضوعاته بذكر العرب أولاً، مستخدماً مصطلحاتهم التراثية، مثل: (المدرسة الخليلية...، ومنطق النحو العربي...).
2. يحرص المؤلف بعض العناوين في جهود العرب فقط، ولا يشير إلى مقارنتها بالدرس اللساني الغربي، على رغم من اعتماده ذلك المنهج في عمله، ويتجلى ذلك في أعماله¹:

¹ - ينظر: ذلك بالتفصيل في كتابه: (منطق العرب في علوم اللسان) و(بحوث ودراسات في اللسانيات العربية).

الفصل الثالث

الأصول التراثية العربية للسانيات الحديثة

- المبحث الأول: النحو العربي واللسانيات البنوية.
- المبحث الثاني: النحو العربي واللسانيات الوظيفية.
- المبحث الثالث: النحو العربي واللسانيات التوليدية التحويلية.

المبحث الأول : النحو العربي واللسانيات البنوية

لقد قطعت الدراسة الوضعية أشواطاً ومراحل متعددة، وسارع الباحثون والعلماء للخوض في هذا العلم البديع، وقد تمخضت عن هذا العلم مدارس عدة تعرف بالمدارس البنوية¹.

وهذا ما تطرقنا له في فصل سابق، فقد قمنا بتعريف البنوية لغة واصطلاحاً وأهم روادها الذين كان لهم الفضل الأكبر في ظهور هذا العلم وبيننا أنها تشمل أغلب المدارس اللسانية المعاصرة.

وبشكل عام كان معظم اللسانيين الأمريكيين في هذا العهد من دعاة البنوية، وكما تدلّ التسمية فالبنوية تعني أن كل لغة بنية، وبهذا المعنى فإن كل اللسانيين بنيويين لأنهم يدرسون بنية اللغة، ويبحثون عن الانتظام، والاطراد، والقوانين التي تحكمها².

جرت العادة أن ينسب ميلاد اللسانيات البنوية إلى اللساني السويسري "فرديناند دي سوسير" لتأكيد القوي- في مدة ساءت فيها الدراسات التاريخية- على أهمية وصف اللسان وصفاً تزامنياً³. وعلى الرغم من ظهور جملة من الأفكار اللسانية الجديدة التي قدمها سوسير في دروسه الثلاثة بجامعة جنيف في موضوع اللسانيات العامة بين (1907-1911)، وتم نشرها سنة 1916م، فإن بعض الدارسين يجعل من سنة 1928 سنة ميلاد اللسانيات البنوية، وذلك في المؤتمر الدولي الأول لللسانيين المنعقد بمدينة لاهاي الذي قدمت فيه جملة من التصورات اللسانية التي تدعو إلى منهجية غير مسبوقة في دراسة أصوات اللغة الطبيعية من قبل "تروبتسكوي" و"جاكسون" و"كارسفسكي"، وهو ما يعرف في تاريخ اللسانيات الحديثة بالاقتراح 22 معلنين ميلاد الفونولوجي انطلاقاً من المفاهيم التي عبر عنها سوسير في محاضراته⁴.

1- نور الهدى لوشن، "مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية - الأزريطة، دط، 2003، ص: 295.

2- أحمد مومن، "اللسانيات النشأة والتطور"، ص: 200.

3- مصطفى غلفان، "اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات"، درا الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013، ص. 30-125.

4- شفيقة العلوي، "محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة"، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2004، ص. 09.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن العرب لم يكن همهم دراسة اللغة في ذاتها، وإنما كان همهم دراسة اللغة العربية وحدها بما لها من صلة بالقرآن الكريم (فهما وأداء)، ومعنى هذا نظرة العرب تختلف عن نظرة البنيويين في أصولها وأهدافها¹.

ويشير الحاج صالح إلى أن ما أخرجه العلماء العرب القدماء من النظريات العميقة، وما اكتشفوه من أسرار اللغات، فضلاً على أن ما أفاد منه الغربيون مما ترجم إلى اللاتينية من كتب النحو العربي، ولاسيما مفهوم العمل يعدّ جهداً لا يستهان به².

1- أهم ما يتفق فيه النحو العربي مع اللسانيات البنيوية:

لقد رصد لنا الأستاذ أهم نقاط التقاء النحو العربي وما جاءت به هذه المدرسة اللغوية الحديثة وحددها فيما يلي:

أ- أن لكل العلمين موضوعاً واحداً وهو اللغة في ذاتها:

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "تتم دراسة اللغة عند النحاة العرب، والبنيويين باللغة في ذاتها ومن حيث هي؛ أي من حيث كونها أداة للتبليغ، أو التعبير عما يكمنه الإنسان ولا تلتفت إلى ما كانت قبل أن تصير إلى ما هي عليه، فهي دراسة آنية لا زمانية³."

فكلاهما يتناول اللغة بالتحليل إلى أجزائها الكبرى، والصغرى، وكلاهما يبحث عن كيفية تركيبها بعضها في بعض⁴. وأبرز ما تميزت به اللسانيات الغربية عن الدراسة النحوية العربية هو الاهتمام الكبير الذي أظهرته في القرن التاسع عشر بتحول اللغات إلى لغات أخرى عبر الزمن ... وأيضا

= ولابد من الإشارة إلى أن نهاية العقد الثاني من القرن العشرين مجموعة من الأحداث العلمية والفكرية في مجال اللسانيات منها: تأسيس الجمعية الأمريكية للسانيات 1924م، صدور مجلة اللغة سنة 1925م، تأسيس حلقة براغ اللسانية سنة 1926م وغيرها... ينظر: "اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات"، ص 31.

1- ينظر: حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، ص: 132.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، 2/25.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 24.

4- المرجع نفسه، ج 2، ص: 24.

فتحت الباب من جديد، وعلى أسس علمية جديدة للدراسة الآنية بعد أن غلا التاريخيون بحصره
الدراسة في الوجهة التاريخية وحدها وأيضاً حملهم الباحثين في تاريخ اللغات على أن يتبعوا تطور بنى
اللغة لا تطور جزئياتها منفردة¹.

وقد نوه هذا العالم بهذا الجهد الكبير للسانيات الحديثة، ثم رجع لينوه بما أخرجه القدامى من
العرب من النظريات العميقة، وما اكتشفوا من أسرار اللغات، ويبين أن لهم فضل كبير لا يمكن
إنكاره، وأضاف أن الغربيين قد استفادوا مما ترجم إلى اللاتينية من كتب النحو العربي، ولاسيما مفهوم
العمل الذي أحياه من جديد تشوسكي².

ب- ينطلق البنيويون من واقع اللغة وكذلك النحاة الأولون³:

تعلم اللغة البنيوي يدرس اللغة في ذاتها من حيث هي لغة يدرسها كما هي، كما تظهر، فليس
للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، وليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسناً إياها
ويترك جوانب أخرى استهجاناً لها، أولغرض في نفسه، أو لأي سبب آخر من الأسباب التي يدخل
فيها الباحث ذاتيته⁴.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: " تريد البنيوية أن يعتمد على مجموعة معينة من الخطابات يدونها
اللغويين في عين المكان الذي يعيش فيه في زمان معين أصحاب اللغة المراد تحليلها والبحث فيها، وأن
يقتصر على هذه المدونة (Corpus) هي وحدها، فلا يجسر على تغيير شيء منها، ولا يلجأ في
الاستشهاد بشيء من خطابات الباحث نفسه أو جماعة غير الجماعة المعنية بتلك اللغة⁵.

¹ - المرجع السابق، ج2، ص: 24.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 24-25.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص: 25.

⁴ - ينظر: التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علم اللسان"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص: 25.

⁵ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 25.

وأضاف أن التحرج نفسه وجدناه عند النحاة العرب؛ إذ لا يمكن أن يستشهد إلا بما هو موجود في دواوين العرب التي دونها العلماء في الشعر، والكلام المنثور والأمثال، ولا يلجأ إلى غير ذلك¹.

ومما يترتب على ذلك هو الاعتماد الأساسي على المشاهدة، وهو السماع عند العرب، فكل من النحاة والبنويين يجعلون المشاهد المسموع بالفعل هو مادة البحث، والمنطلق لكل تحليل، وقد أشار كثير من النحاة المحدثين إلى أن أهم نقاط التقاء النحو العربي القديم، والبنوية الوضعية، وهو مبدأ السماع².

فمن مبادئ البنوية وصف الواقع اللغوي من خلال السماع عن "أصحاب اللغة أنفسهم، ولم يكن هذا المبدأ غالباً عن نحاة العربية، إذ يعدّ السماع أصلاً من أصول الاحتجاج اللغوي عندهم³. وذلك لطبيعة الحياة العربية والإسلامية آنذاك، ولطبيعة الحركة العلمية التي نشأت في مناخ عام أساسه النقل والرواية، وأيضاً حياة العربي التي عرف فيها التنقل⁴، فقد حرص العلماء أشدّ الحرص على الرحلة إلى بوادي تامة ونجد والحجاز لمشاهدة العرب والتلقي عنهم ما يروون⁵. وما بلغ الخليل بن أحمد من علم بالرواية إلا بما سمعه من أعراب البادية. وكان قد قال أبو زيد الأنصاري (ت215هـ) لتلميذه أبي حاتم حين قرأ كتاب "النوادر في اللغة"، "ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي، وما كان من اللغات، وأبواب الرجز فذاك سماعي من العرب"⁶.

وقال الفارابي: "كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكان البراري منهم⁷.

1- المرجع نفسه، ج2، ص: 25.

2- ينظر المرجع نفسه، ج2، ص: 25.

3- رمضان عبد التواب، "دراسات وتعليقات في اللغة"، مكتبة الخانجي، ط1، 1994، ص: 192.

4- ينظر: علي مزهر الياسري، "الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه"، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003، 202.

5- خديجة الحديثي، "المدارس النحوية"، دار الامل، اربد الأردن، ط3، 2001، ص: 41.

6- الأنصاري، "النوادر في اللغة"، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1980، ص: 01.

7- الفارابي، "كتاب الحروف"، ص: 146.

وقال ابن فارس: "تؤخذ اللغة سماعاً من الرواة الثقة ذوي الصدق والأمانة ويتقى المضمون"¹.
 وقد حرص النحاة على معرفة الصورة الواقعية للكلام كما ينطقه البداية، فهذا أبو عمرو بن العلاء عندما اشتبهت عليه كلمة (فرجة) فهي بفتح الفاء أم بضمها وكان هاربا من الحجاج فيقول: "فما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقول المنشد (فرجة) بالفتح، أم يقول العجوز مات الحجاج²؟
 ونذكر للكسائي أنه خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقتة، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسداً، وقيماً وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال الخليل: من بوادي الحجاز، ونجد، وتامة، فخرج الكسائي إلى البادية وأخذ يسأل البدو عن لغتهم، ويكتب عنهم ما يروونه، وتذكر المصادر أنه أنفذ خمس عشرة قبيلة من الحبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ³.

وقد صرح سيبويه في الكتاب بسماعه عن العرب والأمثلة كثيرة أكثر من ان تحصى ومنها قوله: "وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به"⁴، "كذا سمعنا العرب تنشده"⁵، ووجدنا أيضاً عند غيره من النحاة، مثل الفراء في كتابه "معاني القرآن" ومن أمثلته: "وسمعت العرب تقول في معاني"⁶، "وأنشدي بعضهم"⁷.

ولم تقتصر هذه الطريقة في جمع اللغة على الأئمة الكبار في القرن الثاني الهجري بل استمرت في القرنين الثالث، والرابع الهجريين، ويمثل ابني جني في ذلك اتجاهها واضحاً، إذ تبرز في كتبه ظاهرة جمع

1- ابن فارس، "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، تح: مصطفى الشويدي، ملتزم الطبع والنشر، بيروت، 1964م، ص: 62.

2- الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط، 1973م، ص: 35.

3- الكسائي، "ما تلحن فيه العامة"، مكتبة الخانجي، د ط، دت، ص: 13.

4- الكتاب، ج1، ص: 26.

5- المصدر نفسه، ج1، ص: 219.

6- الفراء، "معاني القرآن"، عالم الكتب، ط3، 1983، ج1، ص: 58.

7- المرجع نفسه، ج1، ص: 91.

المادة من الاتصال المباشر بالمصدر البشري ومن ذلك ما يرويه عن لقاءاته مع أبي عبد الله الشجري: "وسألته يوماً فقلت له كيف تجمع (دكاناً)؟ فقال: دكاكين، قلت: فسرحان؟ قال: سراحين قلت قرطانا؟ قال: قراطين، قلت: فعثمان؟ قال: عثمانون، قلت له: بلا قلت أيضاً: عثمانين؟ قال: ايش؛ رأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته والله لا أقولها أبداً"¹.

وقد روى عن الكسائي أنه سئل يوماً بحضرة يونس بن حبيب عن قولهم: لا ضربن أيهم يقوم ولا يقال: لا ضربن أيهم؟ فقال: أي هكذا خلقت² إذن: "هكذا خلقت" هي جوهر المنهج الوصفي³.

أما ما قاله عبد الرحمن الحاج صالح بخصوص اعتماد البنية على مجموعة من الخطابات يدونها اللغويون في عين المكان الذي يعيش فيه في زمان معين أصحاب اللغة المراد تحليلها، والبحث فيها، وأن يقتصر على هذه المدونة، فنجده عزو العلماء العرب في تحديدهم الزماني والمكاني لفترة الاحتجاج بقول من يوثق بفصاحته وسلامته عربته فحددوا الفترة الزمنية التي يحتج بلغتها بثلاث قرون: منها 150 سنة قبل الإسلام و150 سنة بعده⁴، وقال الأصمعي (ت216هـ) في هذا الشأن: "ختم الشعر بإبراهيم هرمة (ت176هـ) وهو معاصر لسيبويه (ت180هـ)"⁵.

فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أو البادية.

أما الشعراء فقد صنّفوا أصنافاً أربعة:

- 1- ابن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، ط1، 2006، ص: 204.
- 2- السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، طبع بالقاهرة، ج2، ص: 373، وكذلك ابن جني "الخصائص"، ج2،
- 3- ينظر: "فقه اللغة العربية وخصائصها" ص: 94، وينظر: السيرافي "أخبار النحويين البصريين" تح: نخبة من العلماء، مكتبة الثقافة العلمية، القاهرة، 1468هـ، 2007م، ص: 29. وينظر: الزجاجي، "مجالس العلماء"، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، دط، 1962م، ص: 244.
- 4- نجاد الموسى، "قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث"، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987م، ص: 52-53.
- 5- ينظر: علي أبو المكارم، "أصول التفكير النحوي"، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2006م، ص: 223.

- جاهليين لم يدركوا الإسلام.

- ومخضرمين أدركوا الجاهلية والإسلام.

- وإسلاميين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً .

- ومحدثين أولهم بشار بن برد.

ووقع شبه إجماع على منحة الاستشهاد بالطبقتين الأولى والثانية، واختلفوا في الطبقة الثالثة، وذهب عبد القادر البغدادي صاحب خزنة "الأدب" إلى جوار الاستشهاد بها، أما الطبقة الرابعة "فلا يستشهد بكلامها في علوم اللغة والنحو الصرف خاصة¹.

إن ما يعدّ حجة في اللغة يتوقف على نصوص الأدب الجاهلي والمخضرم والإسلامي والأموي، ويخرج من دائرة الاستشهاد ما كان عباسياً وما كان مولداً².

وبالنسبة لحدود المكان فقد نظر اللغويون إليه على أساس مبدأ التأثير والتأثر أو التغيير، فكانت البوادي ومعاييرها والحضر وحدودها، فلا بدّ لأهل الوبر أن يحافظوا على انعزالهم، ولا بدّ لأهل المدر الفصحاء ألا يخالطوا غيرهم³، وفي هذا المجال يقول ابن جني: (ت392هـ): لو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر⁴.

لقد قرر اللغويون أن أفصح اللغات ما كانت أبعد عن أماكن التأثير، أي التي لم تخال غيرها، لذلك رفضوا لغات القبائل العربي التي سكنت تخوم شبه الجزيرة العربية وشغفوا بالأعراب المنتمين إلى

¹- السيوطي: "الاقتراح في أصول النحو"، تحقيق محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ، 2006م، ص: 42. وينظر: المبرد، "المقتضب"، ج2، ص: 13. وينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة الجامعة السورية، ط2، 1376هـ، 1957م، ص: 17.

²- ينظر، سيبويه، "الكتاب"، ج3، ص: 518 و ج2، ص: 13.

³- ينظر: الأنباري، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، تح: إبراهيم السمراي، مطبعة المعارف، بغداد، 1950م، ص: 43.

⁴- ابن جني، "الخصائص"، ج1، ص: 05.

قبائل الوسط (تهامة والحجاز ونجد)¹، هي القبائل التي حددها الفارابي، ونقل نصه السيوطي (ت911هـ): "كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس، والذين نقلت اللغة العربية، وبهم أقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وقيم وأسد فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الأعراب والتصديق، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين من حولهم..."².

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لا أقول: (قالت العرب) ألا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية "يريد ما بين جبال الحجاز، حيث قبائل أسد وقيم وبعض قبائل قيس"³.

ولقد خصص أحمد سليمان ياقوت كتابة "الكتاب بين المعيارية والوضعية، فوجد فيه قسمات لسانية وصفية واضحة وخصوصاً في تناوله لبعض المسائل النحوية، واللّهجات ولغة الشعر"⁴.

يقول سيوييه: "هذا باب استكرهه النحويون، وهو قبيح، فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب، وذلك قولك: ويح لك وتب، وتبا لك وويح، فجعلوا التّب بمنزلة الويح وجعلوا ويح بمنزلة التّب، فوضعوا كل منهما في غير الموضع الذي وضعت العرب. فإذا قلت: ويح له، ثم الحققتها التّب، فإنّ النصب فيه أحسن، ولا تبا إذا نصبتها فهي مستغنية عن (لك)، فإنما قطعها من أول الكلام كأنك قلت: وتبا لك فإجريتها على ما أجزتها العرب"⁵.

¹ - ينظر: محمود فهمي حجازي، "علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية"، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، دت، ص: 224-225.

² - السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، ص: 211، 212، وكذلك الاقتراح، ص: 56.

³ - السيوطي، "الإقتراح في أصول النحو"، ص: 207.

⁴ - حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، دار الكتاب الجديد المتعددة، ط1، 2009م، ص: 170.

⁵ - سيوييه، "الكتاب"، ج2، ص: 334.

سيبويه يفرق بين مجالين: مجال الصحة المفترضة أو المتصورة التي وضعها النحاة، ومجال الواقع اللغوي المستعمل فعلاً عند العرب بغض النظر عن المعايير التي وضعها النحاة¹.

ويضيف في السياق نفسه: "وعندما يتعارض المجالان فإن سيبويه يحكم على الأول بأنه قبيح، وعلى الثاني بالحسن إلا أنك أجرته على ما أجرته العرب"².

وهذا هو أساس المنهج الوصفي، وصف كلام العرب كما هو، لا كما يجب أن يكون حسب معاييرهم، وإلا فإننا نكون كالنحاة عندما وضعوا كل واحد منهما على غير الموضع الذي وضعته العرب، فهذه هي الوضعية في أجلى صورها³.

كما أن سيبويه يتبع المنهج الوصفي عندما لا يقرّ وجواباً لفعل الشرط، فيما لا يوجد فيه جواب⁴، وفي الكتاب نص يدلّ على أن سيبويه يقدم ما يقوله الناس على ما يقوله النحاة إذا كان بين القولين اختلاف، ويرى أننا لو أخذنا بكلام النحاة في هذه الحالة لفسد كثير من كلام الناس⁵، ومن ملامح الوصفية أيضاً أنه يستقرئ القرآن الكريم وكلام العرب ثم يستنبط من هذا الاستقراء نماذج لغوية⁶.

2- دور التخاطب وظواهرها:

1- حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، ص: 171.

2- أحمد سليمان ياقوت، "الكتاب بين المعيارية والوصفية"، ص: 44.

3- حافظ إسماعيل علوي، "اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة"، ص: 171.

4- ينظر: نوزاد حسن أحمد، "المنهج الوصفي في كتاب سيبويه"، دار دجلة، عمان، ط1، 2007، ص: 37.

5- المرجع نفسه. ص: 49-50.

6- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 230-231.

لقد انطلق الأستاذ من تعريف اللغة أنها أداة للتبليغ*، وتلك أهم وظائفها، ووجد أن النبوية تحاول فهم الظواهر اللغوية باللجوء إلى مبدأ الاقتصاد، والفرق¹.

فعرّف الاقتصاد اللغوي بأنه "ميل المتكلم إلى التقليل من الجهود العضلية، والذاكرة التي يبذلها في عملية التخاطب"².

وقد بين أن النحاة العرب قد لجأوا أيضاً إلى مبدأ الاستخفاف في تفسير ظواهر كثيرة مثل الحذف، والإدغام، والاختلاس.

وعرف الفرق بأنه ميل المتكلم إلى تبين أغراضه للمخاطب، وتخوفه من أن يلتبس كلامه عليه بكثرة الحذف، والاختصار وغير ذلك³ ووضح أن نحائنا القدامى أعطوا أهمية كبرى للتخفيف من جهة، ولا من اللبس، من جهة أخرى، وهذا أعظم ما أنتجه فكرهم⁴. ويعدّ كل من التخفيف والفرق مرتكزين هامين، عللّ بهما النحاة الظواهر اللغوية، كرفع الفاعل بالضمّة، ونصب المفعول بالفتحة، فعلة رفع الأول وعلّة نصب الثاني، وهي أن الفتح خفيف، والضمّ ثقيل، والمفعول به أكثر عدداً من الفاعل في كلام العرب، وكذلك نصبوا الكثير ورفعوا القليل ليقول في كلامهم ما يستثقلون، ويكثر ما يستخفون⁵.

ومن أبرز ما اعتمد في مرتكز التخفيف، نظرية التفسير الصوتي لظاهرة التصرف الأعرابي ومحورها يرتكز على أن الحركات في أواخر الكلمات مردّه إلى التخفيف على المتكلم واليسير عليه⁶.

*- يعدّ التبليغ الوظيفة الأصلية للغة، أما غيرها من الوظائف ففرع عنها، وهذه العملية تتحدّد الأفكار والمعاني بعد أن كانت مجرد

أحاسيس... ينظر: التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علم اللسان"، ص: 35.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات"، ج2، ص: 26.

2- المرجع نفسه، ج2، ص: 26.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "دراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 26.

4- المرجع نفسه، ج2، ص: 26.

5- ينظر: ابن جني، "الخصائص"، ج1، ص: 101، علي أبو المكارم "أصول التفكير النحوي"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م، ص: 160.

6- التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علم اللسان"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر، 2008م، ص: 107.

ولذلك عللوا كثيراً من الظواهر الصرفية بهذه العلة فالعرب يقولون: (ميزان) و(الغازي)، و(يوقن)، والأصل أن يقال: موزان، و(الغازو)، و(ييقن)، فقلبوا الواو ياء في الكلمتين الأولى والثانية، وقلبوا الياء واو في الثالثة. وعلة ذلك أنهم استثقلوا نطق الواو الساكنة في الحشو والمتحركة في الطرف، بعد كسرة، كما استثقلوا نطق الياء الساكنة بعد الضمة، فوضعوا حرفاً مجانساً للحركة، فالكسرة والياء متجانستان، والضمة والواو متجانستان أيضاً، وبهذا كان التجانس الصوتي سبباً في خفة النطق، وعلة في هذه الظاهرة*¹.

أما (الفرق) فيراد به أن اللغة، لحكمة معينة أرادت أن تفرق بين الظواهر المتقاربة فاصطنعت لذلك أساليب محددة للفرقة بين مدلول الصيغ، كضم تاء المتكلم، وفتح تاء المخاطب، وكسر تاء المخاطبة، والفرقة بين أنواع الصيغ².

أهم ما يختلف فيه النحو العربي عن البنوية:

1. المعيارية والوصفية:

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "إن أهم ما تفتخر به البنوية هو مذهبها الوصفي فهي تعتبره الوحيد الذي يستحق أن يوصف بأنه علمي³."

ثم يبين أن النزعة الوصفية المغالية تعارض نزعتين في الحقيقة: النزعة إلى الحكم على العبارات بأنها صواب أو خطأ لأنها مخالفة لمعيار اجتماعي ما، والنزعة الثانية وهي محاولة تعليل الظواهر اللغوية¹.

* - يظهر هذا كذلك في استعمال بعض الصيغ، مثلاً العرب في كلامها تكثر من استعمال النداء، فتحذف من المنادى الحرف الأخير، نحو (يافاطم)، و(يامعاوي)، و(ياثين)، وكذلك الحال في قولهم: (مرحباً) و(أهلاً)، أي: نزلت مرحباً، ولقيت أهلاً، ولكنهم حذفوا الفعلين لكثرة استعمال هذه العبارة. ينظر: نهاد موسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1960م، ص: 67.

1 - محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، جامعة تشرين، اللاذقية، 1979م، ص: 114.

2 - ينظر: علي أبو المكارم، "أصول التفكير النحوي"، ص: 162، 163.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 27.

يتجلى المنهج الوصفي بوضوح في لسانيات القرن العشرين، وهو المنهج الذي اعتمده سوسير في دراساته، حيث دعا إلى وصف اللغة كما هي وليس كما يجب أن تكون، فاهتم في تأسيس نظريته على التمييز بين الكثير من الثنائيات أو التناقضات ويعتمد هذا المنهج في دراسته للغة على اللغة المنطوقة... حيث يدرس لغة معاصرة كمصدر منهجه الوصفي².

وصرف هذا المنهج النحاة عن الدراسات التاريخية المقارنة، وذلك لدراسة لغاتهم الحية المتمثلة بالظواهر المنطوقة للسلوك اللغوي ليصفوا أصواتها ومفرداتها وتراكيبها، فيستنبطوا قواعدها وأحكامها، وهذه الدراسات لا تنسجم مع المناهج التي تعني بتطور اللغات القريبة، واللغويات التقنية التي تقوم على المعيار لأنها تقوم بدراسة الواقع اللغوي ووصفه بعيداً عن التعليل والفلسفة والمنطق في تفسير الظواهر اللغوية³.

تعود جذور هذا المنهج إلى الموازنة التي أقامها دي سوسير بين (الآنية) و(التعاقبية) والآنية هي وجهة نظر وصفية تقوم على البحث في حالات اللغة على أساس ثابت دون النظر إلى البعد التاريخي⁴. كما أكد إمكان بحث البنية اللغوية بحثاً وصفياً نابعاً من نظره إلى اللغة، تلك النظرة التي تجعل الهدف من التحليل اللغوي الوقوف على العناصر الأساسية التي تتألف منها اللغة بواسطة تقابل صيغ العلاقات المتبادلة بينها⁵، وبنية اللغة هي أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية⁶، وقد أكد أن اللغة

1- المرجع نفسه، ج2، ص: 27.

2- عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص: 128.

3- ينظر: داود عبده، "أبحاث في اللغة العربية"، مكتبة رياض الصلح، بيروت، 1973م، ص: 09.

4- ينظر: زكريا إبراهيم، "مشكلة البنية"، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت، ص: 52، 53.

5- محمود فهمي حجازي، "أصول البنوية في عالم اللغة والدراسة الاثنولوجية"، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الأول، الكويت، 1972م، ص43.

6- نايف خرما، "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويتي، دط، 1972م، ص: 107.

ينبغي أن تدرس بعد اكتمال تدوينها وفي حال استقرارها في بيئة زمانية ومكانية محددة، سميت هذه الدراسة بوصفية اللغة¹.

ويمكن تحديد معالم المنهج الوصفي فيما يأتي:

1- أنه يتناول بالدراسة الوصفية لغة واحدة أو لهجة واحدة دون أن يشرك معها لهجة أخرى ليفاضل أو يقارن بينهما.

2- أنه يحدد مستوى واحد من اللغة التي يقوم الباحث بدراستها لاختلاف خصائص كل مستوى، فليس للباحث الوصفي أن يجمع في الدرس اللغوي بين المستوى الشعري والمستوى النثري في اللغة العربية، لاختلاف المستويين².

3- وظيفة الباحث بهذا المنهج "لا يعد وتسجيل الواقع اللغوي كما هو بدون التورط في مسائل الصواب والخطأ"³. فلا حاجة له إذا للتأويل أو التحليل بافتراض الحذف أو التقديم والتأخير أو بتقدير العوض لتبرير هذا الخطأ أو لتأييد هذا الصواب، "وليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسناً إياها ويترك جوانب أخرى استهجاناً لها أو استخفافاً بها، أو لغرض في نفسه أو لأي سبب آخر من الأسباب"⁴.

4- يحدد هذا المنهج فترة زمنية معينة محددة يصف الباحث اللغوي خلالها، وليس هناك مقياس أو ضابط لتحديد هذه الفترة الزمنية إلا أن تكون اللغة خلالها مستقرة ساكنة، ولم يطرأ عليها تطور تغيراً مما يدخل بحثها في هذه الحالة في نطاق المنهج التاريخي⁵.

1- ينظر عبده الرجحي، "النحو العربي والدّرس اللّساني الحديث يبحث في المنهج"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص: 29.

2- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، ص: 128.

3- كمال بشر، "دراسات في علم اللغة"، دار المعارف، مصر، 1969م، القسم الأول، ص: 56.

4- التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علو اللسان"، ص: 25.

5- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، ص: 128.

5- يحدّد المنهج الوصفي مكاناً واحداً أيضاً لوصف اللّغة فيه، أو ما يطلق عليه بيئة لغوية واحدة، "ذلك" أن في كل بيئة لغوية واحدة، "ذلك لأن في كل بيئة لغوية ظرفاً تدفع إلى اطور الكلام وتغيره في كثير من الظواهر وظروفاً أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر وتحسينها، فلا يطرأ عليها تغير أو تحول. غير أن الغلبة تكون دائماً لعوامل التطور¹.

6- معنى قول دي سوسير: "دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"². أن هذا المنهج يوحد بين الوسيلة والغاية، فالاثنتان يتمثلان في درس اللّغة درساً وصفاً كما هي³.

يرى دي سوسير أن هذه الدراسات (المعيارية) "خلو من أي نظرة علمية ومستعلية*، على اللّغة ذاتها، وتهدف إلى تقديم قواعد لتمييز الصيغ السليمة من غيرها"⁴. كما يرى بأنها تمثل توجهاً لسانياً مبنياً في أساسه على ما يعوق منهج البحث في اللّسانيات وذلك لأسباب من أهمها ما يلي:

1. تبدو المعيارية منهجاً ضيقاً محدوداً يفتقر إلى الشمولية، ولذلك فهي لا تستوعب نظام اللّغة الواسع المتجدد، لكونها تضع ظواهرها في قالب متجمد يسعى إلى إصدار قواعد بدل معاينة وقائع⁵.
2. لا تقوم المعيارية على الملاحظة البحتة المستندة إلى البحث العلمي الموضوعي فهي لا تنطلق من واقع اللّغة الطبيعي الكمال في الاستعمال بل تقيد الاستعمال بالمعيار⁶.

لأجل ذلك سعى دي سوسير إلى اعتماد توجه جديد يناقض المعيارية ويستند في درس اللّغة إلى المنظور الوصفي، وكان غرضه من ذلك:

1- إبراهيم أنيس، "في اللهجات العربية"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1976م، ص: 86، 87.

2- دي سوسير: "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 04.

3- أحمد سليمان ياقوت، "الكتاب بين المعيارية والوصفية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م، ص: 15.

*- يراد بالاستعلاء هنا عدم الانطلاق من الواقع الطبيعي للّغة، بل محاكمتها إلى مقولات الفكر ومبادئ، الفلسفة والمنطق، ينظر: الطيب دبه، "مبادئ اللّسانيات البنوية دراسة تحليلية ابستمولوجية"، ص: 70.

4- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 11. وينظر: مبارك حنون، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، سلسلة توصيل المعرفة، ط1، 1987م، ص: 12.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 64.

6- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 20.

3. توجيه أنظار اللغويين إلى أهمية الانطلاق في دراسة اللغة من اللغة ذاتها¹ وذلك من حيث هي:

أ- قواعد تنسيقية ترابطية يتفق عليها الكيان الاجتماعي².

ب- نظام من القوانين النحوية موجودة بالقوة في كل دماغ³.

ج- أصوات منطوقة* صالحة لممارسة إجراءات البحث العلمي لا كلمات مكتوبة⁴.

والدعوة إلى الالتزام بالطابع العلمي الموضوعي الذي لا يمكن له أن يتحقق إلا بأن يتناول اللغويون وصف النظام اللغوي في ضوء ما توحى به طبيعته الذاتية ومنطقه البياني الداخلي لا أن يوضع في قالب معياري جامد يقتل فيه مبدأ الحركة والتبدل*. هنا المبدأ الذي يرى دي سوسير أنه أصيل في نظام اللسان البشري⁵.

المنهج المعياري: يمثل المنهج المعياري القاعدة أساساً وينأى عن الوصف، وهو المنهج الذي وسمت به الدراسات اللغوية العربية، وهو الذي يعني بالصحة اللغوية أو معيار الصواب والخطأ، بهدف تقديم قواعد تعصم اللسان أو القلم من الخطأ واللحن حيث يفيدنا بمستوى لغوي محدد واجب الحفاظ عليه ويمتنع الخروج عنه وترسم لنا حدوداً لما ينبغي أن يقال، وهذه الأخيرة مستخلصة من كتب القواعد وأقوال اللغويين، وقد غلبت هذه السمات على الدراسات النحوية للغة العربية⁶.

1- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 20.

2- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 26.

3- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 25.

*- من بين ما أسفرت عليه لسانيات دي سوسير الاعتماد على الأصوات اللغوية في شكلها المنطوق بوصفها الظاهرة الطبيعية القابلة للوصف العلمي الموضوعي في درس اللغة، ومن هنا لا تصبح الكتابة إلا مجرد نظام بديل للغة. ينظر: الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية"، ص: 71-75.

4- الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية"، ص: 71.

5- الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية"، ص: 71.

6- رمضان عبد التواب، "اللغات السامية"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1973م، ص: 232.

فاتجهوا بالنحو وجهة تعليمية حرصاً منهم على حفظ الكتاب الكريم من اللحن والخطأ، وهذا ما أكدّه تمام حسان من خلال قوله: "إن العناية التي نشأ النحو العربي من أجلها هي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحواً معيارياً لا نحواً وصفياً¹...".

ولما كان المنهج الوصفي منهجاً استقرائياً يعتمد المادة اللغوية² أساساً لاحظنا أن المنهج المعياري يعتمد القاعدة أساساً ويتعد عن الوصف ويتأول لما خرج عن القاعدة التي يصوغها بأحكام شتى التأويلات، أو يحكم عليها بالشذوذ والقلة إن لم يجد فيها تأويلاً مناسباً ولو كان بعيداً أو مستغرباً³.

وعرفت المعيارية* في الدراسات اللغوية الأوروبية واستخدمت لها عبارة اللغة المعيارية أو عبارة المعياري أو عبارة المعياري (Prescriptive) حينما توصف اللغة أو النحو أو القواعد عامة⁴.

مظاهر المنهج المعياري في الدرس اللغوي العربي القديم:

يمكن أن نستدل ببعض المظاهر على المنهج المعياري في الدراسات اللغوية القديمة، وهي مظاهر مرتبطة بأصول اعتمدها النحاة واللغويون في توجيه أفكارهم وجدلهم، وتتلخص فيما يلي:

1- تمام حسان، "العربية معناها ومبناها"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979م، ص: 13.

2- علي زوين، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م، ص: 23.

*- ينظر: دي سوسير إلى بعض الدراسات اللغوية القديمة على أنها ذات طابع معياري *normatif*، كما في الدرس النحوي المدرسة بور روايال، وفيما قبله عند النحاة اليونانيين، وفي الدرس الفيلولوجي لدى بعض المؤرخين الذين انشغلوا خلال القرنين 16 و 17 على وجه الخصوص، بترقية لغاتهم القومية وذلك بمحاولة تلخيصها من بعض الأساليب، التي كانوا يرونها ركيكة أو غير مستجيبة أذواقهم الأدبية وقواهم النحوية. ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة" ترجمة يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م، ص: 112.

4- علي زوين، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، ص: 30.

1. الأخذ من بعض القبائل واللهجات وترك قبائل ولهجات أخرى، وبخاصة ما يتعلق بالمفردات والتصريف والتركيب، وأكثر القبائل التي أخذ عنهم قيس وتميم وأسد. يلهم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين¹.

2. إدخال بعض المناهج التي عرفت التقسيم والتحديد على البحث اللغوي، منها منهج علوم الحديث في بعض اصطلاحاته كالضعيف والمنكر والمتروك، حيث عرف الضعيف من الكلام بأنه ما انحط عن درجة الفصح، والمنكر أضعف منه وأقل استعمالاً بحيث أنكره بعض أئمة اللغة، والمتروك: ما كان قديماً من اللغات ثم ترك واستعمل غيره...².

3. تقسيم الكلام من حيث الاستعمال - إلى مطرد وشاذ، قال أبو علي الفارسي: " هذا باب معرفة ما كان شاذاً في كلامهم: اعلم أن الشاذ في العربية على ثلاثة أضرب: شاذ عن الاستعمال مطرد في القياس، ومطرد في الاستعمال شاذ عن القياس، وشاذ عنها"³.

4. التقدير والافتراض: نعي به تقدير جمل وافتراضها على أساس توجيه الكلمات المتضمنة فيها توجيهها إعرابياً تفقد بموجبه الجملة أو الجمل تكافؤها الدلالي فتخرج من حيز المعقول والمفهوم إلى حيز اللامعقول واللامفهوم، فتستحيل بذلك أنماطاً من الكلمات رتباً ترتيباً متعمداً لغرض الإعراب فتختلط على أذهان السامعين، وفي كتب النحو التقليدي أمثلة كثيرة على التقدير والافتراض نذكر منها مثلاً للاستدلال: "... تقول ما أعجب شيء شيئاً إعجاب زيد ركوب الفرس عمرو: فنصبت (أعجاباً) بالمصدر، وأضفته إلى زيد؛ فالتقدير: ما أعجب شيء شيئاً كما

¹ - السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، ج1، ص: 211، 212.

² - المرجع نفسه، ج1، ص: 214.

³ - على زوين، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، ص: 30.

أعجب زيدا أن ركب الفرس عمرو، لأنك أضفت الركوب إلى الفرس، و(الفرس) مفعول لأن عمرو ركبه، و(زيد) المفعول لأن الركوب أعجبه¹.

5. استعمال بعض القضايا في الشعر مخالفة للقواعد التي قررها النحاة، كالضرورات الشعرية المعروفة من جر الساكن وتسهيل الهمز أو همز الكلمة ونحوهما، وبعض هذه القضايا لها علاقة بتركيب الكلام، ونكتفي بمثلين ذكرهما سيبويه²، قال: ومن ذلك أيضا: هذا سواءك وهذا رجل سواءك فهذا بمنزلة (مكانك) إذا جعلته في معنى (بدلك) ولا يكون إسما إلا في الشعر ثم يقول بعد ذلك: "واعلم أن قولهم في الشعر: إن زيداً يأتك يكن كذا إنما ارتفع على فعل هذا تفسيره. كما كان ذلك في قولك: إن زيدا رأيتك يكن ذلك، ثم ابتداء بعدها الأسماء ثم يبنى عليها"³.

إننا نجد في هذا النص تشبيهين:

الأول: تشبيه إن الشرطية بلم ولما ولا الناهية ولام الأمر من حيث العمل⁴.

الثاني: تشبيه تقدير فعل قبل زيد في قولك: "ان زيد يأتك" بتقدير فعل قبله في مسألة الاشتغال في "إن زيدا رأيتك"، وهذان التشبيهان، من تصورات سيبويه، وليس لهما أصل في أذهان العرب عندما نطقوا بمثل هذين النموذجين في رأي أحمد سليمان ياقوت وعلى ذلك فإن هذا التصور بعد عن الوصفية... فهو حكم معياري صادق المعيارية⁵.

يقول سيبويه: "وما يقبح بعده ابتداء الأسماء، ويكون الاسم بعده إذا أوقعت الفعل على شيء من سببه نصبا في القياس؛ إذا وحيث، تقول: إذا عبد الله تلقاه فأكرمه"⁶ أي أنه من القبيح أن تأتي

1- المبرد "المقتضب"، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963م، ج1، ص: 16.

2- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 203.

3- سيبويه، "الكتاب"، ج3، ص: 114، 113. وينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج3، ص: 321.

4- السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج3، ص: 197.

5- أحمد سليمان ياقوت، "الكتاب بين المعيارية والوصفية"، ص: 52.

6- سيبويه، "الكتاب"، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ج1، ص: 73.

بالظروف (أذا) وبعده اسم قياسه النصب، ثم يكون بعد هذا الاسم فعل ناصب شيئاً من سبب الاسم؛ أي ضميره، هو ما يسمى عندهم بالاشتغال¹.

قال بعض العرب لما اضطرَّ في الشعر جعله بمنزلة (غير). قال الشاعر:

ولا ينطق الفحشاء من كان منهم ❖ إذا قعدوا منَّا ولا من سرائنا.

وقال الآخر:

تجانف عن جو اليمامة ناقتي ❖ وما عدلت من أهلها لسوائكا.

ومثل ذلك: أنت كعبد الله...؛ أي أنت في حال كعبد الله، فأجري مجرف (بعبد الله) إلا أن ناساً من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة (مثل).

قال الراجز:

فصيرو مثل كعصف مأكول.

وإذا كان سيبويه قد اتبع المنهج الوصفي في النقول السابقة كلها، فهو في نصوص أخرى لا يكتفي بوصف اللغة، بل يفترض صحة متصورة، تجيء على قياسها النماذج اللغوية، فإذا لم يتحقق ذلك لجأ سيبويه إلى التقدير والحذف والعض والتحليل، وجعل منها وسيلة لاستواء اللغتين: اللغة المستعملة واللغة المتصورة².

من ذلك ما يقوله في باب الحروف التي لا تتقدم فيها الأسماء الفعل "واعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها الأفعال، وذلك لأنهم شبهوها بما يجزم مما ذكرنا"³ ويقصد سيبويه هنا الحروف التي تجزم فعلاً واحداً نحو: لم ولما ولأم الأمر ولا الناهية.

1- أحمد سليمان ياقوت، "الكتاب بين المعيارية والوصفية"، ص: 53.

2- أحمد سليمان ياقوت، "الكتاب بين المعيارية والوصفية"، ص: 51.

3- سيبويه. "الكتاب"، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988م، ج3، ص: 110-111.

لقد دافع عبد الرحمن الحاج صالح "رحمه الله" عن المعيارية بقوله:

1- إن معيار اللغة ظاهرة من الظواهر، وهي تخص سلوك الناطق بها، وقال أنه "لا توجد لغة في الدنيا يخطئ الناطق بها عرضاً في عبارة معينة فلا يقومه أحد من أصحابها"¹.

ورأى أن أي لغة في الدنيا هي خاضعة لما تعارف عليه أصحابها².

ثم يقول: "أننا لا يمكن أن نكتفي بالوصف لجانب واحد من اللغة، وهو وحدتها وكيفية تقابلها بعضها إزاء بعض كما هو الشأن عند الوصفين، ونترك كيفية صياغتها التي تضبطها الضوابط"³.

ثم يبين أنه قد وقع تخطيط بين الحكم الذاتي الذي يمكن أن يصدر من الباحث وبين الحكم الصادر من الناطقين باللغة أنفسهم، فالمعيار كظاهرة يجب الاعتداء به.

إن قولهم هذا جيد وهذا رديء إنما يخص الخروج من القياس أي الباب، وهذا يكون قليلاً جداً في استعمال الفصحاء؛ أي السليقيين من الناطقين، ولا يعتبرونه لحناً أي خروجاً مطلقاً من العربية⁴. فكل ما "أجري على غير وجهه"⁵ أو "وضع في غير موضعه"⁶ ولم يستعمل أصلاً، أو استعماله القليل من الناس وتركه عامة العرب الموثوق بعد بيتهم، فإنهم ينعته بالقبيح أو الضعيف أو الرديء وإن كان المستعمل منه جائزاً⁷.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 27.

2- المرجع نفسه، ج2، ص: 27.

3- المرجع نفسه، ج2، ص: 27.

4- المرجع نفسه، ص: 28.

5- سيويه، "الكتاب"، ج1، ص: 274.

*- يقول: "أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت... الكتاب، ج1، ص: 26.

6- المصدر نفسه، ج1، ص: 31.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 28.

المبحث الثاني : النحو العربي واللسانيات الوظيفية.

إن موضوع التفكير اللغوي في تراث ابن جني* (ت392هـ) في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، هو في الواقع فضاء يعكس تكامل الجهود القديمة مع الانجازات الراهنة، ومن ثمة يبرز وجه الثقافة المنهجية الموضوعية وشيئية الدراسة المنظمة للغة واللسان بعامة، في نطاق ما يعرف بعلم اللغة العام وعلم اللسان (أو اللسانيات)¹.

والمقصود من هذه الدراسة الجارية في مجال اللغة واللسانيات بشكل عام هو الوقوف على وجه من الأوجه التراثية العليقة بما أنجزه أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) المعروف بآثاره الداخلية تحت طائلة الموضوع الذي نعرضه للنقاش في هذا المقام، فمن منطلق إرادتنا في تبيان هذا الأثر في هيئته التراثية القديمة للقرن الرابع الهجري، ومدى توافقه وقوعه في كثير من الخصائص، وبالتالي مدى تكامله وتناهيه، بصفة أو بأخرى مع اللسانيات الحديثة.²

يمثل أبو الفتح بما سجله في شأن التعامل العلمي مع اللغة النموذج الثقافي الذي ضرب بعبقريته هذا المجال، لأن باختصار قد "درس جميع المشكلات الكبيرة والصغيرة التي أثارت اهتمام اللغويين في زملته، وأولى فيها برأيه وبحله مما يجعلنا نقول: إنه لغوي موخل في التحليل للبنية اللغوية، وكل هذه تتطلب منا أن نقرأ آثاره (أو نعيد قراءتها) بمزيد من التمعن، باحثين عن تفسيرات أو إيضاحات للقضايا اللغوية التي أثارها"³.

* - هو أبو الفتح عثمان بن جني، نحوي بصري، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، له مؤلفات منها: سر صناعة الإعراب، المنصف، اللمع في النحو.

1- بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دت، ص:3.

2- المرجع نفسه، ص: 7.

3- محمد مفتاح وآخرون، "قضايا المنهج في اللغة والأدب"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص:31.

وينبغي الإقرار والاعتراف، بأن كثيراً من الطروحات قد بدأها اللغويون العرب ومنهم أبو الفتح، وهي حالياً معتمدة في اللسانيات الحديثة، إلا أنها خضعت إلى قليل أو كثير من التعديل والتطوير.¹

وحمله القول فإن علماء اللغة العرب ومنهم ابن جني "استطاعوا أن يكشفوا كثيراً من الحقائق اللغوية التي هي جديرة بالاكشاف في ضوء منهج اللسانيات الحديثة، فمثلاً لو جمعنا ما كتبه ابن جني بضوء النظرية اللغوية العامة في كتابه "الخصائص" وما كتبه عن الصوتيات في كتابه "سر صناعة الإعراب" لوجدنا أن دراسته تناولت اللغة من جميع جوانبها، وعلى كل المستويات"².

وفي ضوء هذا، واستناداً إلى مصدر ابن جني "الخصائص" و"سر صناعة الإعراب" تقديم المحاور الرئيسية التي أدرس عليها منهجه:

أ- منهج التفكير اللغوي في حدود البحث التراثي القديم لدى ابن جني (ت392هـ).

ب- مقارباته اللغوية واتجاهاته إلى النظرية العلمية.

ج- علوم اللغة ومستوياتها في عمل ابن جني اللغوي.

من الواضح لمن يطالع فكر ابن جني اللغوي في حدود ما درسه وبحثه، أنه عالم بصير بمدى توخيه منهجاً خاصاً برؤيته في التعامل مع مواءمته التي لا تخرج عن الإطار العلمي الذي أراد أن يصف فيه سلوكه وممارسته في وتيرة الإجراء الواعي المتفنن الذي أضفاه على موضوعه اللغوي بعامة³.

إن الغاية فيما تدلّ عليه مؤشرات عمله اللغوي "أن يؤسس نظرية عامة للغة العربية، متبعاً في ذلك منهجاً عقلياً دقيقاً عبر ما مرة في كتاب الخصائص يقول: "وليكون هذا الكتاب ذاهباً في جهات النظر، إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم، لأن هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب

1- بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ص: 32.

2- محمد مفتاح وآخرون، "قضايا المنهج في اللغة والأدب"، ص: 43.

3- بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ص: 32.

المنصفة فيه منه، وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ، وكيف سرت أحكامها في الأنحاء والحواشي"¹.

والملاحظ أيضا "أن مصطلح "الخصائص" الذي يعنون به كتابه، يهدف من ورائه إلى بحث عميق في أسرار اللغة العربية وخصائصها وقوانينها العامة، دون دراسة جزئياتها الصرفية والنحوية كما كان معروفا قبله وفي عصره"².

والدليل على مثل ذلك ما يذكره أبو الفتح في "باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية كأنه وضع هذا الكتاب في مستوى جميع العلماء من متكلمين وفلاسفة وفقهاء ولغويين"³ يقول: "فإن هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام القول على أصول أوائل هذا الكلام، وكيف بدئ وإلام نحي، وهذا الكتاب يتساهم ذو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل له والبحث عن مستودعه، نقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون سهم منه، وحصه فيه"⁴.

وابن جني في ضوء وعيه في مسألة اللغوية، التي يستهلها في زمانه (أواخر القرن الرابع الهجري)، يوضح موقفه الذي وإن توصل بإبداعه الخاص إلى هذه الثمرة العلمية، يظل يحمل فضائل السابقين التي سالت أسهمها بشكل أو بآخر في منهج نظريته التراثية، التي نقرأها موصوفة ومطبقة، على وجه الخصوص في "الخصائص" و"سر صناعة الإعراب"⁵.

¹ - ابن جني (أبو الفتح عثمان)، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية بمصر، ط2، 1371هـ، 1952م، ج1، ص: 32.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 67، والكلام موجود: في: "فضايا المنهج في اللغة والأدب"، ص: 44.

³ - محمد مفتاح وآخرون، "فضايا المنهج في اللغة والأدب"، ص: 44.

⁴ - ابن جني، "الخصائص"، ج1، ص: 67.

⁵ - بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ص: 34.

1- مقاربات ابن جني ونظريته اللغوي:

إن التفكير اللغوي الذي يمثل مقاربات أبي الفتح تجاه بلورة موقفه وبالتالي تأسيس نظريته بناء على المبادئ التي أرادها مشروعها، هو المحطة التي نحتاج إلى التعرف إليها، من تلقاء المرجعيات الثقافية التي وهبت كفاءة هذا العالم العبقرى في التفوق والنهوض بمهمة تراثية أصلها في قديم القرن الرابع الهجري وفروعها تعانق أبعاد الحداثة وآفاق المعاصرة¹.

وجملة القول، ومهما يكن بلوغ ابن جني ونضجه في الوقوف على ما وقف عليه، يظل ديوانه الذي يمتدح فيه تفكيره، على أساس التعليل النحوي والتحليل اللغوي من الخصائص التي تحيل فعلاً على واقعية الأثر الذي أدخره للقراء تين اللغوية واللسانية...².

ومن هنا ندرك الحقيقة في أنه: "من خلال كتابيه السابقين نجد لابن جني نظرات ثابتة ومنهجاً محكماً في البحث. فقد عمد إلى التنظيم الدراسة اللغوية تنظيمًا دقيقاً معتمداً على العقل والمنطق في التحليل كما تطرق إلى جوانب متعددة من مستويات الدراسة اللغوية: صوتية (Phonology) صرفية (Morphology)، نحوية (Syntax) دلالية (Semantics)، بلاغية (Rethorica) عروضية (Mesure de vers/ Prosodie)، وهو في جل تحليلاته ونظرياته يوافق إلى أبعد الحدود منهج اللسانيات المحدثين...³

وتظهر العناية بماهية اللغة عند العرب وابن جني (ت392هـ) (ق4هـ) بخاصة من خلال اهتمامهم الحدود والتعريفات، ولذلك جاءت جهودهم حاملة للصيغة النحوية⁴.

وتسجل لنا أواخر القرن الرابع الهجري مولد البواكير الأولى، الحبلى بإرهاصات الحدود التي تفكر بنوع من المنطق، وتتعامل بشكل من الموضوعية مع المسألة اللغوية، في ذاتها وفي آفاقها وأبعادها

1- محمد مفتاح وآخرون، "قضايا المنهج في اللغة والأدب"، ص: 46.

2- بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ص: 41.

3- محمد مفتاح وآخرون، "قضايا المنهج في اللغة والأدب"، ص: 47-53.

4- بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ص: 9.

النظرية والتطبيقية (التجريدية والتجريبية). يحدث ذلك مع نبوغ العلامة أبي الفتح ابن جني وهو الذي يحمل لواء البدء والزيادة في شق الطريق العلمي لتعريف اللغة، بنمطية تتبدى في مقاربة (Approche) تتوفر على مؤثرات واعدة كان لها الأثر الفاعل والصدى الموافق لما بلغه الدرس اللغوي الحديث إلى جانب علم اللسان أو اللسانيات (Linguistics) وهو المقرر السوابق التعريف العلمي للغة، الذي امتدت أسهمه لتعانق - في الكثير من النقاط - صرح اللسانيات الحديث¹.

ومن الشاهدين لأبي الفتح المرشحين حوزة هذا السبق المرحوم الباحث عبده الراجحي القائل: "ونظن أن أول من عرف اللغة هو ابن جني في كتابه "الخصائص"، ومن الملاحظ أن ابن فارس والثعالبي لم يعرفا اللغة فيما كتبا عن فقه اللغة"².

ويضيف: "ومع أن ابن جني هو أول من عرف اللغة، فيما نظن، فإن تعريفه بها يثير دهشة الباحثين البعيدين عن تطور الحياة العلمية العربية، لأنه يقترب اقتراباً شديداً في كثير من تعريفات المحدثين، ولأنه يشمل جوانب التعريف التي عرضها "علم اللغة" في العصر الحديث"³.

يقول أبو الفتح في "باب القول على اللغة وما هي: أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁴.

ويشمل هذا التعريف على أربعة جوانب، يستحق كل جانب منها شيئاً من التفصيل وهذه الجوانب هي⁵:

- | | | |
|--|--|--|
| المستويات التي تكون حقيقة اللغة من جهة
"الماهية" و"الوظيفة" في رأي ابن جني. | ← درس اللساني الحديث
"دار المعرفة الجامعية، إل" | <ul style="list-style-type: none"> (1) اللغة أصوات (2) أن اللغة تعبير (3) أنها تعبير يعبر بها كل قوم. (4) أنها تعبير عن "أغراض". |
|--|--|--|

⁴- ابن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب، القاهرة، 1952م، ج1، ص30.

⁵- عبده الراجحي، "فقه اللغة في الكتب العربية"، ص60.

والملاحظ أن موقف ابن جني، هذا يحمل في ثناياه المستويات التي تضمنها صعيد فكرته حول اللغة، موقف مرن ذو قابلية للامتداد والاتساع عبر قراءات القارئ وتأملات المتأملين، نظرياً وعلمياً، ولنا في هذا الخصوص ما يمكن تفصيله والحديث عنه بالحديث العلمي ونقاش الدراسة العلمية المنظمة، وذلك سعياً منّا إلى الاعتراف بأصالة الموقف التراثي ومدى توافق وقوع مستوياته الفكرية مع الرؤية الحديثة والمعاصرة في حدود ما يتعاطاه علماء العصر الراهن، من شؤون علم اللغة وعلم اللسان¹.

يعدّ تعريف ابن جني للغة أدقّ التعريفات وأوفاهها، حيث اشتمل على أربعة جوانب قاربه فيها المحدثون وهي:

أولاً: اعتبار اللغة أصوات، إذ حصرها في الجانب المنطوق دون المكتوب فعلماء العربية لم يتناولوا اللغة في صفتها المكتوبة وإنما في صفتها المنطوقة لأنهم كانوا أقرب إلى الاستعمال، الذي يقتضي الحوار والكلام، ومن هنا يتضح لنا جلياً أن الأصل في مدلول اللغة أصوات ينطق بها المتكلم سواء كانت هذه الأصوات عن قصد منه أو عن غير قصد².

ثانياً: وظيفة اللغة تتجسد في قوله: "تعبّر بها"، فالوظيفة المنوطة بها هي التعبير، إذ يبرز من خلالها المخاطب (المرسل أو المتكلم) حيث يبوح عن مشاعره ويعبر عن أفكاره، ويستعمل اللغة

1- بلملياني بن عمر، "تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث"، ص: 13.

2- محمد بن عبد الكريم، "لغة كل قوم روح ثقافتها"، دار النهضة، باتنة، الجزائر، 1989م، ص: 05.

للتعبير عن أحاسيسه وأغراضه ويبين عنها - وعند تبادل الأدوار يصبح المخاطب مخاطباً، ويعبر هو الآخر عن شعوره وما يدور في خلدته من أفكار¹.

ثالثاً: اللغة ظاهرة اجتماعية، ويكمن ذلك في قوله: "كل قوم" أي كل مجتمع، وبالتالي فهي لا تكون إلا داخلة، فوجود اللغة منفصل عن الأفراد والدليل على ذلك أنهم لا يستطيعون تغييرها، فهم ملزمون باتباع نظامها الذي يقره المجتمع، لأن قيمتها تستمد منه، فالاستعمال والعرف الاجتماعي عاملان أساسيان في تحديد معانيها طبقاً لحاجات المجتمع ونموه².

رابعاً: يتضمن قوله: "عن أغراضهم" اشتمال جميع ما يرغب فيه الإنسان فيمكن أن تعني "التفكير" التي قد يقتصر معناها على "الصورة العقلية"، أو على "العمليات الذهنية"³.

فاللغة في نظر ابن جني أصوات يستعملها الإنسان في مجال التعبير عن أغراضه ومقاصده، فهي وسيلة للتعبير عنده، وهي مؤلفة من أصوات متتابعة، كل مجتمع لغوي يمتلك لغته الخاصة به.

ويمكننا استنتاج ما يأتي من هذا التعريف:

1. اللغة وسيلة التعبير:

هي وسيلة يمتلكها الفرد للتعبير عن أقرائه ومتطلبات وأحاسيسه فمهمتها "الإبانة عن أغراض من يتكلمون بها في مجتمع ما، سواء أكانت هذه الأغراض فكرية أو وجدانية أو مجرد التسلية الشخصية، ومن البين أن الأغراض التي تبين اللغة عنها تختلف في كل مجتمع عمه في الآخر، وهذا بتأثير العصر والبيئة"⁴.

1- خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، دار القصة، الجزائر (2000)، ص: 31.

2- ينظر: نور الهدى لوشن، "مباحث علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، مكتبة الجامعية الأرازيطا، الإسكندرية، 2000م، ص: 183، 184.

3- عبده الراجحي، "فقه اللغة في الكتب العربية"، ص: 76.

4- محمد عيد، "الملكية اللسانية في نظر ابن خلدون"، عالم الكتب، القاهرة، 1979م، ص: 108.

2. اللغة فعل لساني:

فاللغة نشاط إنساني يقوم به الإنسان بواسطة اللسان، إذ يعدُّ "أداة يستعملها الإنسان لتؤدي وظيفة معينة هي وظيفة التبليغ والاتصال والإخبار. والتبليغ والتواصل هو التخاطب المتبادل بين أفراد جماعة ما هو عبارة عن تبادل معلومات وأغراض بكيفية معينة، تلك هي إذاً الوظيفة الرئيسية التي تؤد بها الألسنة البشرية¹.

3. اللغة فعل قصدي:

فاللغة اللسانية نابع من تصميم الإنسان على التعبير عن الذات، وعلى التواصل مع الآخرين. ومن ثمة فهو فعل ناشئ عن القصد بإفادة الكلام.

4. اللغة اصطلاح:

فالطابع الاصطلاحي للغة هو الذي يفسر تعدد اللغات واختلافها من شعب لآخر وتمايزها فيما بينهم "فاللغة بحسب عرف أهلها في أصواتها وألفاظها وجملها وأساليبها، والكيفية التي يؤدي بها ذلك كله تخضع لما يصطلحون عليه، فلها إذن سماتها اللغوية والبلاغية العرفية المتميزة، فلا يفرض عليها ما ينبغي أن يكون، ولا يفرض عليها لغة أخرى - ولو كانت أصلها أو فرعاً منها - خضعت لعرف آخر.

والعرف والاصطلاح يشارك في صنعه - كما نعرف ونشاهد - كل من العصر والبيئة وتغاير اللغات يعود في جزء مهم منه إلى هذين العاملين الاجتماعيين.²

فاللغة في رأي ابن خلدون تستمد من عصور سابقة، فهي نتاج ثقافي قائم على اصطلاح ضمني يكمن مصدره خارج مجال إدراكنا المباشر وفي زمن بعيد لا تصل إليه قدرات استدلالنا.

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 24، 25.

² - محمد عيد، "الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون"، ص: 108، 109.

5. اللغة ملكة لسانية:

فهي ملكة واقفة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، إنها مقدرة عن التكلم وهذه الملكة أو الملكات " لا تحمل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً... فالتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغوية العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم"¹.

6. اللغة ميزة إنسانية مكتسبة:

وهذا الاكتساب طبيعي بحيث يكتسب الطفل لغة البيئة التي يسمع كلامها خلال مرحلة نموه الطبيعي، وبذلك يكون عمله عملاً ذاتياً خلاقاً، إذ يعتبر خاصية إنسانية مميزة².

أما في العصر الحديث عند العرب فنجد دي سوسير العالم السويسري يرى أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاث مصطلحات أساسية هي: اللسان (Le langage) و"اللغة" (La langue) و"الكلام" (La parole)، وقد اكتسب هذه المصطلحات صبغة عالمية في اللسانيات الحديثة واستعملت كما هي دون ترجمة في اللغات الأوروبية، ويدلّ اللسان على النظام العام للغة، ويضمّ كل ما يتعلق بكلام البشر وهو بكل بساطة لسان أي توم من الأقاليم، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين: "اللغة" و"الكلام"³.

¹ - ابن خلدون، "المقدمة"، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ط1، 1424هـ، 2003م، ص: 574.

² - أنسي أحمد محمد قاسم، "اللغة والتواصل لدى الطفل"، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، دت، ص: 19.

³ - أحمد مومن، "اللسانيات النشأة والتطور"، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر، ط3، 2007م، ص: 123.

وفي هذا الصدد يقول دي سوسير "لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان، فما اللغة إلا جزء محدد منه، بل عنصر أساسي، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي ملكه اللسان ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبنيها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة"¹.

واللغة في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية، وخصوصيتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس، وبعبارة أخرى هي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين، ونلاحظ أن دي سوسير يشبه اللغة بالقاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطبق للفرد الواحد أن يحتزها في دماغه وذلك بقوله: "إن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة في شكل معجم تقريبا، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد ... وهي لا تتأثر بإرادة المودعين: ويمكن صياغة نمط وجودها بهذا الشكل: $I = 1 + 1 + 1 + \dots$ (نموذج جمعي)"².

إذا اللغة كنز اجتماعي من الوحدات والقوانين يمثل نظاماً عاماً لا يمكن للفرد أن يجيد عنه فإذا طلبنا من أي إنسان متعلم أن يصرف الفعل "كتب" مع جميع الضمائر في الماضي أو المضارع، فإنه يحاول جاهداً أن يتبع قواعد التصرف المتعارف عليها دون إلحاق أي تغيير بالنظام العام"³.

نفهم من هذا أن دي سوسير يرى أن اللغة هو ذلك الجانب الذي يتميز بكونه اجتماعياً في ماهيته ومستقلاً عن الفرد، وهذا الجانب من الدراسة هو نفسي* فحسب، أو هي عبارة عن قواعد نحوية وقوانين اجتماعية مستقرة بشكل تواضعي في أدمغة الناطقين باللسان الواحد.

¹ - دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، دط، 1986م، ص:

21.

² - دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 32.

³ - أحمد مومن، "اللسانيات: النشأة والتطور"، ص: 124.

* - أي ما ينطبع في النفس من صور الأصوات التي يسمعها الإنسان، بعد أن تقود على سماعها في بيئته.

اللغة وليدة المجتمع ودراسة الظواهر التي تحدث في داخل المجتمعات وما بسببها تدخل في صميم علم اللسان إلا أنها لكونها أوضاعاً يتواطأ عليها الناس في تعايشهم فلا بد للسان أن يتبعها خصوصاً من الجانب اللغوي الاجتماعي، وبما أن اللغة أداة تبليغ تقتضي على الأقل شخصين والمجتمع على الأقل يتكون من شخصين ولهذا لا بد من مراعاة التعايش الذي ينتج أسرار وظواهر لا يمكن أن نجد لها إلا في هذا المكان.

إما أن نخضعها إلى قوانين عامة يخضع لها المجتمع فيرى سلوك الناس ليس اجتماعياً فقط بل سلوك اجتماعي، وعالم الاجتماع الذي يدرس اللغة في داخل المجتمع الذي ينظر إلى السلوك تفسيراً لظواهر اجتماعية أخرى؛ لأن الناس يتبادلون معلومات، كلما تعقد وتداخل كان المجتمع أرقى والفوائد أكثر، ولهذا نرى أن المواصلات في الجيش تحتاج إلى دقة يتمكن هؤلاء من القيام بمهامهم بدقة ومهارة¹.

يقول فندرس معبراً عن هذه الجوانب التي لها علاقة باللغة: "إن اللغة مركب معقد يمس فروعاً من المعرفة مختلفة ومعنى بها طوائف متفرعة من العلماء.

- أ- فهي فعل فيزيولوجي، من حيث أنها تدفع عدداً من الجسم الإنساني إلى العمل.
- ب- وهي فعل نفسي من حيث أنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل (القصدية).
- ج- وهي فعل اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني البشر.
- د- ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا مراد فيها نعت عليها في صور متباينة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة².

قدم ابن جني إلى جانب تعريفه للغة مجموعة أخرى من التعريفات، حول أصل اللغة ومفهومها، وقد خصص لذلك باباً سماه: باب القول على اللغة إلهام هي أم اصطلاح¹، استعرض فيه قول

1- التواقي بن التواقي، "مفاهيم في علم اللسان"، دار الوعي للنشر والتوزيع، في الثانوية رقم 142 ب، الرويبة، الجزائر، ص: 54.

2- فندريس "اللغة" ترجمة: عبد الرحمن الرواحلي ومحمد القصاص، مطبعة لجان البيان العربي، دط، د.ت، ص: 24.

القائلين بأنها إلهام، ذكراً أن شيخة أبا علي رحمه الله قال: إنها من عند الله، وأنه أحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]².

ويتلخص هذا المذهب في أن الله سبحانه وتعالى، لما خلق الأشياء، ألهم آدم عليه السلام، أن يضع لها أسماء فوضعها، وقد استند أصحاب هذا المذهب إلى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة³.

ووجدنا الجاحظ (ت255هـ) يؤمن بهذه النظرية في كتاب مناقب الترك⁴.

كما استعرض رأي القائلين بأن أصل اللغة لا بدّ فيه من المواضع وهو الذي حاولوا تفسير نشأة اللغة بأنها مواضع واتفاق بين الناطقين بها بحيث كان ارتجال الألفاظ أساساً في بناء اللغة⁵.

وقد صور ابن جني أيضاً رأي أصحاب هذا الاتجاه فقال: "إن أصل اللغة لا بدّ فيه من المواضع وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون إلى إحضاره أمام البصر، وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلاً على شخص، ويومنون إليه قائلين: إنسان، فتصبح هذه الكلمة اسماً له وإن أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه، أشاروا إلى العضو، وقالوا: يد، عين، رأس، قدم..⁶.

ويسيرون على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء وفي الأفعال والحروف وفي المعاني الكلية، والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأ اللغة العربية مثلاً. (إضافة كلام آخر...)

كما استعرض أيضاً - قول بعضهم أن أصل اللغات، إنما هو من الأصوات والمسموعات⁷.

1- ابن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية بمصر، 1371هـ، 1952، ج1، ص:40.

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 40، 41.

3- حاتم صالح الضامن، "علم اللغة"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد بيت الحكمة، ص: 96.

4- رسائل الجاحظ، ج3، ص: 191.

5- ابن جني، "الخصائص"، ص: 44.

6- ابن جني، "الخصائص"، ص: 44.

7- المصدر نفسه، ج1، ص: 46.

وخلاصته أن الإنسان سُمي الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها، أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعة صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء¹.

يقول ابن جني: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هم من الأصوات والمسموعات كدوي الرياح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الضبي... ونحو ذلك. ثم ولدت اللغة على ذلك فيما بعد. وهذا عندني وجه صالح ومذهب متقبل"².

ثم يقول بعد ذلك كله؛ إنني على تقادم الوقت، والتنكير عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة الجهات التغول على فكري، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ومنه ما خدوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده، وبعد مراميه وآماده، صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق لهم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة بأنها من عند الله جلّ وعزّ. فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وتعالى وأنه وحي³.

ثم يقول: "لو أخذ ما ترك (أي مال ملقى بين يدي صاحبه تمثيلاً للألفاظ ملقاة بين يد مستعملها) مكان أخذ ما أخذ لأغنى عن صاحبه ولأدي في الحاجة إلى تأديته، ألا ترى أنهم (أي العرب) لو استعملوا لجمع مكان نجع لقام مقامه وأغنى مغناه"⁴.

أما في الدراسات اللسانية الغربية فنجد دي سوسير يعتقد اعتقاداً مبدئياً حاسماً أن العلامة تنشأ من علاقة اعتبارية* بين دالها ومدلولها، ويقصد دي سوسير بذلك أن الدال لا توجد بينه وبين

1- حاتم صالح الضامن، "علم اللغة"، ص: 97.

2- ابن جني، "الخصائص"، ج1، ص: 46، 47.

3- المصدر نفسه، ج1، ص: 47.

4- المصدر نفسه، ج1، ص: 65.

*- الاعترافية من العبط والاعتباط، عبط النبيحة يعبطها عبطا واعتبطها اعتبارا: نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فنية... وفي الحديث: "من اعتبط مؤمنا قتلا قود" (القود: قتل النفس بالنفس) لسان العرب، ج3، ص: 372، أي قتله بلا جناية كانت

مدلوله علاقة معللة، وإثما يمثل الدال اختياراً صوتياً جرافياً تواضع عليه أهل اللغة الواحدة للدلالة به على مدلول معين¹، أي أن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول علاقة وضعية غير طبيعية وغير حتمية، فلا يوجد في سلسلة الأصوات التي تمثل الدال ما يدل على المدلول عليه إنما تم ذلك بالتواطؤ والاصطلاح عكس ما يكون في المؤشرات والرموز².

فهو يقول: " وهكذا فإن فكرة "أخت" لا ترتبط بأي علاقة داخلية مع تتابع الأصوات: "أ.خ.ت" تلك التي تقوم ومقام الدال بالنسبة لها، ويمكن تمثيل هذا الأخير بأي تعاقب آخر أيّاً يكن شكله"³.

ثم يقدم الحجة على صحة هذا الاعتقاد فيقول "وحيثنا في ذلك إنما هي الاختلافات القائمة بين اللغات ووجود اللغات المختلفة ذاته"⁴.

فالأدلة المتواضع عليها وضعت بالقصد لإفادة معنى معين، واللغة هي أحد هذه الأوضاع، وأهم شيء تمتاز به اللغة عن الأدلة الطبيعية هو وجود رابط حتمي تختمه طبيعة الأشياء بين الدال والمدلول (فبين النار والدخان علاقة طبيعية وقانونية إذ أن النار لا بد لها من دخان وهي حتمية)، أما دلالة اللفظ على المعنى فليست ضرورية، وليست واجبة كوجوب الدلالة الطبيعية، ومعنى ذلك أن كلمة (فرس) فهذه الكلمة المركبة على نوع من الأصوات كان من الممكن أن تدل على غير هذا الحيوان،

منه وموجب قتله...، والعباط: الكذاب، والعبط: الكذب الصراح من غير عذر، وعبط علي الكذب يعبطه عبطا واعتبطه: افتعل له (لسان العرب، ج7، ص: 147، 148). ومنه ندرك أن الاعتبار ليس بينه وبين المفعول فيه علاقة سببية، وعلى هذا فالعلامة الاعتبارية التي ليس بين دالها ومدلولها رابطة سببية.

1- دي سوسير، "دروس في الألسنة العامة"، ص: 89.

2- خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، دار القصة للنشر، حيدرة، 16012 الجزائر، ط2، (دت)، ص: 22.

3- دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 90.

4- المصدر نفسه، ص: 90.

فلم يكن محتها على الناس أن تدلّ هذه الأصوات (ف،ر،س) على حيوان بعينه بل لا بدّ من تواضع بمعنى الاتفاق، والإجماع الذي يكون في الغالب غير مشعور به¹.

أي أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية (أي فيها تعسف وعدم تعليل، وفيها تحكّم) وهذا في جميع لغات الدنيا وتسمى بالفرنسية (Arbitraire de singe)، أما عند القدماء اللغويين فتسمى (الترجيح بدون مرجح)².

لكن دي سوسير، بعد ذلك يتحفّظ في إطلاق هذا المبدأ على جميع العلامات اللسانية ليبيّن أن اختيار الدال ليس دائما اعتباطياً، لديك فهو يستثني الدوال التي ترتبط ومدلالاتها بالمحاكاة الصوتية مثل: سوط (fouet) وجرس (Glas)³. لكن دي سوسير يرى أن هذه الكلمات رغم ما تستحوذ على السمع عن جهورية إيجابية إلا أنّها لا تملك هذه الصفة في بنيتها الأصلية، إذ هي مشتقة من أشكال صوتية لا توحى بمبدأ المحاكاة؛ فكلمة (fouet) مشتقة من (Fogus) و (Glas) مشتقة من (Classicum)⁴.

يبدو من توصي حدي سوسير هذا أنه يسعى بقوة إلى تكريس فكرة الاعتباطية في العلامة اللسانية وإلى دحض أي شبهة تسعى إلى إلغائها، ولذلك فهو يسعى إلى التقليص من مبدأ المحاكاة الصوتية ذاته ويرى أنه -بعد أن أثبتته في البداية- لا يملك من القوة والوضوح ما يصمد به أمام مبدأ الاعتباطية⁵. ليس مع الكلمات التي لا تحتفظ بصفة المحاكاة الصوتية في أصولها الاشتقاقية كما رأينا مع كلمتي (Fouet) و (Glas) فحسب بل حتى مع الكلمات التي تبدو محاكاتها للصوت أصلية من

1- التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علم اللسان"، ص: 41، 42.

2- التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علم اللسان"، ص: 42.

3- دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 91.

4- المصدر نفسه، ص: 91.

5- الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية: دراسة تحليلية استيمولوجية"، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، ص: 79، 80.

مثل: (Glouglou) و (tic-tac) التي تبدو قليلة العدد في نظام كل لغة، بالإضافة إلى أن اختيارها اعتباطي إلى حد ما لكونها لا تتعدى التقليد التقريبي ونصف الاتفاقية لبعض الضجيج¹.

وقد اعترض على دي سوسير في هذه المسألة إ. بنفنست² الذي يسعى متمسكاً بتوجهات الدراسة الصورية (Etude Formelle) للغة إلى تحديد العلاقة بين الدال والمدلول على أنها علاقة تلازمية، إذ يقول: "إن المفهوم (المدلول) (Bœuf) أي ثور، هو قسراً مماثل في ذهني للمجموع الصوتي الدال (Bof) ... فكيف يكون الأمر غير ذلك؟ أهما معاً منطبعان في عقلي وهما معاً يتداعيان في أي ظرف من الظروف"³.

ولئن كان بنفنست قد ألغى مبدأ الاعتباطية بين الدال والمدلول، مؤكداً على أنهما متلازمان مترابطان، فهو لا يزال يحتفظ به ولكن على أنه موجود بين العلامة من حيث هي وحدة صورية للغة، وبين المرجع أو الشيء الذي تعينت العلامة له، فهو يقول: "إن ما يبدو اعتباطياً هو أن علامة ما وليس غيرها، تصبح منطبقة على شيء ما من الواقع، وليس على شيء غيره"⁴.

والحقيقة أن ما جاء به بنفنست، في مسألة اعتباطية العلامة، لا يخطئ ما جاء به ديسوسير ولا يختلف معه فيه، وإنما رأيا متكاملان إذ أن العلاقة الاعتباطية تظل قائمة بين الدال والمدلول حتى في الوقت الذي يبدو أن فيه متلازمين⁵.

فدي سوسير يرى أن العلامة رغم اعتباطيتها التي تثير مبدأ الاختيار الحر -تصبح ملكاً للجماعة اللغوية بمجرد استعمالها، وبحصول هذه الملكية يكون الدال والمدلول متلازمين في أذهان

¹- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 91.

²- اميل بنفنست لساني فرنسي تركزت إسهاماتها في تحليل الخطاب والسميائيات من كتبه مشكلات في اللسانيات العامة 1966.

³-Emille Beuveuiste, problèmes de linguistique générale, Paris Gallimard, 1966, T10, P: 51.

⁴- الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية: دراسة تحليلية ابستمولوجية"، ص: 80.

⁵- المرجع نفسه، ص: 80.

³-المرجع نفسه ، ص: 80.

الناطقين باللسان الواحد، وبالتالي يصير التلازم والاعتباطية أمرين مجتمعين وليس في وجود أحدهما إلغاء للآخر. ويمكننا التذليل على صحة هذه النتيجة بقولنا إن الاعتباطية، في العلامة اللسانية مرتبطة بالوضع بينما يرتبط التلازم بالاستعمال¹.

ومما زاد في تأكيد دي سوسير على أهمية مبدأ الاعتباطية في العلامة اللسانية وحفزه على تكريس مفهومها في التأسيس الدرس اللساني أنها أثارت لديه، عند مناقشتها أبعاداً منهجية هامة نذكر منها ما يلي:

– إن مبدأ الاعتباطية يقوم على مبدأ المواضعة بل هو قرينة الذي لا يفارقه، ويراد بالمواضعة ذلك العقد الذي يتفق فيه أفراد المجتمع الناطق باللسان الواحد على ما يتم استعماله من وحدات وعبارات يتداولونها في تواصلهم اللغوي، ويرى دي سوسير أن أهمية البعد التواصلية القاسم على المواضعة يتجلى في كونه يمنح مبدأ الاعتباطية صفة سيميائية بل هو ما يمكن العلامة الاعتباطية من أن تحقق، بشكل أفضل من غيرها، نموذج الإشارات السيميائية². لكونها تختلف عن الرمز³ فالدلالة لا تنشأ فيها من التناسب الطبيعي بين طرفيها (كما هو الحال في الرمز) بل هي تنشأ مما توحى به سلطة الاتفاق الاصطلاحي الذي تعمل به الجماعة اللغوية متجاوزة به إرادة الفرد، بل متجاوزة به إطار العلامة المادي ذاته بخلاف الرمز الذي تنشأ فيه الدلالة مما تعمل به سلطة الطبيعة المادية لداله

* – وهذا ما يعتقد أنصار سيميائيات التواصل Sémiologie de le communication ويعتبر دي سوسير واحداً منهم بل هو رائدهم، ويقابلهم أنصار سيميائيات الدلالة (Simiologie de la signification) إذ ينطلقون من حصر موضوع السيميائيات في العلامة التواصلية القصدية فحسب تلك العلامة التي يمنحها مبدأ الإعتباطية والمواضعة قدرة واسعة على التعبير ويفتحها على التمدل Simifiance بشكل لا نهائي متجدد وكونها تستلم دلالتها مما تقتضيه الحاجات المتغيرة والمتنوعة للجماعة اللغوية بخلاف العلامة التي تقوم على العلية والتميز والتي تكون – نظراً لانكفائها على ذاتها – ذات الآلة نهائية مغلقة.

² – الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية..."، ص: 80، 81.

³ – يرى دي سوسير أن الرمز فيه بعض النواقص، ولذلك فهو يحجم عن قبول استعماله في مقام استعماله في مقام العلامة اللسانية، ويرفض أن يكون مرادفاً لها، ذلك أن الرمز صفة ليست اعتباطية أبداً كما إنه ليس فارغاً فهو ينطوي على ملامح الرابط الطبيعي بين داله ومدلوله، فلا يمكن تبديل الميزان باعتباره رمزاً للعدالة بأي شيء آخر كالعربة مثلاً. دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 90، 91.

ضمن علاقة التناسب الطبيعي القائم بينه وبين مدلوله. إلا أن الرمز مع ذلك يظل محتفظاً بقدر من الاعتبارية إلى جانب احتوائه على الرابط السببي الطبيعي بين داله ومدلوله، وذلك حينما يشيع استعماله بين الناس ويصبح علامة تواصلية تسندها المواضع والاتفاق¹.

– إنه يساعد على ثبات اللغة، وذلك لأن الاعتبارية تمنع الفرد من تغيير أي شيء في العلامة اللغوية، ولو كانت العلاقة بين طرفي العلامة معللة لكانت محاولة الفرد في تغييرها بوعي وإرادة أمراً ممكناً².

لكن الاعتبارية، في الوقت ذاته، تعمل على تغيير اللغة باعتبارها مؤسسة اجتماعية تقدم إنتاجها المستمر مبنياً على خاصية التبدل³ الزمني⁴ ومستمدًا من طبيعتها التي لا ترى مانعاً من ربط فكرة ما بتال صوتي ما آخر⁵.

وبهذا يتبين لنا كيف أن دي سوسير أخضى به تحليله لمبدأ الاعتبارية إلى تحديد طبيعة اللغة بكونها ثابتة ومتغيرة في آن⁶.

فهي ثابتة ضمن صلتها بالفرد المتكلم ومتغيرة ضمن صلتها بالجماعة اللغوية.

يتجلى أثر الاعتبارية كذلك على مستوى قيمة العلامة حيث تكون اللغة واسطة بين الصوت والفكر...⁷. وفي الواقع إن كل وسيلة تعبير تسود في مجتمع ما. إنما تنهض مبدئياً على عادة جماعية

1- مبارك، "حنون مدخل الى لسانيات سوسير" ص: 110

2- ينظر: المرجع نفسه ص: 116 117

3- يقول دي سوسير: "إن اللغة تتبدل أو نقل إنها تتطور بتأثير كل العوامل التي تمنى بها الأصوات والمعاني وتطورها هذا إنما هو أمر حتمي، وليس بين أيدينا أي مثال لغوي ينفي أو يقاوم هذا التطور (محاضرات في الألسنة العامة، ص 98).

4- يقول دي سوسير: "إن الزمن الذي يكفل استمرار اللغة تأثيراً آخر يتناقض ظاهرياً مع التأثير الأول (أي التأثير المؤدي إلى ثباتها)، إنه تبديل العلامات اللغوية بشكل سريع إلى حد ما (محاضرات في الألسنة العامة، ص 96).

5- الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنوية"، ص: 82.

6- المرجع نفسه ص: 82

7- المرجع نفسه ص: 82

أو اتفاق¹، وكنتيجة نقول: إن العلامة الاعباطية تحقق تماماً وبشكل أفضل من غيرها مثال الأسلوب الأغراضي، ولهذا السبب فإنّ اللّغة - وهي أكثر منظومات التعبير انتشاراً وتعقيداً - هي أكثرها تمييزاً، وبهذا المعنى فإنّ الألسنية تغدوا لمشرف العام لكل أعراضية، على الرغم من أن اللغة تسوى منظومة معينة².

تعريف النحو:

لقد رسمه العالم اللغوي ابن حني (ت392هـ) بقوله: "باب القول على النحو" ويأتي في المرتبة الثالثة بعد أبي "الفصل بين الكلام والقول" و"اللغة وما هي عليه" في كتابه "الخصائص".

ويعرفه بقوله: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رده به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقّهت الشيء إذا عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحريم والتحليل وكما أن بيت الله خص به الكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله. وله نظائر في قصر ما كان شائعاً في جنسه على أحد أنواعه. وقد استعمله العرب طرفاً، وأصله المصدر³.

أنشده أبو الحسن⁴:

❖	ترمي الأماعيز بمجمرات
❖	بأرجل روح مجنبات
❖	يحدو بها كل فتى هيئات
❖	وهذا نحو البيت عامدات

¹ - دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 90.

² - المصدر نفسه، ص: 90.

³ - ابن جني، "الخصائص"، ج 1، ص: 16.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1 ص: 16.

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن ابن جني لا يفرق بين التركيب والصيغ، إذ هما مدرجان عنده بالمعية تحت عنوان "مصطلح النحو" وهذا التصرف يتماشى والتعريف الحديث للنحو، فقد جمع في هذا النص بين لونين من الدراسات: صرفية وتتضح في الثنية والجمع والتحقيق، ونحوية وتتضح في الإضافة والإعراب والتركيب، وهذان النوعان وهما الصرف (Morphologie) والتركيب (Syntaxe)، يكونان في الدراسة اللغوية الحديثة ما يسمى بعلم النحو (Grammaire).¹

ويسوق اللساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح في أحد محاضراته (محاضرة الفرق بين علم اللغة وعلم اللسان في نوفمبر 1984م) إذ يقول: "إن النحو هو تغيير أواخر الكلمة، وتغيُّر في ذات الكلم نفسها، ومنزلة الدستور من القوانين، وهو وسيلة المستعرب وذخيرة اللغوي وعماد البلاغي، وهو الدراسة لنظام اللسان، حيث يتناول بالدراسة مبناه ووجوده في الاستعمال، وبيان العلاقة التي تربط الكلمة ببعده ببعض، وبين ترابط هذه العناصر، وتداخلها وبين الدور الذي تقوم به في أداء المعاني".

أما عند دي سوسير فنجد ما يقابل هذا الباب (أي باب القول على النحو) في الفصل الثامن والذي عنوانه: "دور الكيانات المجردة في القواعد"، إذ أن من شأن هذه الكيانات أن توضح بشكل جيد ضرورة فحص كل مسألة نحوية من حيث مظهرين اثنين هما:

1. من حيث المظهر الترابطي:

إن ترابط شكلين ليس ناتجاً فحسب عن الإحساس بأنهما يشتركان في شيء ما، بل وأيضا عن تمييز طبيعة العلاقات التي تتحكم في الترابطات. فالذوات يعي أن العلاقة الرابطة بين علم وتعليم

¹ - غانم حنجر، "المقاربات النحوية في واقع التعليم الاكمامي"، مجلة المشعل، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، العدد 4، 2010، ص: 44.

وعتم وتعتيم ليست هي نفس العلاقة التي تجدها بين تعليم وتعتيم. ومن هذه الزاوية يرتبط نسق الترابطات بنسق النحو¹.

ويمكن القول إن مجموع التصنيفات الشعورية والمنهجية التي ينهض بها القواعدي وهو يدرس حالة لغوية ما دون اللجوء إلى التاريخ يجب أن يتطابق ومجموع الترابطات الشعورية أو اللاشعورية التي تثبت في فكرنا مجموع الكلمات وجداول الإعراب والعناصر الإشتقاقية، والعناصر المكونة: الجذور واللاواحق والعلامات الإعرابية... الخ².

لكن أتكشف الترابطات العناصر المادية فقط؟ إن الجواب بالنفي بدون شك إذ نعلم أن الترابطات تقارن بين الكلمات المرتبطة فيما بينها من حيث المعنى لا غير، وينبغي أن يحدث نفس الشيء في النحو: إن أصوات ثلاث علامات إعرابية لا تماثل فيما بينها من حيث الترابط: إلا أنها ترتبط، مع ذلك، بقيمة مشتركة تملي استعمالاً متماثلاً. وهذا يكفي بحلق الترابط في غياب أي دعامة مادية فتتخذ الإضافة وحروف الجر مثلاً موقعها في اللسان. إنه بواسطة طريقة مماثلة ترتبط العلامات الإعرابية فيما بينها في الذهن وتكشف عن الحالات الإعرابية والعلامة الإعرابية كمفهومين عامين³.

وترتبط الترابطات في نفس النظام⁴ بين كل الأسماء وكل الصفات... الخ وترسخ مفهوم أقسام الخطاب⁵.

كل هذه الأشياء توجد في اللسان، لكن ككيانات مجردة، ودراسة هذه الأشياء صعبة جداً لأنه لا يمكننا أن نعرف بالتدقيق إذا ما كان وعي الذوات المتكلمة يذهب أبعد من التحليلات التي يقوم بها النحوي¹.

1- حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص: 123.

2- دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 167.

3- حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 123، 124.

4- المرجع نفسه: 124.

5- ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 168.

2. من حيث المظهر المركبي:

ترتبط قيمة مجموعة، في الغالب، بنظام من العناصر. وحينما تحلل الذات المتكلمة مركباً معيناً فإن تلك الذات لا تعتمر على تمييز أجزائه، بل تلاحظ نظاماً تعاقبياً معيناً بين تلك الأجزاء، فمعنى: "است . خرج" يتعلق بموقع الوحدات الفرعية في تعاقبها، إذ لا يصحُّ القول: "خرج إست". ويمكن ألا تكون للقيمة أي علاقة بعنصر ملموس "است" مثلاً وهي تنتج عن رتبة الأطراف لا غير².

فاختلاف الدالّتين في "زيد المنطلق" و"المنطلق زيد" يعود إلى رتبة الكلمات³. وقد يعبر لسان معين عن فكرة بواسطة تعاقب الكلمات. وقد يعبر لسان معين عن فكرة بواسطة تعاقب الأطراف أحياناً فيما يعبر عنها لسان آخر بواسطة طرف ملموس أو عدة أطراف ملموسة⁴.

ولكن إذا كان ترتيب الكلمات بلا أدنى شك ماهية مجردة، فليس بأقل حقيقة أنها مدينة في وجودها إلى الوحدات المحسوسة التي تشتملها، والتي بعد واحد. إنه لمن الخطأ الاعتقاد بأن هناك تركيباً غير مجرد خارج هذه الوحدات المادية الموزعة في الفضاء. فجملة *Thé mou I have seu* الانجليزية (الرجل الذي شاهدته) تبين لنا واقعه تركيبية ممثلة بدرجة صفر. بينما تستخدم الفرنسية اسم الموصول *l'homme que j'ai au* (الرجل الذي شاهدته)⁵.

أما العربية فتمثل لها "بالذي" وبواسطة مقارنتها بالواقع ينتج ذلك الوهم القاضي بأن عدم يمكن أن يعبر عن شيء ما؛ وفي الواقع فإن الوحدات المادية الموضوعية الواحدة تلو الأخرى في نظام مخصوص تخلق وحدها هذه القيمة، وخارج مجموع أطراف ملموسة لا يصحُّ التفكير في حالة تكيبية⁶.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 168.

² - حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات دي سوسير"، ص: 124.

³ - دي سوسير، "محاضرة في الألسنة العامة"، ص: 169.

⁴ - حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات دي سوسير"، ص: 126.

⁵ - دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 169.

⁶ - ينظر: دي سوسير، "محاضرة في الألسنة العامة"، ص: 169.

وستتوقف هنا عند مفهوم النحو لدى دي سوسير، ومفهوم الصرف والتركيب وعلم المعاجم والعلاقة بين مختلف هذه المستويات لنرصد، بمد ذلك الدراسة الصوتية كما حددها دي سوسير. فما معنى النحو؟

يرادف النحو اللسانيات السكونية ووصف حالة لسان معينة، إذ أن هذه الحالات تحتوي على ما يمكن تسميته بالنحو، والنحو يفترض وجود نسق مكون من وحدات متعاصرة ومتلازمة. ولذلك فكل ما هو سانكروني في اللسان يتلخص، بشكل جيد في مصطلح "نحو"¹.

ويتضمن كل ما هو سانكروني، حتما موضوعاً مركباً ونسقاً يوظف القيم وهذا الموضوع هو اللسان بوصفه نسق وسائل تعبيرية تنسج فيما بينها شبكة من العلاقات المختلفة. فالنحو يعني إذن، وصف الأطراف اللسانية في سانكرونيته، وبالتالي في تلازمها وارتباطها ببعضها البعض².

أما الصرف، فهو العلم الذي يتناول الوحدات الصوتية المناسبة لجزء من الفكرة، كما يتناول تأليف هذه الوحدات اللسانية، لكن هل للوحدات الصرفية وجود واقعي؟ إن مظهرها الواقعي يتجلى ما تعيه إلى درجة ما، الذوات المتكلمة، باعتبارها وحدات دالة أصغر من وحدة الكلمة³.

إن الوحدة الصرفية، إذن: هي الوحدة الصوتية المناسبة لجزء من الفكرة أو الوحدة الصغرى الدالة. والصرف يدرسها من حيث الأشكال المختلفة التي تتخذها⁴.

وهكذا فكلما نظرنا إلى الأشكال المختلفة في حقبة واحدة فإن ما نقوم به لا يعدو أن يكون صرفاً. وإذا كان الصرف يهتم بالأصوات، فإنه لا يهتم بذلك إلا إذا كان الصوت حاملاً لفكرة⁵.

1- حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 125.

2- المرجع نفسه، ص: 125.

3- حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 127.

4- ينظر: عبد القادر عبد الجليل: "علم الصرف الصوتي"، سلسلة الدراسات اللغوية (8) أزمنا 1998م، ص: 31.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 32، 33.

وفيما يتعلق بعلم المعاجم، فإنه يمكن القول، واعتماداً على تحليل دي سوسير المتعلقة بالقيمة اللسانية والمحورين المركبي والترابطي. فعلى المستوى المركبي ندرس طاقات الكلمة في السلسلة الكلامية مع تنوعات الدلالة الناتجة عليها. أما على المستوى الترابطي فإننا ندرس الاستبدالات الممكنة. والقادرة على إنتاج دلالات متماثلة أو متعارضة¹.

هذه المستويات الثلاث، في رأي دي سوسير، ليست منفصلة عن بعضها البعض وأن الوهم التمييز بينهما، ومعنى ذلك أن تقسيمات النحو التقليدية، لا تناسب والتميزات الطبيعية².

ففيما يخص التركيب والصرف، يبدو أنهما متلازمين، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر، بل إن الصرف لا يمكن أن يشكل علماً ذا موضوع واقعي ومستقل، فهو مجال معرفي غير متميز عن التركيب. فالأشكال التي يدرسها الصرف متعلقة بالوظائف التي يدرسها النحو والعكس صحيح أيضاً، إن الأشكال الصرفية لا يمكن أن تصير وحدة استبدالية إلا بالنظر إلى الوظائف التركيبية التي تؤديها تلك الأشكال مثل: (الضرب، ضارب، مضروب...). وهذه الوظائف التركيبية لا تندرج في باب الصرف إلا حينما يناسب دليل صوتي محدد وظيفة محددة. وعليه، فكل وظيفة تركيبية وحدة صرفية مخصوصة.

ومن البديهي أن سوسير، من خلال نقده هذا التصور النحو التقليدي يدعو إلى دمج هذين الفرعين وصهرهما في علم واحد هو الصرف، تركيب الذي يعني بوصف قواعد البنية الداخلية للكلمات وقواعد تأليف المركبات في جمل.

ومن هذا الترتيب نستطيع أن ندرك أن كثيراً من مسائل الصرف لا يمكن فهمه دون دراسة الأصوات وبخاصة في موضوع كالأعلال والإبدال، كما أن عدداً كبيراً عن مسائل النحو لا يمكن

¹ - ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 149، وكذلك الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنيوية"، دراسة تحليلية إبستمولوجية، ص: 89، 90.

² - حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 127.

فهمه إلا بعد دراسة الصرف. وعلى ذلك يرى معظم اللغويين المحدثين درس النحو والصرف تحت قسم واحد، ويسمون النحو في هذه الحالة «Grammaire» على أن يشمل¹:

أ- الصرف.

ب- النظم.

وهذا الرأي يبنى على أساس صحيح لأن الصرف يشكل مادة ضرورية لدراسة النحو، ولناخذ مثلاً الجملة التالية: زيد قارئ كتاباً.

فأنت لا تستطيع أن تعرف موقع كلمة "كتاباً" إلا إذا عرفت أن كلمة قارئ اسم فاعل، أي أنك لا تعرف "الوظيفة النحوية". أي أنك لا تعرف الوظيفة النحوية لكلمة "كتاباً"، إلا بمعرفة البنية الصرفية قارئ، وهكذا².

أما فيما يخص علم المعاجم فإن دي سوسير يعترض على إقصائه من النحو، فالعلاقات بين الوحدات، والتي هي من باب الدراسة النحوية، يمكن أن يعبر عنها بواسطة الكلمات كما يمكن أن يعبر عنها بوسائل نحوية أخرى. معنى ذلك أن العلاقة بين الوحدات قد تؤديها الكلمات أو الوسائل النحوية، وأن الكلمات، بما هي وقائع معجمية، والوسائل النحوية، بما هي وقائع تركيبية، قد تقوم بنفس الوظيفة.

والخلاصة أن النحو في تصور دي سوس يشتمل الصرف والتركيب وعلم المعاجم، وأن هناك تداخل بين مختلف هذه الفروع³.

وإذا عدنا إلى الكيانات للمجردة في النحو، فإننا سنتبين أنها توضح ضرورة معالجة كل المسائل النحوية على مستوى المحورين: المركبي والترابطي.

¹ - المرجع السابق، ص: 127.

² - عبده الراجحي، "التطبيق الصرفي"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص: 08.

³ - حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 128.

أما بخصوص تصنيفات النحوي الواعية والمنهجية، فإنها تطابق ضرورة لمجموع الترابطات الواعية وغير الواعية. وتكمن وظيفة هذه التصنيفات في ترسيخ فصائل الكلمات والوحدات الاستبدالية والإعرابية والجذور واللواحق في أذهاننا، فتترابط الوحدات فيما بينها وتصل الترابطات بين فئة الأسماء وفئة الصفات وترسخ مفهوم أقسام الكلام¹.

كل هذه الأشياء تجد موقعاً لها في اللسان، بفضل تلك العلاقات، وهي لا توجد إلا ككيانينات مجردة لكنها مرتكزة على كيانات مجردة وعلى هذا الأساس يصح القول: إن المعنى والوظيفة لا يوجدان بدون دعامة مادية².

والواقع أن علماء العربية القدماء لم يفتصلوا بين النحو والصرف، ولا تزال كتب النحو القديمة منذ كتاب سيبويه تشمل العلمين معاً، ومن اللافت للنظر أن العالم اللغوي العظيم ابن الفتح عثمان جني قد أشار إلى أن يكون درس الصرف قبل درس النحو³، فقال في كتابه المنصف:

"فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكر، ورأيت بكراً، ومررت ببيكر، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة"⁴.

¹ - ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ص: 167، 168.

² - حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 129.

³ - عبده الراجحي، "التطبيق الصرفي"، ص: 08، 09.

⁴ - ابن جني، "المنصف في شرح كتاب التصريف المازني: تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين"، القاهرة، 1954م، ص: 04.

ومهما يكن من أمر فإن علماء العرب يحدّدون ميدان الصرف " بأنه دراسة لنوعين فقط من الكلمة هما: الاسم المتمكن والفعل المتصرف، ومعنى ذلك أنه لا يدرس الحرف ولا الاسم المبني ولا الفعل الجامد¹.

وبديهي أن هذا التعريف يخالف المفهوم التقليدي للنحو. فقد كان النحو يضم الصرف والتركيب معاً، في حين يقصي من دائرة بحثه علم المعاجم، لقد كان النحو هو العلم الذي يقوم بدراسة المقولات المختلفة للكلمات (أقسام الكلام) وكيفية تكوين الكلمات بواسطة تأليف الجذور والأشكال الإعرابية، وهذا هو العلم المسمى بعلم الصرف². وبموازاة مع ذلك كان النحو يقوم بدراسة كيفية تكوين الكلمات لمجموعة تركيبية ولجمل أي وضع القواعد المتحكمة في التأليف بين الكلمات، ومن ثم تحديد وظائف الوحدات اللسانية وهذا هو العلم المسمى بالتركيب. أما علم المعاجم وفق هذا التصور التقليدي للنحو فلم يكن مندرجاً ضمن النحو، أي يكن يعتبر مستوى لسانيا نسقياً³.

تشتدّ الوقوع التركيبية وجود وحدات ومتعاقبة. وعليه ، فالواقعة التركيبية مثديدة التلازم بالخاصية الخطية⁴. ولعل ما كان يهم دي سوسير في طرحه لهذه الخاصية هو درجة اهتمامه بالمظهر

1- عبده الراجحي، "التطبيق الصرفي"، ص: 09.

2- حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 125.

* - هذا التصور التقليدي للنحو هو الذي يحاربه دي سوسير في مقدمة كتابه "محاضرات في الألسنية العامة" بل وفي الفصل الأول بأتمه.

3- المرجع نفسه، ص: 126.

4- يقول دي سوسير: "ولكون الدالّ ذا طبيعة سمعية فإنه يمتد في الزمن فحسب، متمتعاً بصفاته: 1- أنه يمثّل اتساعاً، 2- أنه يمكن قياسه على بعد واحد، إنه الخطّ (دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 92) ليس الدليل اللغوي وركيزته المادية (الصوت) إلاّ بعداً واحداً هو بعد خطّ الزمن فهو يتسلسل عند احداثه تسلسل الزمن في خط واحد أفقي نسميه في اصطلاح أهل الاختصاص مدرج الكلام (خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 22).

النحوي، وذلك أن رتبة الوحدات لا تتمتع بالحرية، وإنما تخضع لمجموعة من القيود ولا يقتصر اهتمام دي سوسير على الوحدات فقط، وإنما ينسحب على رتبة الوحدات الفرعية¹.

وفي هذا الصدد، يرى دي سوسير أن مسألة رتبة الوحدات الفرعية في الكلمة تتعلق بالتحديد، بمسألة موقع الكلمة في الجملة. إن المقصود هو التركيب حتى في الوقت الذي يتعلق فيه الأمر باللواحق إنه نوع آخر من التركيب إلا أنه واحد في جوهره وكل تركيب يعود إلى مبدأ أولي وهو الخاصية الخطية للسان. فلا يمكنني أن أجسد الكلمة إلا بواسطة خطّ مكون من أجزاء متعاقبة سواء حصل ذلك في الداخل، أي في الدماغ أم في الكلام. وأرى أن هنالك ترتيبين، في المجال معاً، يناسبان نظامي العلاقات فمن جهة هناك نظام خطائي، وهو بالضرورة نظام وكل وحدة في الجملة أو في الكلمة ثم هناك نظام آخر وهو النظام الحدسي، وهو عبارة عن نظام الترابطات التي لا توجد في النسق الخطي، لكن الذهن يلمُّ بها فوراً².

وبذلك يتضمن التركيب التركيبي الداخلي للكلمة وتركيب الجملة، أي نوعين من التركيب يشكّلان تركيباً واحداً بحكم ارتباط التركيب بالخاصية الخطية للسان. ويرتبط التركيب بالمحورين المركبي والترابطي متلازمين، ومعنى ذلك أنه لا يمكننا أن نتصور التركيب خارج هذين النوعين من العلاقات.

المعالم الوظيفية عند سيوييه:

لقد جمعت المؤلفات الأولى مختلف المسائل المتعلقة بلغة العرب ولو أخذنا كتاب سيوييه فإننا نجده يشتمل على مباحث مختلفة تتواكب على التركيب والأصوات والصرف والدلالة مقحماً بعضها

¹ - ينظر: دي سوسير، "محاضرات في الألسنية العامة"، ص: 92.

² - حنون مبارك، "مدخل إلى لسانيات سوسير"، ص: 126.

في بعض¹، كما أنه جمع مختلف أصول النحو المبدئية كأقسام الكلام والإعراب والعمل والإسناد والمواضع الوظيفية، وصلة اللفظ بالمعنى وما يطرأ على الكلام من (مواضع) واستقامة وإحالة، وما يتولّد عن إجراء العناصر المعجمية في التعلّق من دلالات نحوية مقولية ومقامية². وقد تناول هذه المباحث في سبعة أبواب هي:

- (1) هذا باب علم ما الكلم من العربية.
- (2) هذا باب مجاري أواخر الكلم.
- (3) هذا باب المسند والمسند إليه.
- (4) هذا باب اللفظ للمعاني.
- (5) هذا باب ما يكون من اللفظ من الأعراض.
- (6) هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة.
- (7) هذا باب ما يحتمل من الشعر³.

والجدير بالملاحظة أنّ النظرية النموذجية الماثلة في الأبواب السبعة قائمة على ثلاث مكونات هي: "المكون المعجمي القاعدي، والمكون العملي والمكون الدلالي"⁴، وترتدّ هذه المكونات إلى الباب الأول (أقسام الكلام) ولاشكّ أنّ الوظيفة تدفعنا إلى ربط الصلة بين أقسام والمكونات الأساسية السابقة من جهة، وبين مقاصد الكلام من جهة أخرى، فالأفعال والأسماء مكونات معجمية أساسية تعمل على إنشاء التركيب، وتسهم في إثرائه وتوسيعه، ثم يظهر المكون العملي ليفتح علاقة الربط بينه وبين مكونات التركيب الأخرى التي تعمل على إنتاج الدلالة⁵.

¹ - فؤاد بوعلوي، "الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي"، ص: 43.

² - المنصف عاشور، "ملاحظات في رسالة سيويه (مقدمة لأصول النحو النظرية)"، حوليات الجامعة التونسية، تونس، عدد 46، 2002، ص: 549.

³ - سيويه، "الكتاب"، ج 1، ص: 12-26.

⁴ - المنصف عاشور، "في نظرية العامل النحوي وبنية الجملة العربية"، مجلة دراسات لسانية، مجلد 01، 1996، ص: 40.

⁵ - المنصف عاشور، "ظاهرة الاسم في التفكير النحوي"، منشورات كلية الآداب، منوبة- تونس، ط 2، 2004، ص: 39.

1- أقسام الكلام (المكون المعجمي):

إنَّ المجال الذي تتحرك فيه مقاصد الكلام يشتمل على ثلاثة عناصر: الاسم، الفعل والحرف، وهي وحدات متميزة ومتكاملة إذ تجمع معاني الكلام عن العاقل وغير العاقل، فتحدد سببويه لهذه الوحدات كان في غاية التجريد والشكلنة.

فقد مثل للاسم بثلاث مسميات تدلّ على ما في الكون من أشكال يمكن وصفها وهي: (رجل/ إنسان)، و(فرس/ حيوان)، و(حائط/ جماد)، فالأقسام أحداث لغوية من إنجاز المتكلم¹ تفضي إلى التمييز بين المعاني المختلفة، وضبط أنواعها وخصائصها، ويتجلى هذا في تصنيف سببويه الذي يبين لنا مفهوم الفعل من خلال بيان وظائفه، يقول: «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»².

فالفعل يشتق من الاسم ويحتاج إليه في التركيب لإنجاز الكلام، إذ يضيف إلى الحدث زماناً ويوجهه ثلاث جهات ماض وحاضر ومستقبل، وهو يجمع بين البناء والإعراب، إذ أنه بنية تجمع في وظيفتها بين خصائص الحرف من جهة البناء وخصائص الاسم من جهة الإعراب.

والحرف يقاسم الأسماء والأفعال في البناء، بحيث تكون الأنواع الثلاثة أقواس متداخلة تملأ دائرة الحيز اللغوي³، وترسم التشابك القائم بين المجاري الثمانية، وتوزع هذه المجاري لتشكيل نماذج تركيبية متناسقة؛ فالضم والفتح والكسر جريان في الحروف، وبعض الأسماء والأفعال، والنصب والرفع والجر جريان في الأسماء وهي من علاماتها على الرغم من تشابكها وتفرعها فهي تنتظم في وظائف لتحقيق هدفاً واحداً وهو قصد المتكلم⁴.

1- المنصف عاشور، "ظاهرة الاسم في التفكير النحوي"، ص: 39.

2- سببويه، "الكتاب"، ج1، ص: 12.

3- فخر الدين قباوة، "تحليل النص النحوي"، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 1997، ص: 85.

4- ينظر: إدريس مقبول، "الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سببويه"، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006، ص: 287.

يتبين من هذا أن سيبويه يأخذ الاستعمال اللغوي ثم يجرده باعتماد قواعد ضابطة، وعلى هذا جاءت أحكامه على نوعين: حكم الأصل نحو: علامات الإعراب والبناء، إعراب الاسم والفعل المضارع، وحكم الفرع المحمول على الأصل نحو: حمل فعل الأمر على الأسماء المبنية، وحمل الفعل المضارع على الأسماء في الإعراب.

2- الإعراب من منظور وظيفي:

الحركة الإعرابية إجراء شكلي وظيفي، فهي تبث المعنى وتراقبه في البنية التركيبية، وتنظم هندسة الكلم من وصل وفصل، وتما ونقصان إنما الحدّ الفاصل بين المبنيات والمعربات، وهي أيضا تتميز بين التراكيب اللازمة والمتعدية...¹

وحيثما يقف سيبويه على هذه الحركات التي سماها: "باب مجاري أواخر الكلم"، ويجعل منها ثمانية مجاري، فذلك عمل في غاية الدقة، يوحي بالوظيفة؛ إذ أن المعاني اللامتناهية محصورة في هذه الحركات المنتهية. وترتدّ هذه الحركات إلى باب العامل الذي تعمل في إطاره يقول سيبويه: «وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يدخل فيه العامل وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل»².

فالعلاقة بين العامل والحركة علاقة (تأثير/ تغيير) في المعربات، التي تُوحي بأن الوحدة الوظيفية هنا متحولة عن وظيفتها، والمبدأ هنا مبدأ طبيعي مفاده ثنائية الثابت والمتحول، فالمعرب متغير في وظيفته وتغير بذلك حركته، أما المبنى فإن الأمر يختلف فيه حتى وإن تغيرت الوظيفة، فالحركة ثابتة معه، فاللغة العربية من اللغات التي يتحتم فيها التمييز بين الحركة الإعرابية والعلامة الإعرابية، بين الرفع والضم وبين النصب والفتح وبين الجر والكسر، والذي يفرض (التمييز) أن الحالة الإعرابية لا تتحقق

¹ - ينظر: دليلة مزوز، "المنحى الوظيفي في رسالة سيبويه"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد7، جوان 2010، ص:4-5.

² - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص:13.

دائماً في شكل العلامة الإعرابية المتوقعة لجمع المؤنث السالم في حالة النصب، وأنها لا تتحقق إطلاقاً (كما هو الشأن فيما يسمى الاسم المقصور مثلاً)¹.

فالتقسيم الثنائي الذي أكد عليه سيبويه جاء مطابقاً للوظيفة التي أقرت بنوعين من الإعراب هما: الإعراب الوظيفي والإعراب البنيوي².

فالإعراب إذاً في نحو سيبويه ارتبط بالوظائف الدلالية؛ فالعنصر الوظيفي يأخذ إعرابه بالنظر إلى وظيفته لا إلى موقعه، فالفاعل يكون مرفوعاً سواء تقدم أو تأخر نحو:

1. كتب محمد مقالة.

2. محمد كتب مقالة.

3. كتب مقالة محمد.

فالوظيفة الإعرابية مرت بمرحلة تشكّل، منطلقها النوايا الكامنة في النفس (نفس المتكلم) فتدور حلقات التأليف والتحليل من أصغر الأشكال النووية إلى أكبرها، من المركب المقطعي إلى المركب الإسنادي وتنقل وجوه النواة من المتكلم إلى كلامه ومن كلامه إلى مفرداته وكلماته وحروفه وحركاته وتتولّد النواة من الكلام مختزلة مكررة في نفس الوقت³.

3- المسند والمسند إليه تركيب وظيفي:

يعتمد سيبويه على الوظيفة في اختياره لهذين المصطلحين الذين يبنآن عن وظيفتهما التركيبية والدلالية، فالمسند والمسند إليه عقد تتأسس به الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وهما عنصران متلازمان لتحقيق الكلام المفيد، "وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بد"⁴.

1- أحمد المتوكل، "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد"، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص: 98.

2- أحمد المتوكل، "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد"، ص: 98.

3- المنصف عاشور، "مظاهر من الاختزال والتكرار في النظام النحوي"، مجلة دراسات لسانية، المجلد 04، 2002، ص: 21.

4- ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 23.

ويضيف السيرافي في شرحه قائلاً: «فيه أربعة أوجه أجودها وأرضاها أن يكون المسند معناه الحديث والخبر والمسند إليه المحدث عنه وذلك على وجهين: فاعل وفعل كقولك: قام زيد، وينطلق عمرة واسم وخبر كقولك: زيد قائم وإن عمر منطلق، فالفعل حديث عن الفاعل والخبر حديث عن الاسم، فالمسند هو الفعل، وهو خبر الاسم، والمسند إليه هو فاعل، وهو الاسم المخبر عنه»¹.

ففي حديث سيويه عن المبتدأ نلاحظ شدة احتياج العنصر الأول إلى الثاني يقول: «المبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد والنكرة قبل المعرفة»².

ويرتبط هذا الكلام ذو البعد الوظيفي بما قاله "أندري مارتينييه" André Martinet في حديثه عن التركيب الإسنادي الذي وصفه بأنه: «أصغر قول لا بد أن يشتمل على عنصرين يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشد الانتباه إليه ونسميه المسند إليه ويشير الآخر إلى مشارك إيجابي أو سلبي ونسميه المسند، ويكون تقويم دوره أيضاً على هذا الأساس»³. فالإسناد أن يخبر بكلمة أو أكثر عن أخرى⁴.

إن تأكيد سيويه على قوة التعلق بين المبتدأ والخبر جعلته يصطلح على الخبر بالمبني عليه، لأنه به يعقد الكلام، ولا تستقيم الجملة الاسمية إلا به وأفضى هذا التلازم إلى تشبيهه بالعلاقة بين الجار والمجرور والفعل والفاعل، يقول: «المبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه، فقد عمل هذا في ما بعده كما يعمل الجار والفعل فيما بعده»⁵.

فالربط الوظيفي بين الخبر والفعل جاء لبيان وظيفة العامل ورتبته، كما عرض لمصطلحات امتزج فيها المدلول اللغوي والمعنى الصناعي النحوي وأعطى رؤية دقيقة للإسناد والمحل الإعرابي وحيز الخبر

1- السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، تح: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990، ج2، ص:59.

2- ينظر: سيويه، "الكتاب"، ج1، ص:24.

3- أندري مارتينييه، "مبادئ للسانيات العامة"، تر: أحمد الحموي، وزارة التعليم العالي، دمشق، د.ط، 1989، ص:124.

4- ابن الحاجب، "شرح الكافية"، ج1، ص:08.

5- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص:78.

الذي تشغله كل أنواع المفردات والمركبات من الكلمة الواحدة إلى التركيب الإسنادي، وهذا ما أقرت به الوظيفة وجعلته معياراً مهماً في العملية الإسنادية، يقول مارتينييه: «الأفعال مونيما متخصصة في التوظيف الإخباري»¹، وأنها ليست لها وظائف أخرى غير الوظائف الإخبارية². فالرفع في الاسم يحدثه الفعل "لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرعته له"³.

فقوة الفعل ولدت أنماطاً كثيرة في اللغة العربية، منها:

- فعل + فاعل + مفعول به ← نحو: فتح طارق الأندلس⁴.
- فعل + فاعل + مفعول به 1 + مفعول به 2 ← نحو: أعطيتك كتاباً⁵.
- فعل + فاعل + مفعول به 1 + مفعول به 2 + مفعول به 3 ← نحو: أعلمت زيدا عمرا
فاضلاً⁶.

وبتحويل البنية مع تغيير الوظيفة في المبني للمجهول: تنضاف أنماطاً أخرى وهي:

- فعل مبني للمجهول + نائب فاعل ← نحو: ضرب زيد⁷.
- فعل مبني للمجهول + نائب فاعل + مفعول ثان ← نحو: أعطي الفقير صدقة.
- فعل مبني للمجهول + نائب فاعل + مفعول ثان + مفعول ثالث ← نحو: أعلم الكافر
محمدًا نبياً مسلماً.

وبالتالي، فالموقع الذي يحتله الفاعل مع فعله المتعلق لا يمكن أن يتوقف عند شكل واحد، بل يتعداه إلى عدد من المرفوعات أهمها نائب الفاعل والنواة المتحركة هنا هي الصيغة التي يكون عليها

1- أندري مارتينييه، "مبادئ للسانيات العامة"، ص: 140.

2- المرجع نفسه، ص: 140.

3- ينظر: الاسترأبادي، "شرح كافية ابن الحاجب"، ج1، ص: 61. وكذلك: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 33.

4- مصطفى الغلاييني، "جامع الدروس العربية"، ص: 30.

5- المرجع نفسه، ص: 31.

6- ابن هشام الانصاري، "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، دار احياء التراث، لبنان ط1، 1422هـ، 2001م، ص: 197.

7- ابن اجروم، شرح المقدمة الاجرومية، شرح محمد صالح العثيمين، ط2، 1434هـ، 2013م، ص: 192.

الفعل. فدلالة نائب الفاعل تتحقق بمراحل التحويل الذي يمر بها التركيب من حذف ونقل وتعويض، فهذا المعنى الوظيفي رهين نوع المعنى الذي يختزن في الفعل العامل¹.

إنَّ الشيء الذي يتبين لنا من تحليل سيبويه للبناء للمجهول هو أنَّ الحيز بعد الفعل يكون مرفوعاً دائماً حتى وإن كان مفعولاً في المعنى، وبهذا تفتح أمام الجملة الفعلية تعدد الوظائف للمكون الواحد، وهي الحالة الوحيدة التي يرتدّ فيها المفعول به من حيز ثالث إلى حيز ثان ويخترق مجال الإسناد ليملاً الشَّغور وهو نموذج هام من نماذج اللزوم².

لاحظ سيبويه أنَّ التركيب المبني للمجهول يحقق باختزال الفاعل الحقيقي اتساعاً في المعنى وضرب لنا أمثلة عن نيابة المفعول المطلق نحو: "سير عليه سير شديد، وضرب به ضرب ضعيف وضرب به ضربتان، وسير عليه سירתان... فجرى على سعة الكلام والاختصار"³. وهو بهذا يفسر لنا بناء التركيب الإسنادي في استعمال المرفوع بعد الفعل المبني للمجهول، وهذا حديث عن وظيفة العنصر اللغوي في التركيب.

وتناول سيبويه في مقدمات كتابه، عن درجات مقبوليات الكلام، فقد ذكر "أنَّ الكلام منه ما هو: مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال الكذب"⁴، وتعكس كل صفة من هذه الصفات جانبا من جوانب الكلام التركيبية (صورة التأليف الجائزة)، أو الدلالية أو التداولية، يدلُّك على هذا التمثيل، الذي قدّمه سيبويه لكل صفة؟، فأما المستقيم الحسن، فقولك: (أتيتك أمس) و(سأتيك غدا)، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فنقول: (أتيتك غداً) و(سأتيك أمس)، وأما المستقيم الكذب، فقولك: (حملت الجبل) و(شربت ماء البحر) ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: (قد زيداً رأيت) و(كي زيداً يأتيك)،

1- المنصف عاشور، "ظاهرة الاسم في التفكير النحوي"، ص: 362.

2- عبد القادر الفاسي الفهري، "المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1999، ص: 133-134.

3- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 229.

4- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 52.

وأشبه ذلك، وأما المحال الكذب فأن تقول: (سوف أشرب ماء البحر)¹، فالمستقيم ما توفرت فيه الصحة التركيبية وعدم التناقض الدلالي، أما قيمة "الحسن فنتاجه عن صدقية الخبر من الناحية العقلية وإمكانية تحققه"² في الواقع، والمحال كما هو موضح من الأمثلة التي أوردتها سيبويه ومن تعليقه عليها كلام ينقض بعضه بعضاً من حيث الدلالة، يقول السيرافي: «إن المحال هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادات، وقولنا: إن القعود والقيام اجتماعهما محال، إنما نريد به الكلام الذي يوجب اجتماعهما محال، قد أحيل عن وجهه»³، ولأنه محال تتناقض فيه الدلالات (الماضي مع المستقبل) لم يلتفت سيبويه إلى صحته التأليفية، وهذا معناه عدم إمكانية فصل دلالة الجملة عن علاقاتها التركيبية التجريدية "وما دام مثل هذا القول غير كائن ولا يتصور وجوده في الاستعمال اللساني العربي لمناقضته بديهية العقل والواقع التواصلية، فإن تقديم وصف نحوي له أمر غير ذي جدوى، لأن الكلام لا يرجى منه تأدية المعاني التي تحدد وجوده اللفظي وشكله المتحقق"⁴.

وإذا سلم الكلام من التناقض فهو المستقيم، لكنه لا يكون حسناً إذا كان مخالفاً للواقع بل يكون كذباً، أي مستقيم كذب، أورد السيرافي أن سيبويه إنما خص (حملت الجبل) و(شربت الماء البحر) بالكذب لأن ظاهرهما يدل على كذب قائلهما قبل التصريح والبحث، وإلا فكل كلام تكلم به، وكان مخبره على خلاف ما يوجبه الظاهر فهو كذب، علم أو لم يعلم، كقول القائل: (لقيت زيدا اليوم) و(اشترت ثوباً)، إذا لم يكن الأمر على ما قال فهو مستقيم كذب"⁵، ويصطلح أحد الباحثين

¹ - المرجع نفسه، ج1، ص: 52.

² - فؤاد بوعلي، "الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي"، ص: 339.

³ - أبو الحسن السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، لبنان، دار الكتب العلمية، 2008، ج1، ص: 186.

⁴ - فؤاد بوعلي، "الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي"، ص: 34.

⁵ - أبو الحسن السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج1، ص: 187.

المعاصرين على صفة الكذب التي اتسم بها الكلام مع صحته دلالةً وتركيباً باللحن التداولي، لأن فيه تنخرط شروط المطابقة بين النسبة الكلامية، والنسبة الواقعية الخارجية والنسبة العقلية¹.

أما إذا كان الكلام محافظاً على "محددات العلاقة الإسنادية للجملة من فعل وفاعل ومفعول لكنه على مستوى التركيب يخرق قاعدة نحوية لا تحيز الفصل بين (قد) والفعل، وهو ما عبر عنه سيوييه بأن تضع اللفظ في غير موضعه"²، فإنه يكون مستقيماً قبيحاً، ولم يصل إلى درجة اللحن لكن ترتيب ألفاظ العبارة فيها اضطراب، وقد أورد السيرافي أن "المستقيم من طريق النحو هو ما كان على قصد سالماً من اللحن، فإذا قال: (قد زيداً رأيت)، فهو سالم من اللحن، فكان مستقيماً من هذه الجهة، وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فكان قبيحاً في هذه الجهة"³. وبناء عليه، فالمستقيم يعني شيئين: 1-الصحة التأليفية؛ 2-عدم التناقض بين ألفاظ الكلام، فإن كان متناقضاً فهو المحال، وإذا أضيفت إلى هذه الإحالة عدم مطابقته للواقع فهو كذب، وهو النوع الأخير الذي سماه سيوييه بالمحال الكذب.

ويمكن بعد هذا العرض أن نسجل مجموعة من النقاط تخدم ما نصبو إليه:

(أ) يركز الحكم على عبارة ما عند سيوييه على استحضر مختلف الروافد المسهمة في إنتاجها وبناءها من معنى مستفاد من مجموع دلالات ألفاظ العبارة، ومن واقع متحدث عنه يعكس في الكلام المتلفظ به، ومن تضام وتأليف بين وحدات الملفوظ وفق قواعد مضبوطة تتوافق وما يجيزه نظام اللغة المتكلم بها.

(ب) يرى سيوييه بتبعية البنية للوظيفة، يدلّك على هذا ما ذهب إليه من أن الكلام إذا كان مستحيل التحقق في الواقع العيني (ليس مما يتكلم به لأنه لا معنى له دقيق بعكسه)، فإنه لا معنى

¹ - إدريس مقبول، "الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه"، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2006، ص: 281.

² - فؤاد بوعلي، "الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي"، ص: 34.

³ - أبو الحسن السيرافي، "شرح كتاب سيوييه"، ج 1، ص: 187.

لوصفه بالنحوية أو بالمقبولية القاعدية (المحال) لأنه تأليف غير وارد، وكذا وصفه الذي لا يطابق الواقع بالكذب، فالمعنى مشروط وسابق على التأليف، والواقع سابق ومشروط للحكم على عبارة ما بالحسن، وهذا يعني أن التأليف الوارد هو التأليف الذي تعكسه جوانب دلالية وتداولية.

(ت) اعتقاد سيبويه المطلق بأن عمله التنظيري مؤسس على الاستعمال العربي، وكل قوانين الكتاب وقواعده مؤسسة على المادة اللغوية المتبادلة بين العرب، وليست تقعيدياً لأشكال مفترضة، بل مشتقة من الواقع اللغوي العربي¹.

توزيعه الحركة الإعرابية اعتماداً على الوظيفة التداولية، فمن المعلوم أن الحركة الإعرابية تعدّ عنصراً من عناصر البنية قد تعكسها وظيفة تركيبية (الفاعل، المفعول....) أو دلالية (الحال، التمييز...) أو تداولية (الدلالية المقامية المراد تبليغها)، وقد لا تعكسها وظيفة من الوظائف السابقة، وقد تنبه النحاة العرب المتقدمون إلى هذه الحقيقة فلجئوا إلى معيار لا يتخلف مطلقاً سواء وجدت الوظيفة أم لم توجد هذا المعيار هو العامل، لكنهم لم يغفلوا التنبيه إلى دور الوظيفة في توزيع الحركة الإعرابية، فيوردون أن سبب رفع كلمة أو نصبها أو جرّها هو كونها فاعلاً أو مفعولاً أو حالاً أو صفة... لكن في مقابل هذا، قل من حاول استحضر دور المقام في توزيع الحركة الإعرابية، وخصوصاً النحاة المتأخرين (ابن مالك، ابن هشام...) خلافاً للنحاة المتقدمين، وأبرزهم إمام النحاة سيبويه، حيث يجد المطلع على كتابه لفتات متميزة ربط فيها بين اختيار الحركة الإعرابية وبين الفرض أو المقصد والمقام فمن ذلك:

- ذكره في (هذا الباب يختار فيه الرفع) الفرق التداولي بين أن تصل الكلمة حركة الرفع، وبين أن تحمل حركة النصب وأمثلة ذلك:

أ²- له علم علم الصالحين

أ¹- له علم علم الفقهاء

¹- ينظر: فؤاد بوعلي، "الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي"، ص: 341.

ب1- له رأي رأي الأصلاح

ب2- له رأي رأي الأصلاح

ج1- له حسب حسب الصالحين

ج2- له حسب حسب الصالحين

حيث لم يكتف سيويه بتوجيه الوظيفة النحوية عندما يكون (علم، رأي، حسب) منصوباً أو مرفوعاً، بل تجاوزه إلى استحضر المقام الذي تقال فيه المرفوعة، والمقام الذي تقال فيه منصوبة.

فالرفع على جمل هذه الصفات كالحصل الثابتة المستقرة للشخص الذي أسندت إليه، أما النصب فعلى جعلها طارئة عارضة لم تستقر عنده ولم تصر له كالجلبة الثابتة التي تفارقه، يقول سيويه: «وإنما كان الرفع في هذا الوجه، لأن هذه الحاصل تذكرها في الرجل، كالحلم والعقل والفضل، ولم ترد أن تخبر بأنك مررت برجل في حال تعلم ولا تفهم، ولكنك أردت أن تذكر الرجل بفضل فيه، وأن تجعل ذلك خصلة قد استكملها... لأن هذه الأشياء وما يشبهها صارت تحلية عند الناس وعلامات»¹، فهذه الصفات صارت علامة معروفة فيه عند الناس، وبذلك فالإخبار بها عنه إخبار بما قد استقر فيه قبل رؤيته، وقبل سمعه منه، أو رآه بتعلم، فاستدل بحسن تعلمه على ما عنده من العلم، ولم يرد أن يخبره أنه إنما بدأ في علاج العلم في حال لقيه إياه، ولأن هذا ليس مما يثنى به، وإنما الثناء في هذا الموضع أن يخبرها بما استقر فيه، ولا يخبر أن أمثل شيء كان فيه التعلم في حال لقائه²، فهذا المدلول الأخير تدل عليه حركة النصب لا حركة الرفع؛ قال سيويه: «إن شئت نصبت فقلت (له علم علم الفقهاء) كأنك مررت به في حال تعلم وتفقه، وكأنه يستكمل أن يقال له عالم»³.

- توجيهه للمخالفة بالنصب في بعض الأساليب على التعظيم والمدح، أو على الذم والشتم، من أمثلة ذلك نصب (المقيم الصلاة) في قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم

1- سيويه، "الكتاب"، ج 1، ص: 428.

2- المرجع نفسه، ج 1، ص: 428.

3- المرجع نفسه، ج 1، ص: 428.

الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً» [النساء: 162]، ونصب (الصَّابِرِينَ) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [البقرة: 177]، وهو نصب مخالف لما عليه شرح الكلام، والرفع فيهما جائز جيد، كما قال سيبويه¹.

لكن هناك خصوصية تداولية في نصبه، وهو "أنك لم ترد تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتنظيماً"²، فالله جلي وعلى يريد أن يثني على المقيمين الصلاة ويريد أن يمدح الصابرين، ولذلك جاءت الحركة مخالفة تنبيهاً لهذا الفرض.

ومن أمثلة ذلك من غير القرآن مما هو محمول على الشتم والذم، يدل المدح والثناء شاهد ذكره سيبويه، منسوب لأمية بن أبي عائن يقول فيه: «ويأوي إلى نسوة عطّل*** وشعتاً مراضيع مثل السعالي»، ومن أمثلته كذلك قول القائل: (أتاني زيد الفاسق الخبيث)، ذكر سيبويه معلقاً على الشاهد، أن الأمر "كأنه حيث قال: «إلى نسوة عطّل» صرّ عنده ممن علم أنهم شعث، ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهم وتشويهاً"³. وقال عن المثال: لم ترد أن يكرره ولا يعرفك شيء تنكره، ولكنه شتمه بذلك⁴، فالأمر ليس محمولاً على تخصيص أو تحديد كما هو الشائع في الصفات لكنه محمول على غرض التشنيع والذم وهو يقابل مفهوم الوجه في نظرية النحو الوظيفي.

وقبل أن ننهي الحديث عن ما سماه إدريس مقبول بالإعراب التداولي⁵، نلفت النظر إلى قضية تداولية مهمة يبنى عليها المدح والتعظيم، وهي أنه ليس كل موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة

1- المصدر نفسه، ج 2، ص: 28.

2- سيبويه، "الكتاب"، ج 2، ص: 61.

3- المصدر نفسه، ج 2، ص: 61.

4- المصدر نفسه، ج 2، ص: 65.

5- إدريس مقبول، "الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه"، ص: 287.

يحسن أن يعظم بها، لو قلت: (مررت بعبد الله أخيك صاحب الثياب أو البراز)، لم يكن هذا مما يعظم به الرجل عند الناس ولا يفخم به، وأما الموضع الذي لا يحسن فيه التعظيم فأن تذكر رجلاً ليس بنبيه عند الناس، ولا معروف بالتعظيم ثم تعظمه كما تعظم النبيه، وذلك قولك: (مررت بعبد الله الصالح)، فإن قلت: (مررت بقومك الكرام الصالحين) ثم قلت: (المطعمين في المحل) جاز، لأنه إذا وصفهم صاروا بمنزلة من قد عرف منهم بذلك، وجاز له أن يجعلهم كأنهم قد علموا¹، فالإتيان بالتعظيم مشروط بأن تكون الصفة مما يقبل التعظيم، وأن تكون هذه الصفة معروفة عند الناس في المعظم. من صور ربط سبويه بين البنية والوظيفة توجيهه لحكم الإلغاء (ظن وأخواتها) وإعمالها توجيهاً تداولياً، يستحضر فيه المتكلم وما يريد أن يبلغه، فبعد أن أورد مختلف صور الإلغاء والإعمال التي تُجيزها اللغة العربية نبه إلى أنه "كلما أرت الإلغاء فالتأخير أقوى"²، ومرجع هذا وعلته حسب سبويه: «لأنه إنما يجيء بالشك بعدما يمضي كلامه على اليقين، أو بعدما يتدئ وهو يريد اليقين، ثم يدركه الشك، كما تقول: (عبد الله صاحبك، ذاك بلغني)، وكما يقول: (من يقول ذاك تدري)، فأخر ما لم يعمل في أول كلامه، وإنما جعل ذلك فيما بلغه بعدما مضى كلامه على اليقين وفيما يدري، فإذا ابتدئ كلامه على ما في نيته من الشك أعمل الفعل، قدم أو أخر، كما قال: (زيداً رأيت ورأيت زيداً)³، فيقدم الإلغاء إذا كان الشك طارئاً على ما يراد الإخبار عنه، والإعمال مقدم إذا كان الشك في ذهن المتكلم مربوطاً بما يراد الإخبار عنه، ويظهر تقديم الإلغاء جلياً إذا ورد الشك مؤخراً لأن في تأخيره زيادة تأكيد على أنه طارئ».

ركز سبويه على بيان الوظيفة التداولية للبدل، وعلى حسبه إما انتباه المتكلم لنفسه من أن بعض الكلام يحتاج إلى إضافة محددة تبين جزئية جزئيات الكلام، وإما توسم المتكلم سؤالاً من المخاطب عن جزئية من جزئياته، فمن الأول ما أورده في باب (من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل

¹ - سبويه، "الكتاب"، ج2، ص:64.

² - سبويه، "الكتاب"، ج1، ص:175.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص:186.

مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول)، حيث ذكر أن سبب إيراد البدل في قوله: (رأيت قومك أكثرهم) و(رأيت بني زيد ثلثيهم) و(رأيت بني عمك ناساً منهم) و(رأيت عبد الله شخصه) هو أن يتكلم فيقول: (رأيت قومك)، ثم يبدو له أن يبين ما الذي رأى منهم فيقول: (ثلثيهم) أو (ناساً منهم)¹، ومن الآخر توجيهه قول من قال: (مررت برجلين مسلم وكافر)، قال سيبويه: "وإن شئت كان المسلم والكافر بدلاً"، كأنه أجاب من قال: بأي ضرب مررت؟²، والأمر نفسه مع مثال آخر هو: (مررت برجل عبد الله) ف"كأنه قيل له: بمن مررت؟، أو ظن أنه يقال له ذلك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه³.

– التقديم والتأخير بين أجزاء الكلام عند سيبويه يعكسه الغاية والمقصد الذي يتغيها المتكلم بكلامه، ويجد المطلع على هذه الأفكار التي عالجها سيبويه أنها كانت بذرة متميزة رعاها عبد القاهر الجرجاني فيما بعد وطورها في كتابه "دلائل الإعجاز"، من صور التقديم والتأخير التي عالجها تقديم الاسم أو الفعل بعد أداة الاستفهام وما يستتبعه من وظائف تداولية تعكس تلك البنية؛ مثال ذلك قولنا: (أزيد عندك أم عمرو – أزيدا لقيت أم بشرا)؛ حيث قدم المبتدأ على الخبر في المثال الأول، وقدم المفعول على فعله في المثال الثاني، ولو قدم الخبر على المبتدأ فقول: (أعندك زيد أم عمرو؟) أو قدم الفعل على مفعوله فقول: (ألقيت زيدا أم بشرا؟) لكان عربياً جائزاً حسناً، لكن البنية الأولى محسوم في أن المسؤول عنه هو الاسم؛ يقول سيبويه: «واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى، فتقديم الاسم أحسن، لأنك لا تسأله عن اللقى، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو، فبدأت بالاسم لأنك تقصد قصد أن يبين لك أي الاسمين عنده، وجعلت الآخر عديلاً للأول وصار الذي لا تسأل عنه بينهما»⁴، ولا شك في أن الذي لا يسأل عنه في هذين المثالين هو العندية واللقاء، لأن هذين الأمرين معلومان عند السائل، فقد علم أن ثمة أحداً عند المسؤول، وأنه قد حدث لقاء معه، لكنه لا

1- المصدر نفسه، ج1، ص:205.

2- المصدر نفسه، ج1، ص:496.

3- المصدر نفسه، ج1، ص:12.

4- سيبويه، "الكتاب"، ج3، ص:193.

يعلم أهو من زيد أم عمرو، فإذا كانا (اللقاء والعندية) مجهولين حسن تقديمهما على الاسم، فالذي يلي أداة الاستفهام عادة هو المسؤول عنه؛ يقول سيبويه: «وتقول: (أضربت زيدا أم قتلته؟) فالبدء بالفعل ههنا أحسن، لأنك إنما تسأل عن أحدهما، لا تدري أيهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما، فالبدء بالفعل هاهنا أحسن، كما كان البدء بالاسم ثم أحسن فيما ذكرنا، كأنك قلت: (أيُّ ذاك كان بزيدا؟) وتقول: (أضربت زيدا أم قتلته زيدا؟) لأنك مدع أحد الفعلين، ولا تدري أيهما هو، كأنك قلت: (أي ذاك كان زيدا)»¹.

في باب (باب آخر من أبواب أو) يفرق بين النوعين الجملتين الآتيتين:

- أ1- ألقيت زيدا أو عمرو أو خالدًا أ2- أزيدا لقيت أو عمرو أو خالدًا
ب1- أعندك زيد أو عمرو أو خالد ب2- أزيد عندك أو عمرو أو خالد

على أساس أن السؤال في النوع (أ) موجه إلى الفعل أو الخبر، وليس فيه ادعاء لقاء أو عندية، بخلاف جملي النوع (ب) حيث يتوجه السؤال إلى شخص من الأشخاص الثلاثة لا يدري أيهم كان منه لقاء أو أيهم عند زيد، قال سيبويه: «تقول: (ألقيت زيدا أو عمرو أو خالدًا) أو تقول: (أعندك زيد أو خالد أو عمرو)، كأنك قلت: أعندك أحد من هؤلاء؟، وذلك لأنك لما قلت: (عندك أحد هؤلاء) لم تدع أن أحدا منهم ثم، ألا ترى أنه إذا أجابك قال: (لا)، كما يقول إذا قلت: (أعندك أحد من هؤلاء). واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتأخير الأسماء أحسن؛ لأنك تسأل عن الفعل بمن وقع، ولو قلت: (أزيدا لقيت أو عمرو أو خالدًا؟) و(أزيد عندك أو عمرو أو خالدًا؟) كان هذا في الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى (أيهما)»².

- اعتمد سيبويه على المقام بمعناه الواسع (بما فيه من متكلم ومخاطب ومعلومات مشتركة...) لتفسير ترك أو إضمار أو حذف بعض أجزاء الجملة التي تظهر عادة، فالمقام يغني عن المحذوف لأنه

¹- المصدر نفسه، ج3، ص:194.

²- سيبويه، "الكتاب"، ج3، ص:204.

يصير دالاً عليه دلالة مفهوم، فأغنى المفهوم المشاهد عن المنطوق الملفوظ. وإذا كان أساس العملية التواصلية المخاطب فإن الإطناب والحذف أو الإيجاز يأتي مراعيًا للحالة التي يكون عليها، لكن بشرط أن لا يؤدي الحذف إلى لبس، من أمثلة ذلك (ذكرها سيويه) حذف اسم كان لعلم المخاطب قول عمرو بن شأس: (بني أسد هل تعلمون بلاءنا *** إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعاً)، قال سيويه: «أضمر لعلم المخاطب بما يعني وهو اليوم»¹، ومن أمثلة ذلك أيضاً حذف بعض المعمولات استغناء بعلم المخاطب قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35]، حيث لما عمل الحافظين والذاكرين في معمولاتها صار الأمر مع الحافظات والذاكرات مستغنى عنه، يقول سيويه: «وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرها استخفافاً، ولأن المخاطب يعلم ما يعني»²، وقال مفسراً سبب حذف المكيال (الكر) من قولهم: (البر بستين): و"تركوا ذكر الكر استغناء بما في صدورهم من علمه وبعلم المخاطب؛ لأن المخاطب قد علم ما يعني، فكأنه إنما يسأل هنا عن ثمن الكر"³، إلى غير ذلك من المواضع التي فسرها سيويه اعتماداً على المقام وعلم المخاطب، وإذا كان المقام وعلم المخاطب يسوغان حذف بعض أجزاء التراكيب فإنهما في بعض التراكيب يمنعان الحذف ويوجبان الذكر، وقد تنبه سيويه لهذا الأمر فذكر أن "الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجاز: فعل مظهر لا يحسن إضماره، وفعل مضمر مستعمل إظهاره، وفعل مضمر متروك إظهاره"⁴. وضابط كل مجرى هو المقام وحالة المخاطب، قال سيويه موضحاً: «فأما الفعل الذي لا يحسن إضماره فإنه أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرب، ولم يخطر بباله، فتقول: (زيداً) فلا بد له من أن تقول له: (اضرب زيداً)، وتقول له: (قد ضربت زيداً)، أو يكون موضعاً يقبح أن يعرى من

1- المصدر نفسه، ج 1، ص: 87.

2- المصدر نفسه، ج 1، ص: 283.

3- سيويه، "الكتاب"، ج 1، ص: 462.

4- المصدر نفسه، ج 1، ص: 354.

الفعل، نحو: (أن) و(قد) وما أشبه ذلك، وأما الموضع الذي يضم فيه وإظهاره مستعمل، فنحو قولك: (زيداً) لرجل في ذكر (ضرب) تريد (اضرب زيداً)، وأما الموضع الذي يضم فيه الفعل المتروك إظهاره فمن الباب الذي ذكر فيه (إياك) إلى الباب الذي آخره مرحباً وأهلاً¹.

ويشترط في المبتدأ الذي يصدر به الكلام أن يكون معرفة (محيلاً) لا نكرة، ذلك أن المعرفة تعني أن هناك معلومة محددة الملامح عند كل من المتكلم والمتلقي (مشتركة بينهما)، وأساس أي تواصل هو معلومات مشتركة وأخرى غير مشتركة، فلا يمكن أن أحقق تواصلًا مع شخص لا تربطني به أي أمور مشتركة، وينطلق عادةً من المعلومات المشتركة ثم يثني بغير المشتركة، والنكرة تعدّ عادةً، من المعارف غير المشتركة، وحين ينطلق المتكلم من معلومات غير مشتركة فمعناه أن المتلقي لا يمكن أن يستمر في التواصل لأنه لم يحقق تصوراً واضحاً عن المتحدث عنه، وهذا معناه أنهما لا يمكن أن يستمرا نحو تحقيق الغاية المنشودة من التواصل، لأنه، كما قال سيبويه، يؤدي إلى لبس، ولذلك جعل النكرة مرادفة للبس والإلباس؛ يقول: «ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس وهو النكرة، ألا ترى أنك لو قلت: (كان إنسان حليماً) أو (كان رجل منطلقاً) كنت تلبس، لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدؤا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون فيه هذا اللبس»²، يوضح سيبويه كيف أن الأصل في الكلام أن يكون المبدوء به معرفة فيقول: «إذا قلت: (عبد الله منطلق) بتبدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك: (كان زيد حليماً) و(كان حليماً زيد) لا عليك أقدمت أم أحرمت... فإذا قلت: (كان زيد) فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر، فإذا قلت: (حليماً) فقد أعلمته مثلما علمت، فإذا قلت: (كان حليماً) فإنما ينظر أن تعرفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل، وإن كان مؤخراً في اللفظ. فإن قلت: (كان حليم أو رجل) فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن منكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب

¹- المرجع نفسه، ج1، ص:355.

²- المرجع نفسه، ج1، ص:87.

منزلك في المعرفة»¹، وإذا كان مدار الأمر على الفائدة التي يجنيها المتلقي وعلى فهمه لموضوع الخطاب فإن الفائدة في بعض أساليب الكلام قد تتحقق بالنكرة، يقول سيبويه في باب (باب تخير فيه عن النكرة بنكرة): «وذلك قولك: (ما كان أحد مثلك) و(ليس أحد خيراً منك) و(ما كان مجترئاً عليك)، وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا، وإذا قلت: (كان رجل ذاهباً)، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله، ولو قلت: (كان رجل من آل فلان فارساً) حسن، لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان وقد يجهله، ولو قلت: (كان رجل في قوم فارساً) لم يحسن، لأنه لا

المبحث الثالث: النحو العربي واللسانيات التوليدية التحويلية

1- ظاهرة الإطالة والتكرار:

هناك ظاهرة مهمة في اللغة العربية وفي جميع اللغات البشرية، وهي تداخل مستوياتها (Embedding) وذلك مثل تضمن أو احتواء وحدة من المستوى الأوسط، وهو مستوى اللفظة لوحدة من المستوى الأعلى الخاص ببناء الكلام، بل للوحدات التي هي من نفس مستواها (لفظة في داخل لفظة)، أو بالأصح لفظة في موضع كلمة.

وأول من تفتن إلى الأهمية القصوى التي تكتسبها هذه الظاهرة بالنسبة لجميع اللغات هو تشومسكي، الذي أعطاها اسم (Recursiveness)²، أي قدرة الشيء على التكرار إلى ما لا نهاية، ويسمى سيبويه هذه الظاهرة إطالة، وهي إطالتان في الحقيقة¹.

¹ - سيبويه، "الكتاب"، م. 1، ص: 87.

² - ينطبق هذا المفهوم في النحو العربي على الجمل التي لها موضع من الإعراب، لأنها تقوم مقام اللفظة الاسمية الواحدة من جهة، وعلم تنبيه ما يوجد في الموضع الواحد بالتوكيد أو البدل، أو تنبيه الموضع نفسه كالعطف.

أ- إطالة اندراجية: (إطالة بالادراج في الكتاب" وهي اندراج الأعلى في الأسفل بمعنى تركيب في موضع لفظة، أو كلمة أو لفظة في موضع كلمة.

ب- إطالة تدرجية: على مدرج الكلام وغير اندراجية، وهي تكرار ما يحتوي عليه الموضع هو نفسه أو ما يقوم مقامه، وتسمى عند سيبويه تكراراً وتثمية أو عطفاً².

فأما الإطالة بإدراج شيء في شيء، فهي أيضاً نوعان: نوع يحصل بمجرد إقامة تركيب أو لفظة في موضع الاسم، ويقع ذلك عند سيبويه في ستة مواضع³:

1) ما كان في موضع المبتدأ (على الأصل في موضع الابتداء)⁴.

2) أو في موضع بنية على المبتدأ.⁵

3) أو في موضع اسم مرفوع غير مبتدأ.

4) أو غير مبني على المبتدأ.

5) أو في موضع المضاف إليه (في داخل اللفظة)⁶.

6) أو في موضع الصفة.

ويقول سيبويه: "اعلم أن الأفعال المضارعة"¹. إذا كانت في موضع اسم مبتدأ أو اسم يبني على

مبتدأ أو في موضع اسم مرفوع غير مبتدأ ولا مبني على مبتدأ أو في موضع اسم مجرور فإنها مرتفعة...

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية"، ص: 189.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 331، وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية"، ص: 189.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 331،

4- وذلك لأن الابتداء موضع تدخل فيه كل العوامل، كعامل للمبتدأ أو كل ما يقوم مقامه وهي نظائر الفعل في العمل على الاسم.

5- وهذا ممكن لأن العامل هنا ليس فعلاً، بل الابتداء أو فعل ناسخ أو حرف معنى.

6- موضع الصفة والمضاف إليه عو وقوع داخل اللفظة الاسمية، وهذا ممكن لأنها مخصصان للاسم والاسم نواة للفظة، ينظر: عبد

الرحمن الحاج صالح البنى النحوية العربية، ص: 191

فأما ما كان في موضع المبتدأ فقولك: "يقول زيد ذاك". وأما ما كان في موضع غير المبتدأ أو لا المبنى عليه فقولك: "مرك برجل يقول ذاك" و"اليوم آتيك" و"هذا زيد يقول ذاك"، و"هذا رجل يقول ذاك" و"حسبته ينطق"².

أمثلة لاندراج³ الأبنية التركيبية: (Embedding)⁴:

ع	1م	2م	خ
يقول	زيد	ذاك	
أقائل	زيد	ذاك	
Ø	زيد	ع	Ø
Ø	زيد	يقول	Ø ذاك واقفا
كان	زيد	يقول	Ø ذاك »
ع + 1م	2م	3م	
حسبت	زيدا	يقول	Ø ذاك
رأيت	زيدا	-	Ø ينطق

1. اسم فاعل في موضع العامل ←

2. فعل وفاعل في موضع 2م ←

3. فعل وفاعل في موضع 3م ←

4. فعل وفاعل في موضع خ ←

0	2
---	---

¹ - يعلق الرماني على هذا بقوله: "الموقع الذي هو للاسم ويصلح للفعل ستة أو جه: "موقع المبتدأ وقع الخبر والمبتدأ وموقع المفعول للمذي يصلح للمل فيه فائدة وموقع الصفة وموقع الحال وموقع المضاف إليه..." ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 190.

² - سيويه، "الكتاب"، ج1، ص: 409.

³ - ويسمى كذلك بالانقياء أو الإدخال للجمل في موضع الاسم أي بتبزيها منزلة الاسم المفرد في الحكم الاعرابي داخل بنية ⁶ فعل وفاعل ومفعول في موضع 3 (الصفة) الكلام (مثل حكم المفعول وخبر المبتدأ أو الحال والنعت أو المضاف إليه). وهو ظاهرة جد مهمة لأنها تشكل قسماً كبيراً من النحو، وتمكن المتكلم من بيان الأحداث والأحكام والأوصاف التي يعبر عنها بالجمل ويسمى باللغويون الغربيون بالانجليزية Embedding أو Enchâssement بالفرنسية. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى العربية"، ص: 190.

⁴ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 130 - 131.

ع	م1	
يأتي	زيد	يوم
	← 3	0
ع	م1 م2	
ع	م1 م2	
يقول	Ø ذاك ¹	

أما النوع الثاني فيقع الاندراج فيه برابط، وهو في العربية (أن)، أو ما يقوم مقامها، وأن المفتوحة وما المصدرية، وتسمى كلها حروف مصدرية، أنها مع صلتها تأتي في موضع مصدر، وهناك أيضا الموصول (من وما والذي)

وأشباهها، فإن جميع هذه الموصولات تكون مع صلتها - مهما طالت - اسماً واحداً، كما أن مجموع العناصر المندرجة يمكن أن تطول إلى ما لا نهاية، وهي في موضع اسم واحد².

أما الإطالة غير الاندراجية فتحصل (بالتكرير في الكتاب)

(1) بمجرد تكرار محتوى الموضع، فيسمى تعدداً إذا كان بدون رابط، وإذا كان هناك رابط، فهو عند سيبويه اشتراك وعطف نسق عند من تلاه³.

(2) بتكرار الموضع دون محتواه، أي بزيادة نفس العنصر في نفس الموضع للتوكيد⁴ أو ما يقوم مقامه للتوضيح، وهو البدل⁵ وعطف البيان¹.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 192.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 232.

³ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 201.

⁴ - مثل سيبويه لتوكيد نفس اللفظ بقوله: "قد ثبت زيد أميراً قد ثبت فأعدت" قد ثبت توكيداً... ومثله في التوكيد والتنبيه: لقيت عمراً عمراً" الكتاب، ج1، ص: 277.

⁵ - ذكر سيبويه دليلاً قاطعاً في الفرق من حيث البنية بين البدل والصفة. قال: "الوصف تابع للاسم مثل قولك: رأيت عبد الله أباً زيد، فأما البدل فمفرد"، ينظر: الكتاب، ج1، ص: 393.

الرجال الطوال كتبوا الرسالة								
الرجال الطوال				كتبوا الرسالة				
الرجال			الطوال		كتبوا		الرسالة	
ال	رجال		ال	طوال	كتب	وا	ال	رسالة
ال	رجال	-	ال	طوال	-	وا	ال	رسالة

والثاني بتقدير الفعل من جهة وتقديم المفعول على الفاعل من جهة أخرى²:

كتب الرسالة الرجال الطوال								
كتب الرسالة				الرجال الطوال				
كتب		الرسالة		الرجال		الطوال		
كتب	ال	رسالة	ال	رجال	ال	طوال		
كتب	ال	رسالة	-	رجال	ال	طوال		-

التمثيل على طريقة تشومسكي على طريقة تشوسكي بشكل شجرة³:

مطبّقاً على المملتين : كتب الرجال الطوال الرسالة (الرجال الطوال كتبوا الرسالة).

الجملة الفعلية الأصلية : بناء الاسم على الفعل (لا يخضع للتحليل البلومفيدي).

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية"، ص: 201 وكذلك "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 132-133.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 263.

³ - المرجع نفسه، ص: 265.

هذا المخطط بالتشجير هو مثل ما صاغه تشومسكي، ولكنه بعيد عنه كل البعد التقدم الفعل عما يخضع له التحليل إلى مركب اسمي ومركب فعلي.

سنتعرض في هذا المبحث للعامل عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ليس من باب التكرار للعامل، وإنما الكون الحاج صالح كان من أكبر المدافعين عن النحو العربي بشكل عام والعامل بشكل خاص من خلال الدراسة والمتأنية والواعية والموضوعية التي ميزته عن كثير من معاصريه، مسترشداً ومستفيداً من بعض مفاهيم اللسانيات الحديثة لتحليل كلام النحاة وفهمه على أدق وجه ممكن من خلال استعمال المناهج والتقنيات العلمية التي أثبتتها جمهور العلماء واللغويين المعاصرين نجاحتها.

وعلى العموم سنتكلم عن العامل عند أستاذنا بشيء من التفصيل قدر المستطاع مستعينين بما توفر ببعض ما توفر من كتبه وكتب تلاميذه التي تعد كذلك امتداداً لكتابات من أمثال الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي وشفيفة العلوي.

مفهوم العامل عند عبد الرحمن الحاج صالح والمفاهيم المتعلقة به:

نظرية العامل ومفهوم العمل كما يذهب عبد الرحمن الحاج صالح يستطيع بها اللغوي أن يمثل بها أبسط الكيفيات وأنجعلها في التراكيب المعقدة التي تتداخل فيها العناصر اللغوية في قالب رياضي دقيق يرتقي بها من مستوى مادي معقد إلى مستوى صوري مجرد قابل للصياغة، وبالتالي قابل للاستخدام في الحاسبات الالكترونية¹.

إن المستوى الذي يتحد فيه الاسم والفعل هو المستوى المركزي بالنسبة لنظام اللغة، إنه هو الذي ينطلق منه في التحليل واكتشاف المثل المولدة، ويمكن أن ينطلق منه إلى ما فوق لتحديد التراكيب، كما يمكن أن يتوجه إلى ما هو في مستوى بناء الكلمة المفردة، ثم إلى مستوى الحروف

¹ - ينظر: "جون ليونز، نظرية تشومسكي في العمل والأثر"، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1995م، ص: 170-171.

(النظام الفونولوجي) ومع ذلك فالوحدات اللغوية في المستوى التركيبي - ما فوق اللفظة- ليست ناتجة عن تركيب اللفظة بلفظة أخرى، أي ليس هذا المستوى الذي تظهر فيه الحملة عبارة عن تركيب وحدات من المستوى الأدنى، فهذه المستوى وحدات خاصة به أكثر تجريداً وهي: العامل، والمعمول الأول، والمعمول الثاني والمخصص¹.

وقبل التطرق لشرح هذه العناصر بمنظور عبد الرحمن الحاج صالح نورد هذا الجدول الذي سنجعله نقطة الانطلاق لذلك:

∅	زيد	قائم	
إن	زيداً	قائم	هنا
كان	زيد	قائماً	أمس
حسبت	زيداً	قائماً	غلطاً
أعلمت عمراً	زيداً	قائماً	حالا
أكرم	زيد	عمراً	إكراماً
أكرم	ت	عمراً	كثيراً
العامل	المعمول 1	المعمول 2	مخصص

الأصل

←

تحولات بالزيادة

تحولات بالرجوع إلى الأصل

نواة التركيب الزوائد على النواة²

شرح المصطلحات:

– الأصل: النواة التركيبية (زيد قائم). دون زيادة على اليمين فقط.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 87.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 88.

Ø: موضع الزيادة على الأصل فارغ ويشار إليه بالعلامة الرياضية التي هي (Ø) وهي الابتداء، أي عدم التبعية التركيبية، وهو ليس بداية الجملة، وتدلل على أن العامل لألفظ له هنا¹.

فكل التراكيب المذكورة في الجدول متكافئة من حيث إنها تتضمن نواة تركيبية (زيد قائم). زيدت على أصولها وحدات، "أثرت فيها لفظاً ومعنى، ولذلك عادت هذه الزيادة المؤثرة عاملاً، وما تؤثر فيه معمولاً².

أ- العامل: هو العنصر الذي يتحكم في التركيب الكلامي ويؤثر فيه بل هو المحور الذي ينبنى عليه، وقد يكون مساوياً للصفير كما رأينا، وهذا الذي يسميه القدماء بالابتداء يعمل العامل في المعمول الأول والمعمول الثاني لفظاً ومعنى إذ يكون سبباً في إعرابهما وسبباً في تغيير المعنى، ولكن الأهم هو أنه سبب بناء الكلام، فلا كلام مفيد بدون بنية يكون أساسها العامل³.

فموضع العامل قد يكون فارغاً وهو ما يسمونه بالابتداء، كما في الجملة الأولى، وقد يكون كلمة مفردة مثل (إن) و(كان) وأخواتها، وقد يكون لفظة (اسم وفعل)، وقد يكون تركيباً كاملاً: (أعلمت عمراً / زيداً قائماً)⁴.

ب- المعمول 1: لا يمكن للمعمول أن يتقدم عن عامله، فهما يكونان زوجاً مرتباً (Couple ordonné). في اصطلاح الرياضيات كما ذكرنا سابقاً، وموضع المعمول الأول قد يدخل فيه المبتدأ و الفاعل، أو ما يقوم مقامهما⁵.

¹ - المرجع نفسه، ج1، ص: 310.

² - جون ليونز، "نظرية تشومسكي في العامل والأثر"، ص: 117.

³ - ينظر: "عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 89.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 16-41 وكذلك كتابه، "البنية النحوية العربية" منشورات المجمع الجزائري للغة العربي، 2016، سلسلة علو واللسان عند العرب، ص: 125-126.

⁵ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16.

ت- المعمول 2: قد يتقدم والمعمول الثاني على كل العناصر إلا في حالة جمود العامل مثل: (إن)، إلا إذا كان ظرفاً مثل: إن في الدار زيداً، وموضع المعمول الثاني يدخل فيه الخبر والمفعول أو ما يقوم مقامهما¹.

علماً أن الفعل قد يدخل في موضع المعمول، وذلك في ستة مواضع ذكرها سيبويه في الكتاب. ومجموعة العامل ومعموليه تكون النواة الأساسية لكل جملة من حيث البناء النحوي الإعرابي، أما من حيث الإفادة فتتكون من مسند ومسند إليه (الكلام المستغنى) وفي هذا المستوى التركيبي توجد أيضاً زوائد، مثل الزوائد في وزن الكلمة وهي جميع المفاعيل إلا المفعول به، فهو فضلة في الإفادة لكفة عنصر نووي في البنية اللفظية لأنه بمنزلة الخبر من حيث الموضع، وكذلك التمييز والحال والمستثنى المنصوب بالاستثناء².

ث- المخصص: هو زيادة على المجموعة النووية: العامل ومعموليه، وليس زيادة على الأصل الذي هو: (زيد قائم)³، فهذا العنصر يمكن أن يزداد إلا أنه فالعامل هو كيان اعتباري، فهو موضع داخل بنية (وليس في تسلسل الكلام).

والدليل على ذلك أن محتواه قد يكون كلمة واحدة مثل: (إن) وقد يكون لفظة مثل: (حسبت)، وقد يكون ترتيباً بكامله، وقد يكون لا شيء بالمعنى الرياضي أي صفراً، وهو عند العرب الخلو، لأن هذا الموضع قد يخلو ويتجرد من العامل الملفوظ⁴. فالعامل إذن ما كان أولاً في الذكر مثل: "كان زيد قائماً"، أو في التقدير النحوي إذا ما أخرج، أي خالف أصل الوضع اللغوي نحو: "قائماً كان زيد" أو "زيد كان قائماً" فالعامل في النظرية الخليلية الحديثة ما أثر بغض النظر عن رتبته⁵.

1- المرجع نفسه، ص: 16.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 163-164.

3- المرجع نفسه، ص: 167.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 89.

5- جون ليونز، "نظرية تشومسكي في العامل والأثر"، ص: 118.

وملخص القول في مفهوم العامل في النظرية الخليلية الحديثة: أن العامل هو:

- 1) محور التركيب: أي المهيمن (أي باعتباره نواة الكلام).
- 2) زيادة على الأصل ذات وظيفة تركيبية.
- 3) العامل سبب الحركة الإعرابية (أي هو سبب الآثار الصوتية التي تعكس الحالات الإعرابية)¹.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16.

أنواع العوامل:

دون الخوض في الأنواع التقليدية للعامل سواء كانت لفظية أو معنوية، والتي تم التركيز عليها في ما سبق، يظهر أن العامل عند المدرسة الخليلية نوعان:

أ- ما أثر نحويًا، كالنواسخ، والأفعال، وهذا أمر واضح.

ب- ما أثر دلاليًا، وهو المسمى بمستوى التصدير وما فوق العامل¹.

حيث يقول الحاج صالح بأن سيبويه كثيرًا ما يذكر نوعاً من الابتداء وهو غير عامل المبتدأ، ويرمز إليه بالصفرة عندنا، لأنه غير ملفوظ، وذلك عند وصفه لبعض العناصر بالمبتدأة، الفعل أيًا كان و(أن)²، وجميع حروف الاستفهام والشرط وغيرها³، ويعني بذلك غير ما يعني بالمبتدأ الذي له خبر⁴.

فكل هذه العناصر يجب لها الصدارة، أي يجب أن لا يتقدم عليها عنصر من العناصر التي تؤثر فيما بعد هذه الأشياء فهي تحتل موضع الابتداء المطلق الذي ليس ما قبله من جملة يأتي بعده، وهذا هو سر تسمية سيبويه للسمة العامل عمل الفعل ب (الاسم المبتدأ)، وليس هو المبتدأ الذي لا بد أن يكون له خبر، بل الاسم الذي يأتي في موضع العامل (ع)، وهذا ما لم يفهمه كل من جاء بعده⁵.

وهذا ما أكده سيبويه إذ يقول: "إتني بعدما تفرغ وتفرغ صلة وهي مبتدأ، وهي بمنزلتها في الذي إذا قلت: "بعد الذي تفرغ فتفرغ في موضع مبتدأ، لأن الذي لا تعمل في شيء والأسماء بعدها مبتدأة"⁶.

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 89.

2- يقول سيبويه: "هلا يقول زيد ذلك، فيقول في موضع ابتداء وهلا لا تعمل في اسم ولا فعل، فكأنك قلت: يقول زيد ذلك..." الكتاب، ج1، ص: 410.

3- يقول الحاج صالح: "وكذلك سائر حروف الاستفهام فالعامل فيه الابتداء، كما أنك لو قلت أرأيت زيداً هل لقيته، كان: "أرأيت" هو العامل، وكذلك قد علمت زيداً كم لقيته كان "علمت" هو العامل، فكذلك هذا فما بعد المبتدأ في موضع خبره." سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 127.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 332.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 127.

6 سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 410.

يظهر من خلال قول سيوييه أن موضع "تفرغ في" بعدما تفرغ" هو موضع الفعل المبتدأ وهو دليل على تكافؤ الابتداء الخاص بالاسم والفعل كعامل فكلاهما عامل.

فهناك إذن موضع سابقة على "ع" وهما موضعان:

(1) موضع الاستفهام ويرمز له بـ: "س".

(2) موضع الشرط ويرمز له بـ: "ش".¹

ويكونان موضعاً واحداً أكثر تجريداً، ويمكن أن نرمز إليه بـ "ع"، ويكون لهذا العامل المطلق معمولان مثلما هو الحال في الصيغة التركيبية التي تحتلها ويرمز إليها بـ: "م1" و"م2".²

ويمكن أن تمثل لكل هذه العناصر المجردة بالجدول التالي³:

ع			1م			2م		
س	ش	ع	1م	2م	ع	1م	2م	ع
أ	-	خرج	زيد	-	-	-	-	-
-	إن	خرج	زيد	-	عاقبته	-	-	-
أ	إن	ضرب	زيد	عمرا	عاقبته	-	-	-
-	إن	لم يخرج	زيد	-	تأخر	عن مواعده	∅	-

لقد استحسن تشومسكي التحليل المتدرج المنسوب إلى بلومفيلد (هو في ذاته لا تمثيلاً بالعلب) كما مر بنا، وبني عليه النحو التوليدي كله لكن باللجوء إلى صياغة رياضية⁴. فصاغ أولاً للعملية التي "تتولد" منها ما سماه بالمركب الاسمي والمركب الفعلي بعبارة: "تعاد كتابة الجملة إلى..."، ثم كل واحد

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 254-255..

² - المرجع نفسه، ج1، ص: 132-133.

³ - المرجع نفسه، ص: 133.

⁴ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 221.

منها إلى أجزائه بعبارة: " تعاد كتابة المركب الاسمي إلى أداة تعريف واسم وصفة (مثلاً) مستعملاً في ذلك رموزاً ومصطلحات خاصة.

كما مثل مجموع التحليل البلومفيلدي (الذي مثلناه في شكل علب متداخلة) على شكل آخر وهو الشجرة، لأنها تمثل جيداً التجزئة المتدرجة كما تصررها بلومفيلد
يقول عبد الرحمن الحاج صالح:

"ولابد أن نؤكد هنا أن التحليل البلومفيلدي والمبادئ التي يخضع لها (كاختيار التجزئة في المرحلة الأولى إلى جزئين يجمع الثاني بين الفعل والمفعول) هو الذي لا ينطبق على بنية الجملة العربية الأصلية: /فعل فاعل ومفعول/، أما التخطيط في ذاته فلا يمتنع من ذلك بالطبع وخاصة التخطيط بالشجرة".¹

ومن ثم فاللسان العربي بناءان:

1. بناء قائم على الابتداء.

2. بناء قائم على الفعل حيث يحمل الاسم على الفعل.²

مبدأ التعلق بالأول: ففي السلسلة (إن تخرج أخرج) ذات الصياغة (ع+مع1) + مع2، ضرب من التعليق، فقد رأي "الخليل" وكذا "سيبويه" أن الفعل الأول أي المعمول1 مباشر للعامل العرفي الشرطي الجازم (إن)، وهذا لا يستغني عن السلسلة الثانية "أخرج". كما لا يستغني الخبر عن باب الابتداء عن المبتدأ فبين مع1 و مع2 إذن علاقة لسانية أشبه بعلاقة الوحدة التركيبية (إبتداء + مبتدأ) التي يبني

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، " البنى النحوية العربية"، ص: 264.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، " الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية" منشورات الجمع الجزائري للغة العربية"، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، دت، ص: 153-154.

عليها الخبر بالضرورة، ولكن في مستوى تركيبى أعلى، وهذا التعلق بالأول شكل من أشكال البناء، ومن ثم تصبح (إن) هي المؤثرة بالعزم أيضا في السلسلة الثانية (أخرج)، ضمن هذا البناء (التعلق)¹. إذن العامل في النحو العربي قائم على مبتدأ التبعية والحمل على الأول، أي حمل الشيء على الشيء، وهذه الخاصية تنعدم عند التوليد بين الذين حاولوا تجسيدها من خلال التمثيل الشجري².

س: الاستفهام.

ش: الشرط.

فالعلاقة القائمة بين العامل المطلق وبين معموليه، هي أيضا علاقة بناء بمنزلة الاسم على المبتدأ، كما لاحظته الخليل، وهذه العلاقة تسمى تعليقا³.

إن للعامل في نظر "عبد الرحمن الحاج صالح" ثلاثة أشكال هي:

- فقد يكون الابتداء أي العلامة العدمية (Ø) المؤثرة في البناء التركيبي الاسنادي الاسمي أي المبني والمبني عليه.
- اللفظة المفردة ذات خاصية الاستقلال في التركيب كالأفعال.
- التركيب الجملي المؤثر في المنصوبين نحو: (حسبت) الولد ناصحا وهو يشمل الأفعال التي تنصب مفعولين⁴.

ارتباط العامل بمفهوم البناء يجعل المعمول الثاني مرتبطا بالوحدة التركيبية المتلازمة (ع+مع1)، فالخبر معمول مبني على المبتدأ أو الابتداء لأنه محمول اسمي عليهما كما يؤكد على ذلك البصريون⁵. موصول وليس مبنيا مع العناصر الثلاثية، ويدخل فيه المفعول فيه والمفعول لأجله والحال...¹

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 228.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16-41.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 333.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 147-148.

5- ينظر: المبرد، "المقتضب" تح: محمد عبد الخالق، دار الكتاب المصري، دط، 1399هـ، ج2، ص: 49.

ويمكن أن تمثل هذه الأصول إضافة للمخصص غير النووي بهذه الصيغة:

$$[ع ← م (1 م ± 2 م ± خ)]$$

ع: العامل ، م1: المعمول الأول، م2: المعمول الثاني.

خ: المخصص غير النووي، وما بين قوسين زوج مرتب (Couple ordonné) لا يمكن أن يتقدم المعمول الأول عن العامل، وما بين المزدوجتين يمثل النواة².

إن لهذا الترتيب الأصلي تنوعات فيها هي الترتيبات التي تجوز ولا يجوز غيرها ولبعضها شروط.

$$\{ (ع، م) ± 2 م \} \text{ أو } \{ عم 2 م 1 \} \text{ أو } \{ 2 م ع 1 م \}^3$$

والحدّ عند النحاة هو عدم التقديم (المعمول الثاني). قال في ذلك السيرافي*: "وليس يريد سيبويه بقوله "حدّ اللفظ" أن يكون تقديم الفاعل على المفعول هو اللفظ الذي لا يحسن غيره وإنما يريد بحدّ اللفظ ترتيبه وتقديره"⁴.

والتبعية عند العرب ضربان: تبعية بناء وتبعية وصل⁵.

أ- تبعية بناء: تتعلق بمستوى التركيب، كتبعية الخبر للمبتدأ والفعل للفاعل.

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 16.

2- المرجع نفسه، ج2، ص: 75-89.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، سلسلة علوم اللسان عند العرب منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص: 134.

* استعمال السيرافي هذين المصطلحين (التركيب والتقديم) لأنها يدلان في اصطلاح النحاة على تقدير شيء بالنسبة إلى نظائره، أما في الذكر أي في المنطوق من الكلام وفي الاستعمال الفعلي للغة فقد يتوسع فيه فيقدم الشيء ويؤخر، إذا أُجْمِعَ على جوازه في الاستعمال. فهذا ما يسمونه بالسعة بمعنى التنوع الجائز.

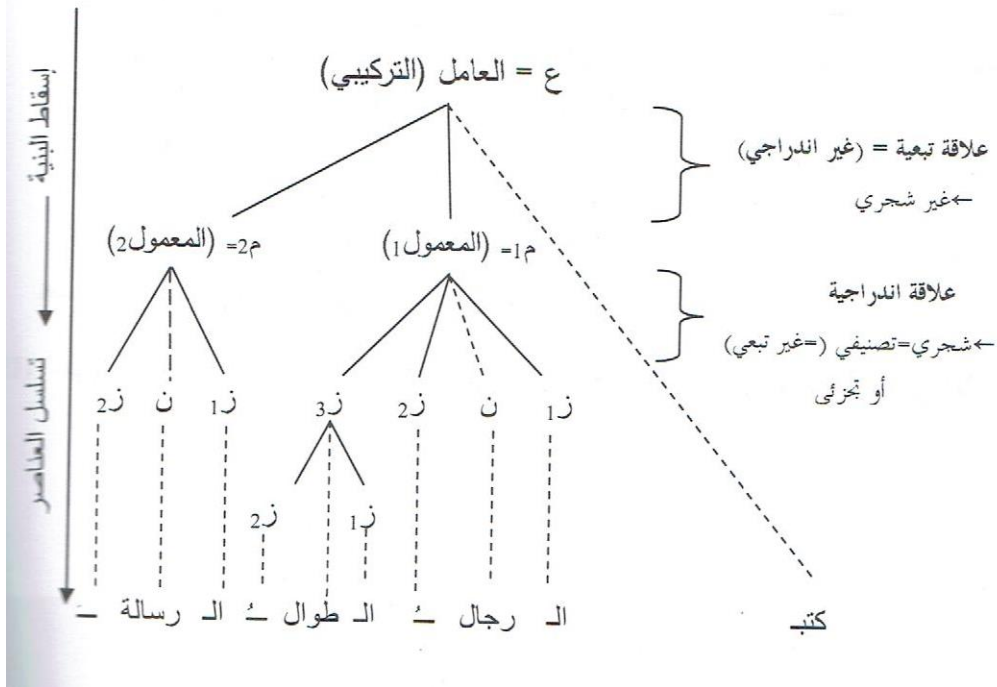
4- السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، طبعة القاهرة، 1986، 10 أجزاء، ج2، ص: 273.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 257.

ب- تبعية وصل: تتعلق بمستوى اللفظة ناتجة عن عملية التحويل بالزيادة على النواة المفردة، كدخول (أل) التعريف على الاسم (أل + اسم) والإضافة (كتاب + علي) ← كتاب علي¹، كما تتضح من خلال هذا المشجر الذي ابتدعته المدرسة الخليلية الحديثة²:

بناء		
ع	← 1م	2م
كتب	الرجال الطوال	الرسالة

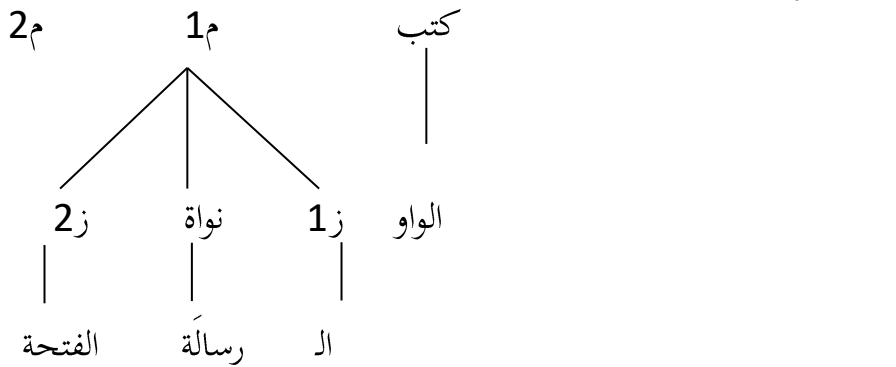
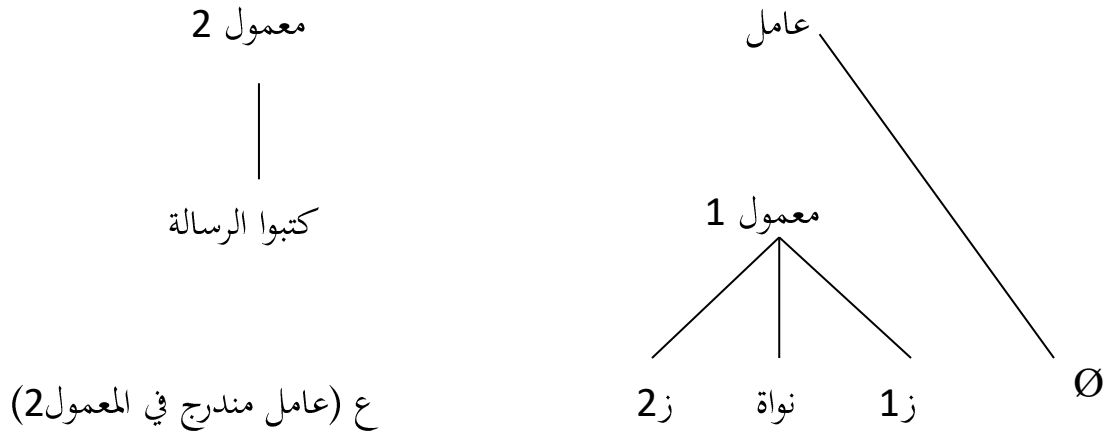
أ. بناء الاسم [الرسالة] على الفعل



¹ - ينظر: جون لينز، "نظرية تشومسكي في العامل والأثر"، ص: 123، وكذلك: التواتي بن التواتي، "المدرسة اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث"، ص: 113.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 256.

إن التمثيل الشجري العملي لا يستطيع أن يفرق بين حالات الترتيب الواجبة والجائزة، أي لا يبين ما يجب أن يتأخر في المعمول، وما يجوز تقدمه ولذلك وضع نموذج آخر يوضح هذه الإمكانية داخل المقولة العاملة على النحو التالي¹:



وهذا الرسم الشجري، كما يقول الحاج صالح (Arborescent graph) الذي هو من تصورنا، وهو يخضع لما تقتضيه الصياغة العربية قد أدمجنا فيه حرية الترتيب المواضيع في مزية الاندراج، المتمثل في

¹- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية - مفاهيم الأساسية- مركز البحث العلمي التقني لتطوير اللغة العربية" شارع جمال الدين الأفغاني، بوزريعة، الجزائر، العدد الرابع، 2007، ص: 86.

التفريع الشجري، ويتضح بذلك أن الترتيب بهذا المعنى هو جانب أساسي في البنية وليس فقط اندراج الشيء فيما هو أعلى منه، وهو يبين أن المعمول الأول لا يقدم على عامله أبداً¹.

ولذلك فإن جملة مثل التي مثلناها: (الرجال الطوال كتبوا الرسالة)، لا يمكن أن نعتبر فيها (الرجال) معمولاً أولاً ل: كتب (و)، وإن كان هو الفاعل في المعنى وهذا يؤكد أن الفاعل في اللفظ غير الفاعل في المعنى وأنه لا يجوز تقديمه على عامله والدليل على ذلك هو أن:

1- موضع العامل الأولي - وهو هنا الابتداء - يمكن أن يشغله عامل ملفوظ ك (إن)، أو أي ناسخ ك (إن الرجال كتبوا الرسالة)، ولو كان الرجال فاعلاً لما دخل عليه ناصب.

2- إن موضع المعمول الأول (تحت ع الثانية) يمكن أن يستبدل بشيء لا يكون هو (الرجال الطوال)، وذلك مثل: (الرجال الطوال كتب أخوهم الرسالة)²

فالمعنى في الحقيقة نوعان: معنى وضعي ومعنى بياني، فالتغيير للفظ أو البنية لا بد أن يتغير معه أحد هذين النوعين، والذي تغير هنا هو المعنى البياني، إذ صار يدل اللفظ على اهتمام المتكلم بالرجال الطوال أكثر³.

3- تمثيل البنية النحوية التخطيطي المستوفي للصفتين: التبعية والاندراج:

أ- مقارنة بين المخططات التي يتضمنها كل مذهب:

إن الغاية من المخططات العلمية الحديثة، هي أن تصور بالخطوط الأنظمة والبنى المختلفة ومن ثم العلاقات التي تربط بينها مكوناتها، وماهية هذه العلاقات وهي تقوم بمثل المهمة التي تقوم بها التصميمات ومخططات المعمارين وهي ههنا خاصة باللغة. وهناك قسم خاص في الرياضيات يخص المخططات كما هو معروف (Graphes théorie)، وأول من مثل البنية النحوية بهذه المخططات - وكانت إنجليزية - على الشكل الشجري هو تشومسكي كما هو معروف، ثم إن هذا المخطط الرياضي

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 258-259.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 259.

³ - المرجع نفسه، ج1، ص: 259.

الملقب بالشجري هو تمثيل خطّي لعلاقة الاندراج؛ أي اندراج عناصر الفئة فيها أو تضمن الكل لأجزائه (Inclusion) فقط¹، وهذا في حدّ ذاته يعدّ تفرّيعاً، إلاّ أنه تفرّيع من الأعم إلى الأخص لا غير؛ ونعني بذلك أن ماهية العلاقة بين الفرع وأصله ههنا هو مجرد انتماء الفرد إلى فتحة أو الجزء إلى الكل².

فالفئة تشتمل على أفرادها وكل فرد باندرجه تحتها ينتمي إليها، وهذا النوع من العلاقات البسيطة لا تبني عليها البنية اللغوية هو وحده، لأنه مجرد تصنيف أو تجزئة³. وقد منح له أريستو وأكثر الفلاسفة (وأصحاب العلوم الإنسانية بعدهم دوراً مفرط الأهمية - لجهله جهلاً مطلقاً بالدور الذي تقوم به العلاقات الأخرى وهي أرقى منها⁴. فجعل علاقة التضمن (هكذا سماه الفلاسفة العرب) هي الأساس في جميع أبواب المنطق⁵. كما جعل اللغويون البنيويون في زماننا علاقة الاندراج (وهو التضمن القديم) هي أساس كل تحديد للبنية اللغوية ولا توجد البنى علاقة غيرها⁶.

وعلى هذا لا يكون الاندراج إلاّ بالنسبة لما في داخل اللفظة، ولا تكون هذه العلاقة هي الأساس بل المعتمد في ذلك هو التبعية⁷، فالاندراج (أو التضمن) له وجود في التحليل العربي لا محالة إلاّ أنه لا يكون إلاّ بين الاسم والفعل كمجموعة وكعناصر كل مجموعة منهما (كالاسم مع أداة التعريف والنعت والصفة والفعل مع الضمير المنصوب المتصل، وما يدخل على الفعل كالسين ولو

1- وشاع أيضاً قديماً لفظ الاشتمال ولفظ تضمن الشيء لغيره ويستعمل الآن أيضاً: الاحتواء على الشيء والانتماء إليه.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 261.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، دار راجي للنشر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010، ص: 114.

4- كما هو الحال في الحد والقياس السلوجسمي، ففي الأول يظهر ذلك في المصادق وهو مجموع الأفراد المنتمية إلى الجنس وفي السلوجسموس في اندراج النتيجة في الحد الأصغر وهذا في الحد الأكبر. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 304-305.

5- لاعتماده على التحويل... / م ج: نظرية الخليلية الحديثة، ص: 67-68.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية-، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، كراسات المركز، بوزريعة- الجزائر، العدد الرابع، 2007، ص: 79.

7- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 222-255.

وغيرها)؛ لأن كل الزوائد على الاسم أو الفعل تكون معها وحدة - هي اللفظة- وتشارك في الانتماء الاسم أو الفعل كمجموعة¹، وقد يكون في هذه المجموعة ما هو عامل فيكون معموله تابع له مع بقاء اشتراكهما معاً في الانتماء إلى مجموعتها².

ونستخلص من هذا أن العلاقات التي ترتبط بها الوحدات اللغوية ليست كلها من جنس واحد، ففي: "كتب الرجال طوال الرسالة" ليست العلاقة بين الفعل "كتب" وغيرها اندراجية أبداً، فبين "كتب" و"الرجال طوال" علاقة من نوع التبعية وهي العمل³، وكذلك بين "كتب" و"الرسالة"؛ لأن لـ "كتب" الرتبة الأولى من حيث إن العبارتين الأخريين مكملتان له لنشوء كلام مفيد، وإن كان بين "كتب" و"الرجال" طوال تلازم (إذ لا يكون فعل في الكلام بدون فاعل) ولا اندراج لأحدهما في الآخر، أما كل ما يدخل في مجموعة اسمية فيكون بالطبع مندرجا فيها وقد يكون فيها تابعاً أو متبوعاً بوجود العمل في داخلها⁴.

فالتبعية في البنية أساسية، لأنها تثبت بين العناصر المتصدرة في الكلام أو في داخل اللفظة على السواء. فالاندراج على هذا ليس الارتباط الوحيد في بنية الكلام كما يتصوره بعض الغربيين⁵. نستنتج مما سبق أن المجموعة من الوحدات الداخلة في اللفظة تنحل بالطبع إلى مكوناتها القريبة التي هي النواة وزوائدها، فالعلاقة بين هذه المكونات هي الانتماء المشترك إلى مجموعة واحدة (زوائد على الاسم أو الفعل).

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 191-269.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 257، وينظر: البنية النحوية العربية، ص: 269.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 255-256.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 269.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية-، ص: 66-67، وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 255.

إن التحليل العربي لا يقسم الجملة كما يفعل بلومفيلد إلى مجموعات متداخلة بالتدرج (من الكبرى إلى الصغرى) على أساس قبلية كل مجموعة للاستبدال بمفردة مساوية للمجموعة في الوظيفة (ولا تقطيعها إلى عناصر متوالية كما يفعل الأوروبيون)¹. وهذا يقتضي أن يندرج الأصغر من المجموعات في الأكبر في جميع التحليل البلومفيلدي²، ولا ينطبق هذا على التحليل العربي لأنه لا يكتفي ببيان ما يندرج في غيره وكيف يندرج، بل يقصد أساساً إثبات تبعية العنصر لغيره من العناصر أو المجموعات من العناصر وهي تبعية المعمول للعامل³.

وأما علاقة الاندراج فنثبتها بمجرد انتماء العناصر إلى اللفظة في اصطلاحنا، وقد يكون في داخلها عنصر تابع لآخر كالمجرور بالنسبة للجار، أو مثل لم ولن كعاملين بالنسبة للفعل⁴.

أما تشومسكي فقد استحسن تحليل بلومفيلد للجملة إلى مكونات قريبة (أي مباشرة) وهو مبني على تجزئة الجمل إلى مكوناتها المتداخلة: الجملة إلى قسمين وكل قسم إلى أقسامه وهكذا إلى الأطراف المفردة⁵. فهو تحليل اندراجي يبدأ من الكل إلى أجزائه بالتدرج فمثل أصحاب بلومفيلد هذا التحليل على أشكال تخطيطية مختلفة كالتداخل المتدرج في علب أو بين أقواس ومثله تشومسكي بالتفرع الشجري وهو تمثيل لبيان العلاقات الاندراجية التصنيفية⁶. أما وجود علاقة الاندراج في البنية اللغوية أو بين البنى اللغوية فنحن لا ننكر ذلك، وإنما الذي ننكره هو أن نجعل هذه العلاقة هي الوحيدة من بين جميع العلاقات التي تنبني عليها الظواهر ومختلف الوظائف العقلية من حيث البنية⁷.

1- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 83.

2- المرجع نفسه، ص: 92.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 270.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 269.

5- ينظر: أحمد عبد العزيز دراج، "الاتجاهات عاصرة في تطوير دراسة العلوم اللغوية"، ص: 135.

6- د. التواتي بن التواتي (مفاهيم في علم اللسان)، ص: 46-47. وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 73-91.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 262.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح بأنه: "هناك علاقات لا تربط الفرد بفئته (أي الفرد بجنسه بالتعبير القديم) أو الأجزاء بالكل بل الفرد بنظيره، وهذا هو حمل علماء العرب للشيء على نظيره أي الفرد من فئة على نظيره من فئة أخرى على أساس التكافؤ في الموضع أو ما يتعلق بالموضع بالمعنى الرياضي"¹.

وهذا ليس اندراجاً ولا انتماء بل هو تكافؤ في الموضع بين البنيتين وهو مجاوز للتكافؤ بالانتماء، لأن التكافؤ في الصيغة هو في المنطق الرياضي تلازم أي اقتضاء الشيء للشيء مع العكس (أ ⇔ ب). فكلاهما يقتضي الآخر (بالتناظر) وهذا هو أساس كل تكافؤ في البنية². وهذا الفرق سيتضح بالمقابلة بين المخططات التي نعرضها فيما يلي:

- التحليل البلومفيلدي على شكل علب متداخلة (علب هوكيت):

الجدير بالملاحظة أنه إذا أردنا أن نطبق التحليل وتخطيطه على جملة عربية بحسب مبادئ التحليل البلومفيلدي مثل: "كتب الرجال الطوال الرسالة"، فلا يمكن أن يتبشر ذلك إلا على الشكلين التاليين: الأول: الابتداء بالاسم كما هو الحال في الجملة في اللغات الأوروبية كما في المثال التالي³:

وهذا الامتناع لا يخص التخطيط نفسه بل يرجع إلى التقسيم البلومفيلدي كما سيأتي. فهذان الشكلان هو في العربية بنيتان مختلفتان عن الأولى الأصلية وهي "كتب الرجال الطوال الرسالة"⁴.

فالأولى هي بنية بني فيها الفعل (مع فاعله) على الاسم وبتقديم المفعول على الفاعل. ولا يمكن أن يقع التحليل على الأصلية لأنه يقطع وجوباً كل الجمل إلى ما يسميه أصحابه بالمركب الأسمى

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية" - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، بوزريعة - الجزائر، العدد الرابع، 2007، ص: 35.

² - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 262. و"النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية"، ص: 70-71.

³ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة"، ص: 86.

⁴ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية"، ص: 86.

(وهو بمنزلة اللفظة الاسمية)¹، وإلى المركب الفعلي وهذا يحتوي على الفعل والمفعول مجتمعين بالضرورة (عند بلومفيلد)، وذلك تابع أولاً لبنية اللغات الأوربية التي يكون الاسم فيها متقدماً على فاعله في الأصل (ولا يقبل ذلك إلا المعنى الاستفهام في بعض اللغات أو التوكيد)، وثانياً إلى ما فرضه أريستو على أوروبا كلها من تحليل كل جملة إلى بنيتها الخطابية المنطقية (الموضوع أولاً والمعمول ثانياً² فأدخل المفعول في المحمول)³.

فاستحسن تشومسكي التحليل المندرج المنسوب إلى بلومفيلد كما مر بنا، وبني عليه النحو التوليدي كله لكن باللجوء إلى صياغة رياضية⁴، فصاغ أولاً العملية التي "تولد" منها ما سماهما بالمركب الاسمي والمركب الفعلي بعبارة: "تعاد كتابة الجملة إلى أجزائها، ثم كل واحد منها إلى أجزائه، أي: تعاد كتابة المركب الاسمي إلى أداة تعريف واسم وصفة مثلاً، مستعملاً في ذلك رموزاً ومصطلحات خاصة. كما مثل مجموع التحليل بلومفيلدي (الذي مثلناه على شكل علب متداخلة) على شكل آخر وهو الشجرة، لأنها تمثل جيداً التجزئة المتدرجة كما تصورها بلومفيلد⁵."

¹ - ينبغي التفريق بين اللفظة الاسمية والحد المولد لها ولكل أنواعها بالزيادة، فاللفظة هو ما يولده الحد وليست هي الحد وهذا الأخير هو النمط (Model) أي مثال باصطلاح الخليل تصاغ عليه الوحدات، وحد الاسم هو مثال تصاغ عليه اللفظة الاسمية. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 86.

² - وهو نظير المسند والمسند إليه عند العرب لكن من غير التفات إلى المنطق فهو أقل ما يكون كلاماً مفيداً عند سيويه. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 263.

³ - روي هاريس وتوليت جي تيلر، "أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي من سقراط إلى سويسير"، تعريب أحمد شاكر الكلاجي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 52. و ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، ص: 65-66.

⁴ - ينظر: باتشيت بريجنته، "مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، ص: 270-271.

* - لقد انطلق تشومسكي كذلك من فكرة بلومفيلد الأساسية، وهي أنه من الممكن وصف النحو دون اللجوء إلى المعنى، وهكذا نجد تشومسكي في المرحلة الأولى لجأ إلى النزعة الشكلية التوزيعية التي انفرد بها علم اللغة الوصفي الأمريكي.

⁵ - ينظر: أحمد عبد العزيز دراج، "الاتجاهات الأساسية في تطور دراسة العلوم اللغوي"، ص: 106-107. وينظر: منذر عياشي، "قضايا لسانية وحضارية"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1991، ص: 120-121.

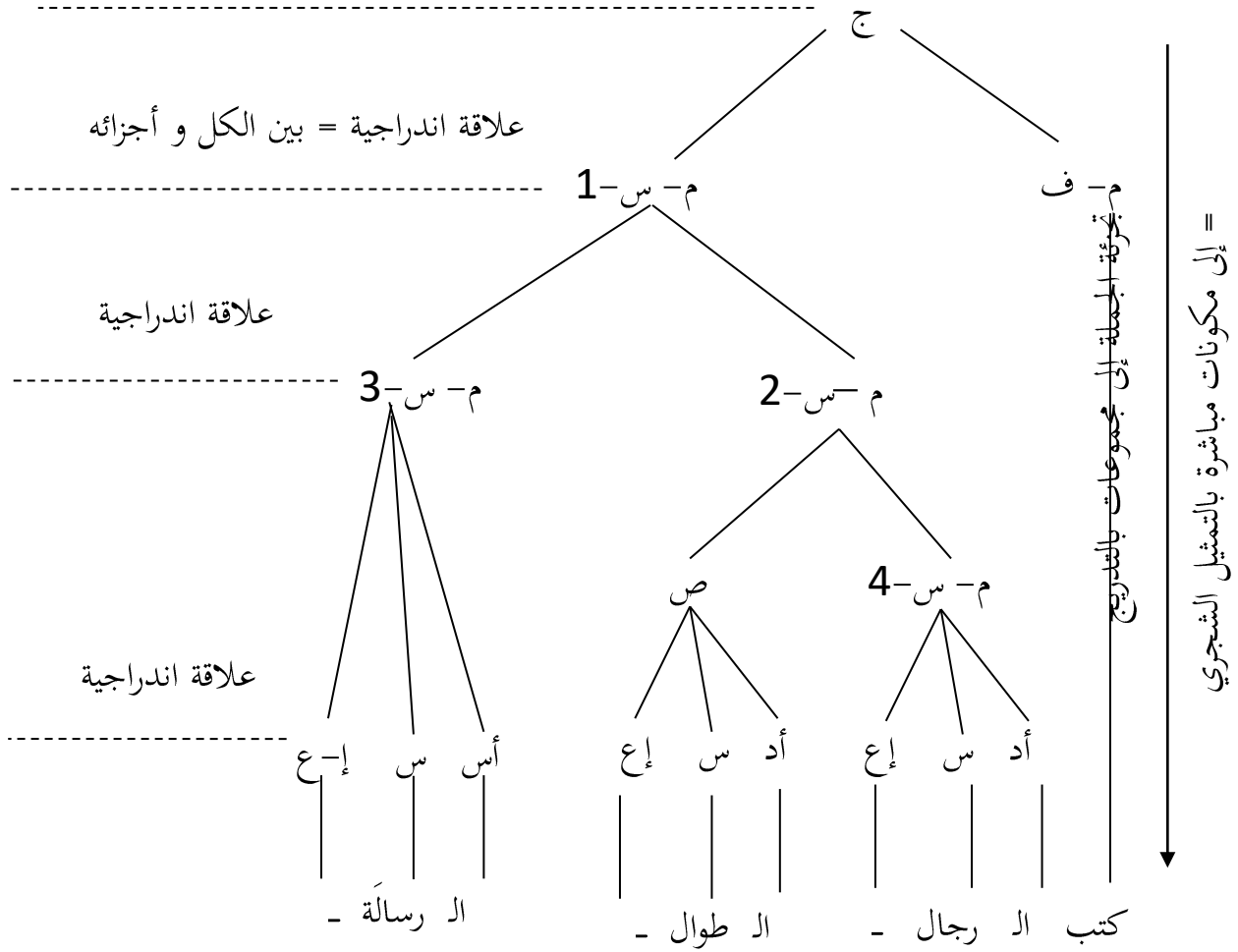
يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "وليد أن نؤكد ههنا أن التحليل البلومفيلدي والمبادئ التي يخضع لها (كاختيار التجزئة في المرحلة الأولى إلى جزئين، يجمع الثاني بين الفعل والمفعول) والذي لا ينطبق على بنية الجملة العربية الأصلية: (فعل، فاعل، مفعول)، أما التخطيط في ذاته فلا يمتنع من ذلك بالطبع وخاصة التخطيط بالشجرة"¹ وقد بين ذلك في ما يلي:

التمثيل على طريقة تشومسكي بشكل شجرة:

(مطبعا على الجملتين: كتب الرجال الطوال الرسالة/ الرجال الطوال كتبوا الرسالة)

1. الجملة الفعلية الأصلية: بناء الاسم على الفعل (لا يخضع للتحليل البلومفيلدي)

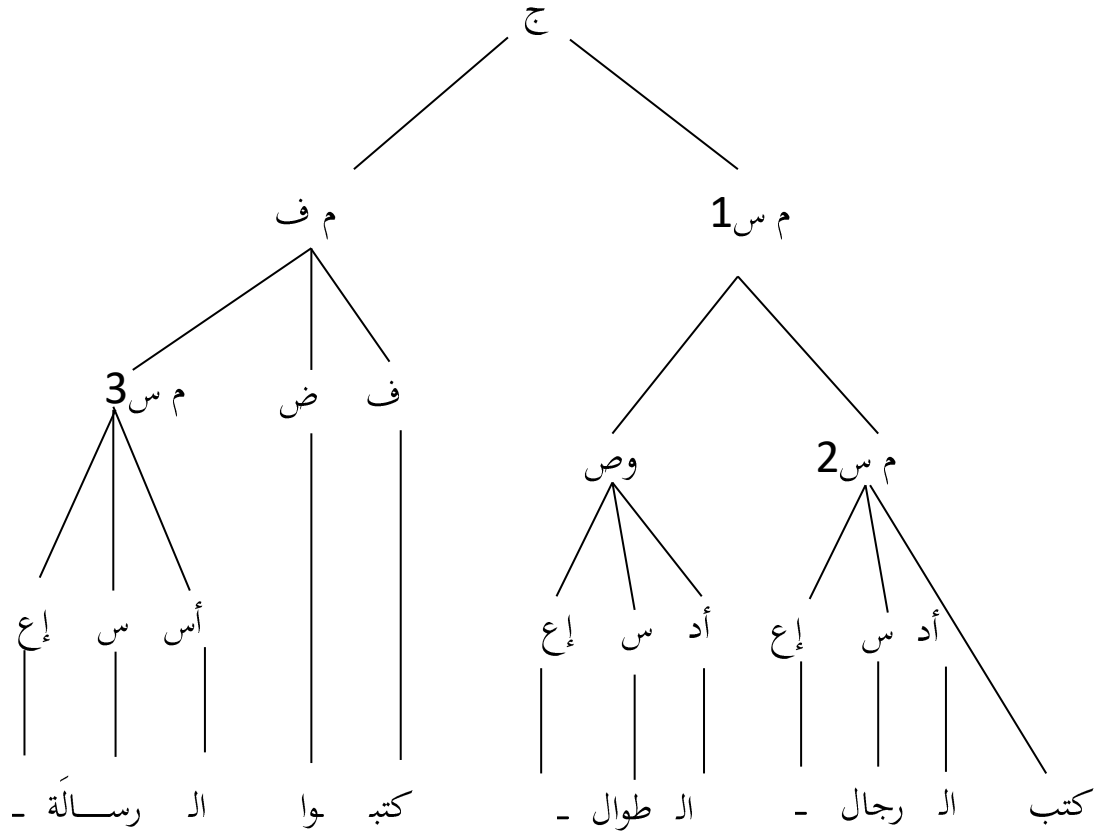
¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 264.



فهذا المخطط بالتشجير هو مثل ما صاغه تشومسكي ولكنه بعيد عنه كل البعد لتقدم الفعل عما يخضع له التحليل إلى مركب اسمي ومركب فعلي (الذي تبناه تشومسكي) ¹.

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية"، ص: 265.

2. تحويل الجملة الاسمية بتقديم الاسم على الفعل؛ أي بناء الفعل على الاسم¹.



فهذا يخضع تماماً لصياغة تشومسكي (المركبان موجودان فيه)

ج = جملة . م س / م ف = مركب اسمي أو فعلي . س = اسم . ف = فعل . ص = صفة . ض = ضمير . أد = أداة تعريف . إع = علامة اعراب².

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية"، ص: 265.

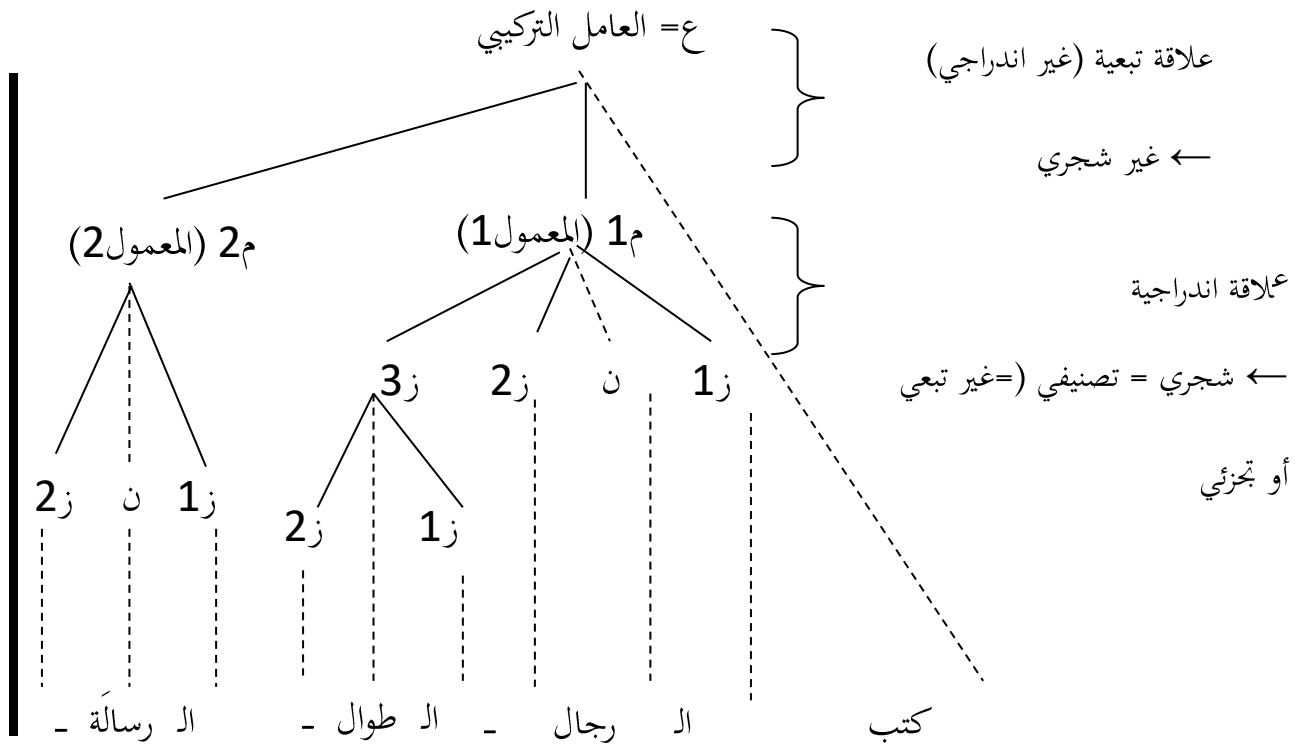
² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: .

4- التخطيط لما سبق بما يقتضيه التحليل العربي:

أ- بناء الاسم (الرسالة) على الفعل¹.

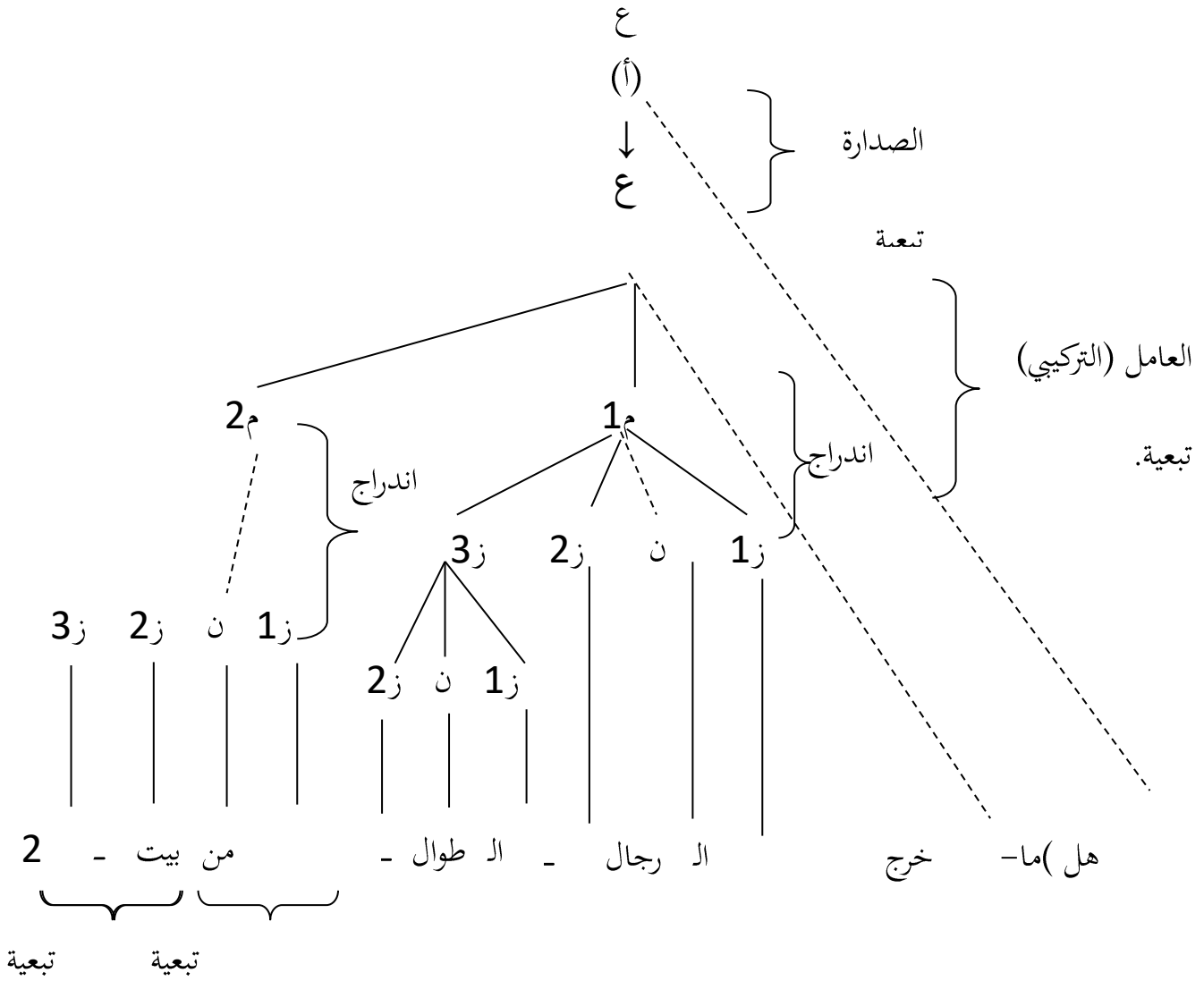
		ع ←
م 2	م 1	
الرسالة	الرجال الطوال	كتب

إسقاط البنية ← تسلسل العناصر



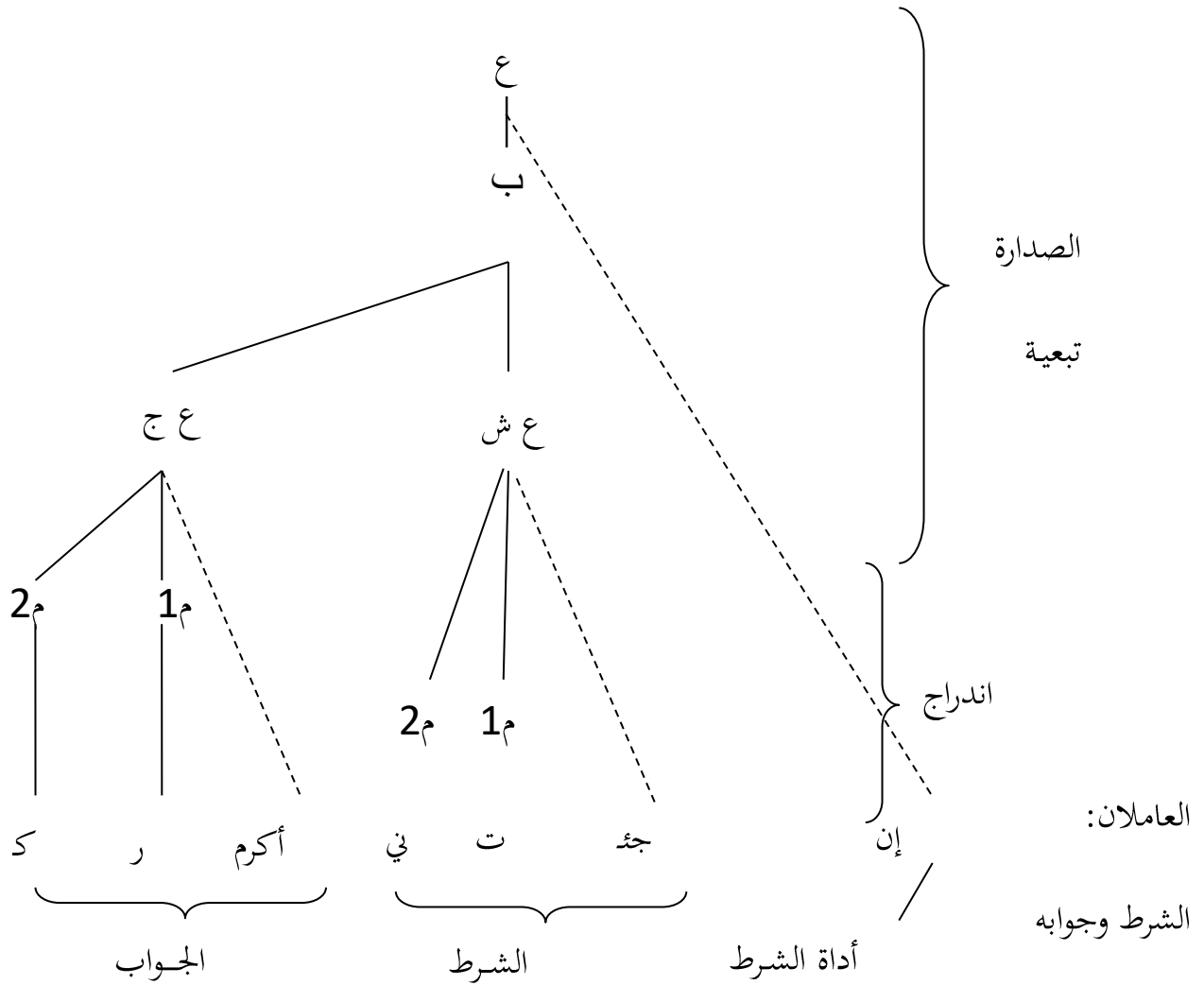
¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة"، ص: 86.

- بنية مع حروف الصدارة (أ: الخبر / الاستفهام / النفي وغيرها)¹.



¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 267.

- بنية مع حروف الصدارة (ب: الشرط: ان/ حيثما)¹



لكل جملة عامل:

هو معمول لأداة الصدارة

وهو عامل لما هو تابع له.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 254-255.

ب- بناء الفعل على الاسم.

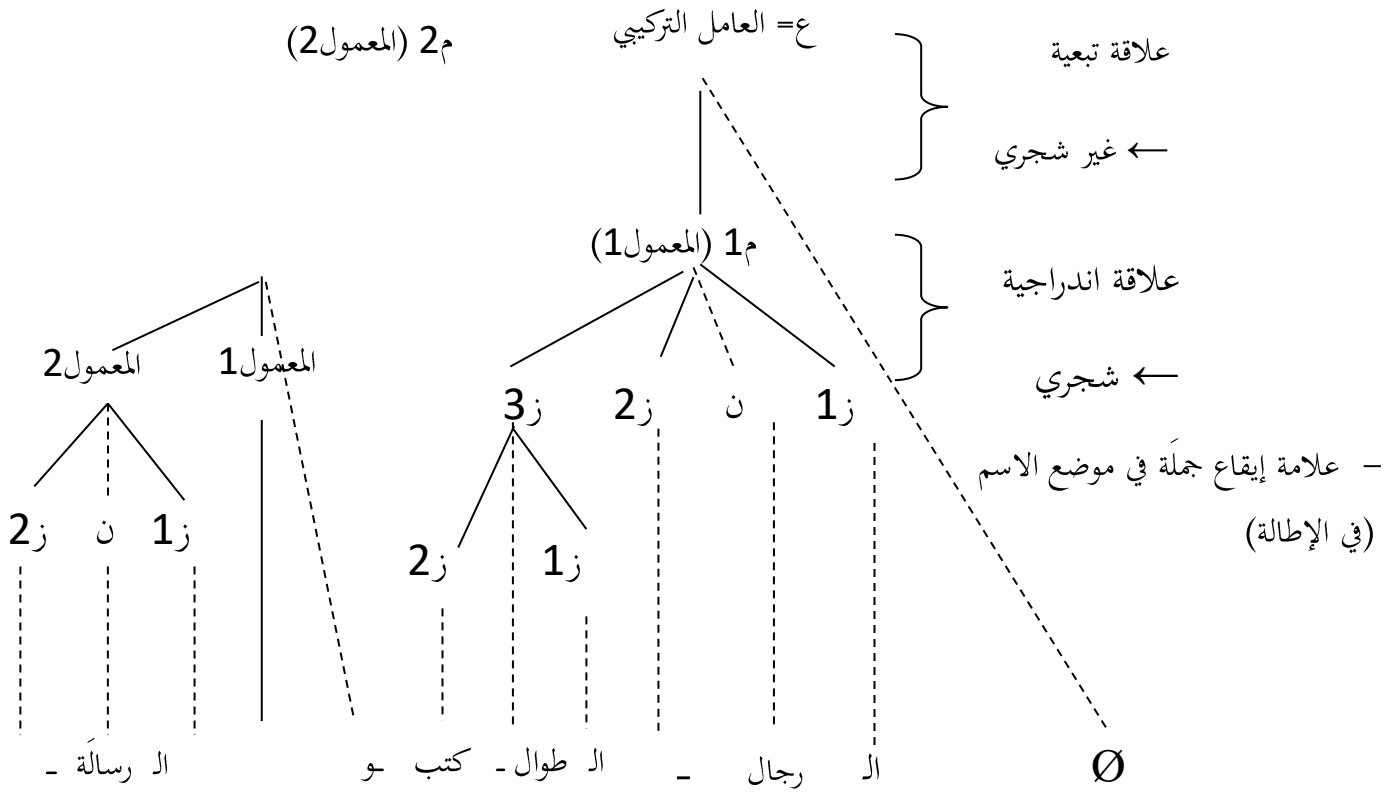
"الرجال الطوال كتبوا الرسالة"

تحصل فيها ظاهرة الإطالة

إيقاع جملة في موضع اسم¹

التحليل بحسب مدرج الكلام

2م			1م ←	ع
الرسالة	و	كتب	الرجال الطوال	∅



¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيم الأساسية"، ص: 86.

5- توليد تشومسكي ومنوئيد في إصلاح الرياضيات والتفريع والتحويل عند العرب:

زمرة وهي مبنية على التحويل: بالتالي على النشاط (Symmetry)¹ وقد لجأ تشومسكي إلى التحويل ليصلح النقصان الفادح الذي يمتاز به التحليل إلى مكونات قريبه ولم يرسمه - أي تحويل بمخطط مناسب، وقد بينا فيما سبق أن علميات التفريع العربي بالتحويل (الزيادة والتركيب وهو التوليد العربي) هي مجموعة تستوفي شروط الزمرة الرياضية لأنها مجموعة من التحويلات². أما التوليد على الطريقة الغربية فهو مجموعة لا تتجاوز المنوئيد³ لأنها تتصف بالتناظر إذ التقسيم إلى أجزاء أو تحليل الجنس إلى أفراد أو اندراجها تحته لا يتاظر لا شيء مثل ما في المنوئيد (وكذلك هو الحد بالجنس والفصل والاستبدال بالقياس الأرسطي). أما التحويل وكل أنواع التفريع العربي هي تحويلات - فله تحويل معكوس "برد الشيء إلى أصله" كما يقول العلماء العرب⁴.

ولم يبين تشومسكي بالمخططات كيف يتم التحويل كما فعل ذلك بالنسبة إلى التوليد⁵.

وسهل عليه تمثيل التوليد برسم الشجرة لأنها المخطط الأمثل للقسم الاندراجية التصنيفية⁶، أما فيما يخص التفريع العربي فيمكن - في زمان المخططات الذي نعيش فيه - أن نمثل له بالتقابل التناظري (Bijection) بين مجموعتين⁷، ذلك مرارا في كتبنا وخاصة بالمخطط الذي يمثل التحويل من الجملة المبنية للمعلوم إلى مقابلتها المبنية للمجهول⁸. وهو يمثل زمرة⁹. أما المنوئيد فهو زمرة ناقص منها

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 70.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 270.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 95. وكذلك ج2، ص: 94.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 270.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 217.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 270. وينظر: النظرية الخليلية الحديثة، ص: 56.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية -"، ص: 71، وينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 42.

8- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 217.

9- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 42.

صفة للتناظر (قارن بـ "حمل الشيء على نظيره" أساس النحو (العربي). والجدير بالذكر هو أن كل التفرعات الخاصة بالنحو هي كلها رمز وتضيف إليها دوائر العروض لأنها تفرعات من بحر إلى آخر مع تمثيل التناظر بعكس الاتجاه في المخطط المسمى بدائرة العروض¹.

أ- مفهوم الجملة التوليدية:

لقد ميز تشومسكي بين الجملة الأساسية الأصلية التي سماها التوليدية وبين الجملة ذات الأصل الاشتقاقي أو كما يسميها الجملة المحولة، وهذا التمييز يظهر في وصف كل منها²، فالجملة التوليدية جملة تامة، بسيطة، صريحة، ايجابية ومبنية للمعلوم.

أما الجملة المحولة فهي تنقصها خاصية من خواص الجملة النواة³. فالجملة التوليدية، أو النواة أو الأصل، أو الخام، جملة تؤدي معنى إسنادياً بسيطاً. وتخلو من أي عنصر يضيف إليها معنى زائداً عن المعنى الإسنادي البسيط الأصلي⁴. أو هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه⁵. ويرى خليل عمارة، أن الجملة التوليدية تنقسم إلى قسمين⁶:

1. جملة توليدية اسمية وتكون على الشكل:

أ- اسم معرفة + اسم نكرة مثل: العلم نور.

ب- اسم استفهام + اسم معرفة مثل: أين أخوك.

ج- شبه جملة + اسم نكرة مثل: في البيت رجل.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 70-71، وينظر: "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية -"، ص: 71.

² ينظر: أحمد مومن، "اللسانيات النشأة والتطور"، ص: 207.

³ المرجع نفسه، ص: 207.

⁴ ينظر: أحمد كاظم العتاي، "مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد السادس، ص: 45.

⁵ المرجع نفسه، ص: 45.

⁶ ينظر: خليل أحمد عمارة، "المسافة بين التنظيري النحوي والتطبيقي اللغوي"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م، ص: 423.

2. جملة توليدية فعلية وتكون على الشكل:

أ- فعل + اسم مرفوع (أو ما يسد مسده ظاهراً كان أو مستتراً) مثل: قام محمد، قف.

ب- فعل + اسم + اسم (أو اسم مقترن بحرف جر). مثل: اقترب العبد ذنباً، أقام محمد في البادية.

ويرى أن هذه الأطر هي الأصل في بناء الجملة العربية في حالتها التوليدية والتي تفيد معنى الأخبار المحايد لا غير¹. ولذا فإنه يعد أي قاعدة تقع في هذه الأطر شعبة من قواعد النحو التوليدية، وتقوم فرضيته على ركيزتين هما²:

1. أن هناك جمل نواة تتحول إلى صورة الكلام المعروف، ويتم وصفها وصفا ظاهراً، يتبع انقال الجملة من بنيتها العميقة إلى بنيتها السطحية يريدتها المتكلم ويعرفها السامع لمعنى خاص.

2. أن للعربية كيانا مميزا يتشقق إلى مسارين:

● أحدهما مسار يتفق وعلم اللغة العام وهو ما ينسجم مع القواعد اللغوية العالمية.

● وثانيهما مسار خاص يقتضيه منطق العربية الذي لا يجاربه منطق آخر في غيرها.

أما الجملة التحويلية فهي جملة جرى فيها شيء من التغيير في بنيتها الأصلية التوليدية ويمكن أن نلخص ذلك في المعادلة التالية: جملة توليدية + عنصر أو أكثر من عناصر التحويل = جملة تحويلية³.

إن التحويل يكشف لنا بطريقة جلية، كيف تتحول الجملة الأولية التوليدية إلى جملة محولة عن طريق جملة من القواعد، مثل: الحذف، إعادة الترتيب الاستبدال...

(1) الحذف:

¹ - ينظر: خليل أحمد عمارة، "المسافة بين التنظيري النحوي والتطبيقي اللغوي"، ص: 422.

² - ينظر: خليل عمارة، "في نحو اللغة وتراكيبها"، ص: 88.

³ - المرجع نفسه، ص: 48-88.

هو عنصر من عناصر التحويل، ويعني أي نقص في البنية السطحية مقارنة بالبنية العميقة، ويعبر عنه في المدرسة التوليدية بالمعادلة الرياضية التالية أ + ب ← ب¹.

والطريقة التي اعتمدها المنهج التحويلية في تفسير ظاهرة الحذف هي نفسها التي قدمها النحو العربي². لأن الحذف شائع في كل اللغات الإنسانية، لأنه من آليات التفكير الإنساني، لذلك يظهر في الجدل والكلمات والأساليب المختلفة. وهو في العربية كثير منه الإيجاز بالحذف³.

والحذف عنصر تحويلي يمس أحد أركان الجملة التوليدية فتحول إلى جملة تحويلية⁴. وهو نوع من الإيجاز ويكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف⁵. فالإنسان قد يكون أبلغ في كلامه حين يجز ويختصر فقد قيل: "البلاغة أن يجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ"⁶.

ويعرفه عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمببانا إذا لم تبين"⁷. والقاعدة العامة للحذف هي: "أن الحذف خلاف الأصل¹، ويتفرع عن هذه القاعدة قواعد فرعية أهمها:

1- محمد علي الخولي، "قواعد توليدية تحويلية"، ص: 38.

2- حليلة عمارة، "الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة"، دار واقل، الأردن، ط1، 2006م، ص: 223.

3- سمير استيتية، "اللسانيات"، عالم الكتب الحديث، جدار الكتب العالمي، ط2، 2005م، ص: 249.

4- أحمد كاظم العناب، مرجع سابق، ص: 46.

5- أحمد مطلوب، "البلاغة عند الجاحظ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام دائرة الشؤون الثقافية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م، ص: 79.

6- أحمد شامية، "في اللغة"، دار البلاغ للنشر، الجزائر، ط1، 2002م، ص: 118.

7- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2004، 5م، ص: 162.

- (1) إذا دار الأمرين الحذف وعدمه، كان الحذف على عدمه أولى، لأن الأصل عدم التقدير.²
 - (2) إذا دار الأمر بين قلة الحذف وكثرته، كان الحمل على قلته أولى، لنقل مخالفة الأصل.³
 - (3) ينبغي أن يكون المحذوف من لفظ المذكور مهما أمكن.⁴
 - (4) إذا دار الأمر بين تقدير الشيء في مكانه الأصلي، وفي غير مكانه، فالقياس هو الأول لثلاثي يخالف الأصل من وجهين: الحذف، ووضع الشيء في غير محله.⁵
- إن إيجاد عنصر أساس في الجملة ضروري، وذلك بإجراء عملية عقلية خيالية محضة يسميها النحاة التقدير.⁶
- وهو مظهر من مظاهر التأويل، وكما يتخذ صوراً شتى في النحو العربي، مثل تقدير الجملة وأجزاء الجملة.⁷

وتقدير الجملة يقع في أبواب كثيرة منها القسم، كقولنا: والله لأفعلن، وتقديره أقسم بالله.⁸

ورأى النحاة من خلال استقراء كلام العرب أن الحذف لا يخرج عن الأطر الآتية:

– **الحذف الواجب:** كحذف خبر المبتدأ الواقع بعد لو لا، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة 151]، وحذف الفعل في أسلوب التحذير عند تكرار المحذّر منه، مثل الخيانة، الخيانة.⁹

1- الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ط2، 1957م، ج3، ص: 104.

2- ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعراب"، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1992م، ص: 682.

3- الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج3، ص: 104.

4- ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعراب"، ص: 682.

5- المرجع نفسه، ص: 678.

6- رابع بومعزة، "من أنماط التحويل في النحو العربي"، عالم الكتب الحديث، جزار الكتاب العالمي، ط1، 2008م، ص: 70.

7- علي أبو المكارم، "الحذف والتقدير في النحو العربي"، دار غريب مصر، ط، 2008م، ص: 204.

8- المرجع نفسه، ص: 214.

9- شوقي ضيف، "تجديد النحو"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، دت، ص: 239.

- الحذف الجائز: ويقع إذا دلّ عليه دليل، أو قرينة لفظية، وهو ما يشير إليه سيويه بقوله: وإنما أضمر وإما كان يقع استخفاً، لأن المخاطب يعلم ما يعني، فجرى بمنزلة المثل ... و ... حذف لكثرة هذا في كلامهم"¹.

كما يمكن أن يكون الحذف:

- ✓ سمياً: وهو ما كثر استعماله، ولا يتبع قاعدة محددة مثل قولنا: أهلاً وسهلاً.
- ✓ قياسياً: ويأتي في مواضع محددة مثل: اجتماع الشرط والقسم، فيحذف جواب المتأخر منهما، فإن قلت: إن قمت، والله، أقم، (فأقم) جواب الشرط، أما جواب القسم (والله)، فمحذوف لدلالة جواب الشرط عليه"².

(2) حذف الفعل:

إن العرب لا تضر في أي موضع، وإنما هناك مواضع يجوز فيها الإضمار والإظهار ومواضع يجب فيها الإضمار، ومواضع أخرى يجب فيها الإظهار.

وقول سيويه: "فاعرف فيما ذكرت لك أن الفعليجري في الأسماء على ثلاثة مجار. فعل مظهر لا يحسن إضماره، وفعل مضمر مستعمل إظهاره، وفعل مضمر متروك إظهاره فأما الفعل الذي لا يحسن إضماره، فإنه أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرب ولم يخطر بباله ، فتقول: زيدا، فلا بدّ له من أن تقول له: اضرب زيدا، وتقول له: قد ضربت زيدا، أو يكون موضعاً يقبح أن يعرى من الفعل نحو: أن وقد وأشبه ذلك وأن الموضع الذي يضر فيه وإظهاره مستعمل، فنحو قولك: زيدا لرجل في ذكر ضرب تريد: اضرب زيدا"³. وأما الموضع الذي لا يستعمل فيه الفعل: المتروك إظهاره فمن الباب الذي ذكر فيه إياك إلى الباب الذي آخره ذكر مرحباً وأهلاً.

1- سيويه، "الكتاب"، ج1، ص: 224.

2- ينظر: مصطفى الغلاييني، "جامع الدروس العربية"، ص: 296.

3- سيويه، "الكتاب"، ج1، ص: 298. وينظر: الشتمري، "النكت في تفسير سيويه، تح: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، 1999م، ج1، ص: 454.

2- أسلوب الاختصاص:

يستخدم هذا الأسلوب في اللغة العربية، وله تأثير صوتي مثير للانتباه، فوقعه التعبيري يكون مثيراً للذاكرة، ولا يجوز أن يكون المختص إلا معرفاً¹. فهو نصب الفعل بفعل محذوف وجوباً تقديره (أخص)، أو (أعني)، ولا يكون هذا الاسم إلا بعد ضمير لبيان المراد منه، وقصر الحكم الذي للضمير عليه².

أو أكثر الأسماء دخولا في هذا الباب (بنو)، و(معشر) مضافة، مثله قول الشاعر³:

يقول سيويه: "هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظة على موضع النداء نصباً لأن موضع النداء نصب، ولا تجرى الأسماء فيه مجراها في النداء لأنهم لم يجروها على حروف النداء، ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء"⁴ ثم يقول: وأكثر الأسماء دخولا في هذا الباب (بنو)، و(معشر) مضافة ومثله قول الشاعر⁵:

إنّا - بني منقر - قوم ذوو حسب ❖ فينا سراة بني سعد وناديننا.

قد (بني) منصوبة بفعل الاختصاص المحذوف تقديره (أعني)، أو (أخص)، ومثال وأصل الجملة (إنّا أعني بني منقر) وبالتالي جملة بأننا بني منقر جملة محولة بواسطة قاعدة الحذف (...). المتمثلة في حذف الفعل في أسلوب الاختصاص عن جملة توليدية أو بنية عميقة تقديرها: (إنّا أعني بني منقر).

1- صالح بلعيد، "النحو الوظيفي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص: 120.

2- مصطفى الغلاييني،

3- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 233.

4- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 233.

5- المصدر نفسه، ج2، ص: 233.

ومن ذلك قولك: إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال، أعني ولكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء، لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب، وأنهم لا يريدون أن يحملوا الكلام وعلى أوله، ولكن ما بعده محمول على أوله¹.

فقوله: (أنا معشر العرب) جملة محولة - بواسطة قاعدة حذف المفعول في أسلوب الاختصاص - عند جملة توليدية أو أصلية يمثل البنية العميقة للكلام تقديرها (إنا أعني معشر العرب نفعل كذا وكذا).

ويجب أن يكون المختص معرفاً ب (ال) أو مضافاً إلى معرفة ب (ال)، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن معشر الأنبياء لا نورث"²
ثم استشهد سيويه بقول الفروزدق:

❖ ألم ترى أنا بني دارم ❖ زرارة منا أبو معبد

يقول: فإنما اختص الاسم هنا ليعرف بما حمل على الكلام الأول، وفيه معنى الافتخار³
فهنا أيضاً كلامه (بني) منصوبة بفعل الاختصاص المحذوف وعلامة نصبها الياء لأنها ملحقة بجمع المذكر السالم، والبنية العميقة هي: (ألم ترى أنا - أعني بني دارم).

3-الإغراء:

أسلوب يستخدم للبحث عن أمر محمود ومحبوب مثل قولنا: الجهاد الجهاد والتقدير: الزم الجهاد يقول ابن هشام: "والإغراء هم تنبيه المخاطب إلى أمر، محمود، ليفعله، وتقدير فعله عند

¹ - المصدر نفسه، ج2، ص: 233.

² - صالح بلعيد، "النحو الوظيفي"، ص: 120.

³ - سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 234.

النحاة (الزم)، ويكون الإغراء بذكر المغري به مكرراً أو غير مكرر، فإذا وجد التكرار أو العطف وجب إضمار الناصب¹.

وهو تنبيه المخاطب إلى أمر محمود ليفعله، نحو المروءة والنجدة، وأخاك والإحسان إليه، وأخاك أخاك، ولا يكون با(أيا) لأنه خاصة بالتحذير، وتقدير فعله عند النحاة إلزم².

ويستشهد سيبويه بقول الشاعر وهو المسكين:

أخاك أخاك إن من لا أخاله ❖ كساع إلى الهيجا بغير سلاح.

كأنه يريد: الزم أخاك³.

يقول أبو سعيد: غير أن هذا مما لا يحسن فيه إظهار الفعل إذا كررت ويحسن إذا لم تكرر، إذا قلت: أخاك حسن أن تقول: الزم أخاك، وإذا قلت، أخاك أخاك، لم يحسن أن تقول: الزم أخاك أخاك لأنهم إذا كرروا جعلوا أحد الاسمين كالفعل. والاسم الآخر كالمفعول. وكأنهم جعلوا أخاك الأولى بمنزلة "الزم"، فلم يحسن أن تدخل "الزم" على ما قد جعل بمنزلة "الزم"⁴.

ويقول الرماني: "فهذا من المحذوف على تقدير: (احفظ أخاك) لأنه في حال وصية وحض على ما ينبغي أن يفعل"⁵.

وبالتالي جملة (أخاك أخاك) بنية سطحية محولة عن بنية عميقة بواسطة قاعدة حذف الفعل في أسلوب الإغراء عند تكرر المغري - تقديرها. (إلزم أخاك). وأضمر الفعل هنا كما قلنا بسبب تكرر المغري وهي كلمة (أخاك).

1- ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك"، تح: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، لبنان، ص: 79.

2- فاضل صالح السمرائي، "معاني النحو"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م، ج2، ص: 115.

3- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 256.

4- السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج2، ص: 155، وينظر: الشنتمري، "شرح كتاب سيبويه"، ج1، ص: 455.

5- محمد إبراهيم يوسف شيبه، "شرح كتاب سيبويه لعلي بن عيسى الرماني" رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى، السعودية، ج2 ص: 548.

ثم تناول سيبويه هذا الأسلوب (الإغراء) في باب بعنوان (ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي ويستشهد بقوله عز وجل: ﴿بَلْ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا، كأنه قيل لهم: اتبعوا، حين قيل لهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾¹.

غير أن السيرافي في هذا الباب لم يتناول هذه الآية². وكذلك الشنتمري ويقول الرماني: "فهذا شاهد في حذف الفعل بعد الحرف وتقديره (بل نتبع ملة إبراهيم) ودليله قوله تعالى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ لأن هذا بمنزلة (اتبعوا اليهودية أو النصرانية)، وليس المعنى (كونوا أنتم إياهم)، فلما قام هذا اللفظ في مفهومه مقام (اتبعوا) حمل حذف الفعل عليه، تقدير (بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا). إذن فقد وردت (ملة) منصوبة على الإغراء، وجملة (ملة إبراهيم) محولة عن جملة قاعدة حذف الفعل دائما في أسلوب الإغراء عن جملة أصلية.

تمثل البنية العميقة وتقديرها: "الزموا ملة إبراهيم).

وكذلك الآية التي بعدها قوله تعالى: ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً﴾ فقد جاءت كلمة (صبغة) منصوبة على الإغراء، وقيل منصوبة لأنها مفعول مطلق³.

4- التحذير:

أسلوب من الأساليب النحوية وهو "تنبيه المخاطب إلى أمر مكروه لتجنبه"⁴، ويكون ذلك بفعل محذوف يفيد التحذير، ويقدر كما يناسب المقام: ك(حذر) و(تجنب)، و(ق)، و(توق)⁵.

1- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 257.

2- ينظر: السيرافي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 155، 156.

3- محي الدين درويش، "إعراب القرآن الكريم وبيانه"، دار اليمامة، بيروت، ج1، ص: 182.

4- ابن هشام، "أوضح المسالك" ص: 75، وينظر: الأشموني، ج3، ص: 188، والتصريح، ج2، ص: 192.

5- مصطفى الغلاييني، "جامع الدروس العربية"، ص: 418.

وهو على ضربين:

1. ذكر المحذر مع المحذّر منه: (إياك والغيبة) (يدك والنار) فالمحذر في الأولى (إياك) تعود على المخاطب، وفي الثانية (يدك) والمحذر منه (الغيبة)، و(النار) في المثالين.
2. ذكر المحذر منه مكرراً أو غير مكرر نحو: النار النار، الأسد¹.

ولنا في إعراب هذين الأسلوبين (الإغراء والتحذير) عدة حالات، فإذا كان الأسلوب مصاغاً بتكرار الكلمة، فإننا نعرب الأولى مفعول به لفعل محذوف، والكلمة ثانية توكيداً لفظياً. أما إذا كان الأسلوب مصاغاً بعطف، فإننا نعرب الكلمة الأولى مفعول به لفعل محذوف والكلمة الواقعة بعد الواو فإنها تعرب كما يلي²:

1. مفعول به لفعل محذوف، والعطف يكون بين الجملتين.
2. اسم معطوف منصوب والواو حرف عطف.
3. مفعول معه والواو للمعية.

يقول سيبويه: "هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير*" وذلك قولك إذا كنت تحذّر: إياك. كأنك قلت: إياك نح، وإياك باعد، وإياك اتق وما أشبه ذا. ومن ذلك أن تقول: نفسك يا فلان، أي اتق نفسك³. إلا أن هذا لا يجوز فيه اظهار ما أضمر، ولكن ذكرته لا مثل لك مالا يظهر اضماره⁴.

¹ - فاضل صالح السمرائي، "معاني النحو"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م، ج2، ص: 102.

² - ينظر: الحاج بونيف، "اللغة العربية"، دار القصبية الجزائر، ط 2006، ص: 191.

* - يقول الرماني: "الذي يجوز في الفعل المتروك إظهاره في الأمر والتحذير نصب المفعول على حذف الفعل الذي يؤذن به حال التحذير أو الحض على الفعل المخصوص على تقدير الأمر".

³ - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 273. وكذلك: السرافي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 169.

⁴ - سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 273.

يقول أبو سعيد: "هذا الذي ذكره سيبويه صحيح، وبعض النحويين ياباه ويزعم أنه لا مضمّر ينصبه، وكذلك يزعم في قولنا: خَلَفَكَ زَيْدٌ، أن (خَلَفَكَ) ينتصب لا باضمّار فعل ولكن بمخالفته ما بعده. وهذا كلام فاسد، لأن المنصوب لا بدّ له من ناصب مضمراً كان أو مظهرًا...¹".

ثم يقول: "وهذا الفعل الناصب لأياك لا يحسن إظهاره، وذلك أن العرب اكتفت بإياك وكان موضوعها غير مشكل"².

يظهر من قول سيبويه أن (إياك) المكون من (إيا) وكاف الخطاب تشمل البنية السطحية المحولة بحذف فعل في أسلوب التحذير عن البنية العميقة أو المجلة التوليدية (الأصلية) والتقدير: (إياك باعد) أو (إياك اتق).

وكذلك قوله (نفسك يافلان) تمثل بنية سطحية أي جملة محولة دائماً بواسطة قاعدة الحذف عن بنية عميقة أو جملة توليدية تقدر بـ (اتق نفسك يا فلان).

يقول سيبويه: "ومن ذلك أيضاً قولك: إياك والأسد، وإياك والشر، كأنه قال: إياك فاتقين والأسد، وكأنه قال إياي لأتقين والشر. فإياي متقى والأسد والشر متقيان، فكلاهما مفعول ومفعول معه أو منه"³.

يقول أبو سعيد: "وأما قوله: إياك والأسد فإنه يضمّر فعلاً ينصب به إياك كما قدمنا، ويعطف الأسد على إياك كأنه قال: زيدا فاضرب وعمراً"⁴.

ثم يقول: "فإن قال قائل: "إذا جعلت الأسد عطفاً على إياك بالواو فقد شاركه في معناه. لأن المعطوف بالواو يشارك المعطوف عليه. ألا ترى أنك تقول ضربت زيدا وعمراً؛ فالضرب واقع عليهما

1- السراي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 169.

2- المرجع نفسه، ج2، ص: 169. وكذلك الشنمري، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 465.

3- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 273-274.

4- السراي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 170.

جميعاً، فينبغي أن يكون الأسد مشركاً لا ياك؛ فيكون الأسد مشاركاً مخوفاً كما كان المخاطب، أو يكون المخاطب مخوفاً كما كان الأسد محذور مخوف¹.

يقول الشنتمري: "وكذلك (إياك والأسد) المعنى الناصب لهما واحد، وإن كان طريق التخويف مختلفاً فيهما، وأما (إياي والشر)* فليس يخاطب نفسه، وإنما يخاطب رجلاً يقول إياك والشر، فينصب (إياي) بإعْدُ وما أشبهه، ويحذف حرف الجر من الشر ويوقع الفعل المقدر عليه فيعطفه على الأول"².

وبالتالي فجملة (إياك والأسد) بنية سطحية محولة بواسطة حذف فعل الأمر في أسلوب التحذير لأنه متضمن لهذا المعنى (الأمر) - عن بنية عميقة أو جملة توليدية والتي تمثل الأصل والتقدير: (إياك فا اتقين والأسد)

وكذلك: (إياي والشر) بنية سطحية محولة عن بنية عميقة والتقدير: (إياي لأتقين والشر)، وإذا كان يخاطب رجلاً فالتقدير: (إياي باعد والشر)، واللذان يمثلان أصل الكلام.

5- التحويل بإعادة الترتيب:

إن الترتيب الذي يعدّ عنصراً تحويلياً، هو ذلك الذي يتم فيه إجراء تحويل يقع على ترتيب عناصر الجملة أو الوحدة الاسنادية، مثل: تقدير الفاعل على الفعل أو المفعول به على الفعل والفاعل

¹- المرجع نفسه، ج2، ص: 170.

*- يقول الرماني: "وتقول في حال التحذير: (إياك) و(إياك والشر)، و (إياك إياك) ففي جميع هذه الأحوال لا يظهر الفعل، لأنه يصلح إن يحدث به في كل معنى يحذر منه فجرى لفظه على حد مقتضى معناه".

²- الأعلام الشنتمري، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 465، 466.

معاً. ونحو تقدير الخبر على المبتدأ¹. وهو نوعان: وجوبي مثل: تقدير اسم الاستفهام، ومواضع تقديم المفعول به، ب) جوازي: مثل تقديم المفعول به في قولنا: شرب الحليب الولد².

ويرى علي أبو المكارم أن يلجأ إليه النحاة لتأويل النصوص المخالفة لقواعد التركيب³ وجاء في "الإيضاح" في تقديم معمولات الفعل: "وتقديم بعض معمولاته على بعض فهو إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه. كتقديم الفاعل على المفعول، "ضرب زيد عمراً" وتقديم المفعول الأول على الثاني نحو: أعطيت زيدا درهماً، وإما لأن ذكره أهم والعناية به أهم"⁴.

وقد ذكر سيويوه أن العرب إذا أرادت الاهتمام بشيء قدمته، وجعلته في الصدارة وهذا ما بينه في سياق تقديم المفعول به عن الفاعل: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بيانه أعني، وإن كانا جميعاً يهماهم ويعنيانهم"⁵.

قال أبو سعيد: "اعلم أن الشاعر قد يضطرُّ حتى يضع الكلام في غير موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه، فيزيله عن قصده الذي لا يحسن في الكلام غيره. ويعكس الإعراب فيجعل الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً، وأكثر ذلك فيما لا يشكل معناه⁶. فمن ذلك قول الأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لها ❖ عند المفاخر إبراء ولا صدر

مثل القنفاذ هداجون قد بلغت ❖ نجران أو بلغت سواهم هجر⁷.

1- رابع بومعزة، "من أنماط التحويل في النحو العربي"، ص: 73.

2- ينظر: خليل عمارة، "في نحو اللغة وتراكيبها"، ص: 134.

3- علي أبو المكارم، "أصول التفكير النحوي"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص: 250.

4- القروي، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق لجنة من أساتذة الأزهر، مطبعة السنة المحمدية، ج1، ص: 113. وينظر:

الزركشي، "البرهان في علم القرآن"، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1957م، ج2، ص: 233.

5- سيويوه، "الكتاب"، ج1، ص: 15.

6- السيرا، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 239.

7- السيرا، "ديوان الأخطل"، ص: 109.

أراد بلغت نجران سواتهم أو هجر، وذلك وجه الكلام؛ لأن السوات تنتقل من مكان فتبلغ مكاناً آخر، والبلدان لا ينتقلن، وإنما يبلغن ولا يبلغن.

فقد قلب الإعراب لأن المعنى هنا لا يشكل¹.

يظهر من قول الشاعر أن (بلغت نجران أو بلغت سواتهم هجر، تمثل بنية سطحية حوولة بواسطة تقديم المفعول به (نجران) على فاعل الجملة الحقيقي (سواتهم) لأنها هي التي تنتقل من مكان إلى آخر عن جملة أصلية أو بنية عميقة والتقدير بلغت سواتهم نجران.

وقال ابن مقبل:

ولا تتهيبني المومة أركبها ❖ إذا تناوحت الأصداء بالسحر.

أراد: ولا أتهيب المومة .

فجملة (تتهيبني المومة) محولة بواسطة قاعدة تقديم ياء المتكلم بعد "نون الوقاية" والتي تعثر مرتبة المفعول به . فكأنه قد جعل أن الموت هي التي تهابه . عن بنية عميقة أو جملة توليدية والتقدير: (ولا أتهيب المومة).

ومما وضع في غير موضعه قول الشاعر:

صدّدت فأطولت الصدود وقلّما ❖ وصالّ على طول الصدود يدوم².

ووجه الكلام: (وقلما يدوم صالّ على طول الصدود)؛ لأن "قل" قبل دخول "ما" حكمها ألا تليها الأفعال لأنها فعل، فإدخلوا عليها "ما" ليوظئوها للفعل فلما اضطرّ، قدم الاسم الذي كان يقع بعد "قل" قبل دخول "ما"³. وإذا قلت: قلّما يدوم وصال، فإن "قل" لم تزل عن فعليتها، غير أن

1- الشنتمري، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 228.

2- هو المرار الفقعسي، من شعراء الدولة الأموية المقلّين، نسبه إليه ابن السيرافي والأعلم والبغدادي، ونسبه سيويوه إلى عمر بن أبي ربيعة في موضع وفي موضع آخر من غير نسبة.

3- الشنتمري، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 220.

الذي يرتفع بها "ما"، وهي اسم مبهم تجعل في هذا الموضع للزمان، فكأنه قال: قَلَّ وقتٌ يدوم فيه وصالٌ، ويحذف العائد، كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48].

وقد يجوز في "قلما" أن تجعل "ما" زائدة، ويرفع "وصال" "ب" قلَّ فكأنك قلت: وَقَلَّ وصالٌ يدوم، كما قال الله عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: 155].

الأصل في الخبر مثلاً أن يأتي بعد المبتدأ، وقد أكد سيبويه ذلك بقوله: "فالمبتدأ كل اسم ابتدئ به ليبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني عليه ما بعده فهو مسند ومسند إليه"¹.

ويقول كذلك: "وأعلم أن المبتدأ لا بد له من أن يكون المبني عليه شيئاً هو أو يكون في مكان أو زمان". وهذه الثلاثة يذكر كل واحد منهما بعد ما يتبدأ"².

يقول أبو سعيد: "فأما الذي يبنى عليه شيء هو هو، فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق؛ ارتفع عبد الله لأنه ذكر ليبنى عليه المنطق، وارتفع المنطلق لأن المبني على المبتدأ بمنزلة"³.

لكنه قد تختلف هذه الرتبة فيتقدم الخبر عن المبتدأ، وهذا التقديم منه ما هو صحيح مقبول ومنه ما هو غير مقبول.

يقول أبو سعيد: "... وإنما جاز تقديم خبر المبتدأ لأن فيه من التعرية مثل ما في المبتدأ، ويقوي هذا قول سيبويه: لأن المبني على المبتدأ بمنزلة" وعلى نحو هذا سواى الكوفيون بين الابتداء والخبر، فجعلوا كل واحد منهما رافعا للآخر، وأيهما تقدم رفع الذي بعده، وأيهما تأخر رفع الذي قبله"⁴.

1- سيبويه، "الكتاب"، ج2، ص: 126. وينظر: السراي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 456.

2- المصدر نفسه، ج2، ص: 127.

3- السراي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 457.

4- المرجع نفسه، ج2، ص: 457.

وزعم الخليل - رحمه الله - أنه يستقبح أن يقول: قائم زيد، وذلك إذا لم تجعل قائماً مقدماً مبنياً على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيداً عمرو وعمرو على ضرب مرتفع. وكان الحد أن يكون مقدماً ويكون زيد مؤخراً. وكذلك هذا، الحد فيه أن يكون الابتداء [فيه] مقدماً. وهذا عربي جيد. وذلك قولك: تميمي أنا، ومشنوء من يشنؤك! ورجل عبد الله، وخز صفتك¹.

وورد في شرح السرايى "... وذلك قولك: تميمي أنا، ومشنوء من يشنؤك وأرجل عبد الله، وخذ صنتك"².

وقد وضح السيرافى ما عناه سيويه بأن قولك: قائم زيد قبيح إن أردت أن تجعل قائم هو المبتدأ، وزيد خبره أو فاعله، وذلك لأنه يقبح تقديم الخبر المشتق على المبتدأ. وليس بقبيح أن تجعل قائم خبراً مقدماً، والنية فيه التأخير كما تقول: ضرب زيداً عمرو، والنية تأخير زيد الذي هو مفعول، وتقديم عمرو الذي هو فاعل، وذلك قولك تميمي، ومشنوء من يشنؤك أرجل عبد الله، وخذ صنتك"، وقال بعد تقديم

فالأصل تقديم المبتدأ وهذا عربي جيد، إلا أنه يجوز تقديم الخبر على نية التأخير كما في المثال السابق.

إذا أسقطنا ما قاله تشومسكى على الأمثلة التي أتى بها سيويه نجد أن جملة (تميمي أنا) تمثل بنية سطحية محولة. بواسطة قاعدة التقديم (Fronting) حيث قدم الخبر (تميمي) على المبتدأ (أنا). عن بنية عميقة أو جملة أصل والتقدير: (أنا تميمي)

وكذلك جملة (مشنوء من يشنؤك) محولة عن جملة أصلية أو بنية عميقة بواسطة قاعدة تقديم خبر (مشنوء) على اسم الموصول (من) الذي يمثل المبتدأ وصلية جملة (يشنؤك) والتقدير: (من يشنؤك مشنوء).

1- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 127.

2- السيرافى، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 457.

أما جملة (رجل عبد الله) فمحوّلة عن الجملة الأصلية أو التوليدية بواسطة قاعدة تقديم الخبر والتقدير: (عبد الله رجل). وما يقال عن هذه يقال عن جملة (خزُّ صفتك) المحوّلة دائماً بواسطة تقديم الخبر والتقدير: (صفتك خزُّ).

هذا وقد ذكر سيبويه وجوب تقديم الخبر إذا كان ظرفاً، أو جاراً ومجروراً أو ماله الصدارة في الكلام كأدوات الاستفهام كما في التراكيب:

☞ فيها عبد الله

☞ ثم زيد.

☞ ههنا عمرو.

☞ أين زيد؟

☞ كيف عبد الله؟ وما أشبه ذلك..

وأكد سيبويه وجوه التقديم بقوله: "وهذا لا يكون إلا مبدوءاً به قبل الاسم؛ لأنها من حروف الاستفهام"¹.

وهذا ما يتناوله في قول: "هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدئ ويسدُّ مسدّه لأنه مستقرُّ لما بعده وموضع، والذي عمل فيه بعده حتى رفعه هو الذي عمل فيه حين كان قبله؛ ولكت كل واحد منهما لا يستغنى به عن صاحبه، فلما جمعا استغنى عليهما السكوت، حتى صار في الاستغناء كقولك: هذا عبد الله.

وذلك قولك: فيها عبد الله. ومثله: ثم زيد، وههنا عمرو، وأين زيد، وكيف عبد الله، وما أشبه ذلك"².

¹ - سيبويه، "الكتاب"، ج2، ص: 128.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 128.

ثم يقول: فمعنى أين في: أي مكان، وكيف: على أية حالة¹. وأكد سيبويه وجوب التقديم بقوله: "وهذا لا يكون إلا مبدوءاً به قبل الاسم؛ لأنها من حروف الاستفهام، فشبهت بهل وألف الاستفهام لأنهنَّ يستغنين عن الألف، ولا يَكُنَّ كذا إلا استفهاماً"².

قال أبو سعيد: جملة هذا الباب أن المبتدأ الذي خبره ظرفٌ من مكان أو زمان إذا تقدم الاسم الظرف فرفع الاسم على ما كان وهو متأخر، كقولك: فيها زيد، لأنك تقول: إن فيها زيدا، كما تقول: إن زيدا فيها. وقد تكرر هذا في مواضع ويقوي ذلك أننا نقول: أين زيد؟ وكيف عمرو؟ وأين وكيف لا يكونان اسمية وإنما هما خبران لا غير، والدليل على ذلك أنك لو قلت: أين يجني أو كيف يسري؟ فلم يجز كجوان من يجني وما يسري؛ لأن من وما اسمين يخبر عنهما، وليس أين وكيف كذلك، وتقدم أين وكيف لا يجعلهما اسمين، وكذلك تقدم فيها وما أشبهه غير أن أين وكيف يلزمهما التقديم بسبب الاستفهام³.

يظهر من خلال الأمثلة التي قدمها سيبويه أن جملة محولة بواسطة قاعدة التقديم .

- ففي الجملة الأولى قدم الخبر المتكون من الجار والمجرور (فيها) على المبتدأ (عبد الله) وجوباً، عن الجملة التوليدية أو بنية عميقة والتقدير: (عبد الله فيها)
- أما الجملة الثانية: فمحولة بتقديم ظرف المكان (ثم) على المبتدأ زيد عن بنية عميقة أو جملة أصل تقديرها: (زيد ثم).
- وفي الجملة الثالثة: أيضاً محولة بتقديم ظرف المكان (ههنا) عن المبتدأ (عمرو) عن بنية عميقة: تقديرها (عمرو ههنا).

¹ - المصدر نفسه ، ج2، ص: 128.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 128.

³ - السيرافي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 459.

- أما الجملتين الرابعة والخامسة محولتين بتقديم اسمي الاستفهام (أين وكيف). الذين يحتلان موضع الخبر المقدم، عن المبتدأين (زيد وعبد الله) على التوالي. عن البنيتين العميقتين. (زيد في المنزل)، (عبد الله مريض) مثلاً.

ثم يتناول في باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل واسم المفعول لشيء واحد¹، وهو يقصد بهذا الباب: "كان وأخواتها"، ويعني باسم الفاعل²

واسم المفعول: الاسم والخبر للفعل الناسخ، فقد شبهه بالفعل يأخذ فاعلاً ومفعولاً.

وما عناه بقوله: اسم الفاعل واسم المفعول لشيء واحد" هو أن الاسم والخبر يتضمنان معنى واحداً،³ "كان عبد الله أخاك" فالأخ هو عبد الله في المعنى⁴.

وقد مثل سيبويه لذلك فقال: "تقول: كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أن أخبر عن الأخوة، وأدخلت كان لتجعل ذلك في ما مضى، وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول في "ظننت"⁵.

يعني أن الفائدة في قولك: "كان عبد الله أخاك" الإخبار عن الأخوة، وكذلك الفائدة في كل اسم وخبر⁶.

يقول سيبويه: "وإن شئت قلت: كان أخاك عبد الله، فقدّمت وأخرت كما فعلت ذلك في ضرب لأنه فعل مثله، وحال التقديم والتأخير فيه كحاله في ضرب إلا أن اسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد"⁷.

1- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 45.

2- معصومة عبد الصاحب، "الجملة الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشوسيكى التوليدية التحويلية"، ص: 72.

3- المرجع نفسه، ص: 72.

4- ينظر: المبرد، "المقتضب"، ج4، ص: 86.

5- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 45.

6- السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 299.

7- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 45.

يعني أن تقديم المنصوب في هذه الأفعال كتقديم المفعول. فجاز أن تقول: "كان أخاك عبد الله" كما جاز: "ضرب أخاك عبد الله" و"أخاك كان عبد الله" كما تقول: "أخاك ضرب عبد الله"¹.
 ويجوز في خبر (كان) أن يتقدم على اسمها وعليها لأنها تتصرف في نفسها لأنها تتصرف في نفسها فيقتضي ذلك تصرفها في عملها. ولا يجوز في (ليس) أن يتقدم خبرها عليها لأنها لا تتصرف في نفسها².*

يظهر مما قاله كل من سيبويه في كتابه والسيرافي في شرحه أن الجملة: (كان أخاك عبد الله) جملة محولة. بواسطة قاعدة تقديم خبر الناسخ (كان) على اسمها قياساً على بنية (ضرب أخاك عبد الله) - عن بنية عميقة أو جملة أصل تقديرها: كان عبد الله أخاك) وقد أطلق عليها تشومسكي الجملة التوليدية فالتقديم لأحد عناصر الكلام وإعادة ترتيبها (كذلك حذف أحد مكوناته) الذي انتهجه قدماء النحاة العرب إنما هي من خصائص النحو الكلي أو كما يطلق عليه تشومسكي (Universal Grammar)³.

6- التحويل بالزيادة:

إن الزيادة هي ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبر عنها النحاة بالفضلات أو التتمات أو غير ذلك، ويعبر عنها البلاغيون بالقيد⁴.

¹ - السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 299.

* - هذا رأي الكوفيين والمبرد وابن السراج والزجاج وغيرهم، وذهب جمهور البصريين إلى جوازه ينظر: ابن السراج، "الأصول"، ج1، ص: 89، 90. والإنصاف، ج1، ص: 160.

² - محمد إبراهيم يوسف شيبه، "شرح كتاب سيبويه لعلي بن عيسى الرماني"، رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ص: 215.

³ - ينظر: محمد علي الخولي، "قواعد تحويلية للغة العربية"، ص: 39-40.

⁴ - خليل عمارة، "في نحو اللغة وتراكيبها"، ص: 96.

والزيادة التي تعتبر عنصراً تحويلياً، هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة أو الوحدة الاسنادية التوليدية كلمات قد تكون فضلات أو قيود¹. وهي بهذا المفهوم هي إدخال عنصر لغوي على الوحدة الانادية الأساسية، أي الجملة التوليدية الأصل لتصبح بذلك جملةً تحويلية. فكل زيادة تدخل على الجملة التوليدية الفعلية أو (الاسمية)، تحول معناها إلى معنى جديد غير الذي كان². وهذه الكلمات تعطي الجملة قيمة دلالية جديدة نعرفها من خلال العلاقة بين هذه الكلمات والجملة الأصلية³. فكل زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى. وهذا المعنى مخالف للمنهج التوليدي "ذلك أن هذه المدرسة ترى أن كل زيادة في المبنى هي أثر خطي يظهر في التركيب السطحي من دون تفسير له في البنية التحتية أو العميقة. ويدلّ على هذا عبده الراجحي بقوله: "إن المواضع التي تحدث فيها سيوبه عن الزيادة فيها إلحاح على أن الزائد لا يدلّ على معنى، وكأنه يشير إلى البنية العميقة في الكلام"⁴.

إن الجملة التوليدية - سواء كانت اسمية أو فعلية - قد تلحقها زيادة تظهر على بنيتها السطحية ويمكن أن تفسر هذه الزيادة في بنيتها العميقة، ومن الزوائد التي ذكرها النحاة. دخول الأفعال الماضية الناقصة (كان وأخواتها) وهن عناصر زمن لاغير، ودخول إن وأخواتها على الجملة التوليدية الاسمية، إذ أنها تؤدي في الجملة معنى جديداً يضاف إليها، ومثل الأفعال الناقصة والأسماء المشبهة بالأفعال التي تأتي زائدة فتفيد معنى بزيادتها، بعض أفعال الشروع والرجحان والمقاربة وأدوات التوليد والاستفهام، وأفعال المدح والذم، وقد للتحقيق والتوكيد، ولن، ولم، وبقية أدوات النصب والجزم للفعل، وأدوات الشرط...⁵.

1- رابع بومعزة، "من أنماط التحويل في النحو العربي"، ص: 66.

2- خليل عمايرة، "في نحو اللغة وتراكيبها"، ص: 96.

3- خليل عمايرة، "في نحو اللغة وتراكيبها"، ص: 122.

4- ينظر: "عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث"، ص: 103، 104.

5- خليل عمايرة، "في نحو اللغة وتراكيبها"، ص: 104، 105..

ويرى أن الزيادة في اللغة العربية لغرض التأكيد، ويكون ذلك، إما بالتأكيد اللفضي، والذي يكون بإعادة المؤكد بلفظه سواء أكان فعلاً، أم اسماً، وأم حرفاً أم اسم فعل، أم جملة فعلية، أم جملة اسمية، أم مصدرًا نائباً عن فعل أو مرادفه، أم ضميراً منفصلاً أو يكون عن طريق التوكيد بالحروف الزائدة التي تفيد تقوية المعنى المراد وتوكيده¹. وعلامة زيادة هذه الحروف أن تحذف فلا يحدث تأثير في المعنى، من الناحية اللغوية².

وهي عناصر إضافية تدلّ على اقتران مضمون الجملة بمعنى التوكيد، ومنها: إن الام الابتداء، الحروف الزائدة، كالياء، ومن في سياق النفي والاستفهام³.

أولاً: التحويل بإضافة العناصر العاملة (النواسخ)⁴

وتشمل (كان وأخواتها)، وأفعال المقاربة والشروع، وأفعال الرجاء، "ما" وأخواتها المشبهات بليس⁵. كما يشمل التحويل بالزيادة "إن" وأخواتها⁶ ويشمل - أيضاً - ما يصطلح عليه النحاة بأفعال القلوب وأفعال التحويل⁷.

أ- كان وأخواتها: وهي عناصر إضافية لا علاقة لها بالإسناد إلا من حيث أنها تفيد اقتران الجملة بزمن⁸ وتسمى أيضاً بالأفعال الناقصة، لأن إسناده إلى مرفوعه لا يفيد القاعدة الأساسية المطلوبة من الجملة الفعلية إلا بعد مجيء الفعل المنصوب فالاسم المنصوب هو الذي يتم المعنى الأساسي المراد¹.

1- مزيان علي، "الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم"، دار أساريا للطباعة والنشر، الزاوية، ط1، 2001م، ص: 132.

2- الشريف العربي، "دروس في البلاغة العربية"، دار الشموع والثقافة، الزاوية، ط1، 2002م، ص: 31.

3- نورية شبيخي، "البنية التركيبية في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة"، ص: 143.

4- رابع بومعزة، "من أمطاط التحويل في النحو العربي"، ص: 146.

5- المرجع نفسه، ص: 147.

6- المرجع نفسه، ص: 150.

7- المرجع نفسه، ص: 153.

8- نورية شبيخي، "مرجع سابق"، ص: 143.

تدخل على المبتدأ والخبر، فترجع الأول تشابهاً له بالفاعل، ويسمى اسمها، وتنصب الثاني تشبيهاً بالمفعول به ويسمى خبرها². وقد اتفق النحاة على أنها ثلاثة عشر فعلاً فعلاً³. وهي: "كان"، و"صار"، و"أصبح"، و"أمسى"، و"أضحى"، و"ظل"، و"بات"، و"مازال"، و"مابرح"، و"ما انفك"، و"ما فتىء"، و"مادام" و"ليس". يدخل دخول أفعال القلوب على المبتدأ والخبر، إلا أنهن يرفعن المبتدأ وينصبن الخبر، ويسمى المرفوع اسماً، والمنصوب خبراً...⁴

ويقول صاحب الكتاب: "وذلك قولك: كان ويكون، و صار، وما دام، وليس وما كان نحو هن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر"⁵.

تقول: "كان عبد الله أخاك، وإنما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت كان لتجعل ذلك في ما مضى، وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول من ظننت"⁶. يعني أن الفائدة في قولك "كان عبد الله أخاك" الأخبار عن الأخوة، وكذلك الفائدة في كل اسم وخبر، وفي الخبر دون الاسم"⁷. وقوله: "أدخلت كان لتجعل ذلك في ما مضى" يعني أن كان دلّت أن الفائدة المستفادة بالخبر فيها مضى من الزمان"⁸.

إذن، فالوحدة الاسنادية (عبد الله أخاك) محولة بواسطة عملية تحويلية تسمى الزيادة (Addition) - حيث أضيف العنصر العامل أي الناسخ (كان)، لتضفي على التركيب الآلة حدوث الفعل في الزمن الماضي - عن بنية عميقة أو جملة أصل وتقدير الكلام قبل دخول الناسخ: (عبد الله أخوك).

1- حسن عباس، "النحو الوافي"، دار المعارف، مصر، ط3، 1974م، ص: 545.

2- مصطفى الغلابي، مرجع سابق، ص: 361.

3- حسن عباس، "النحو الوافي"، ج1، ص: 466.

4- الزمخشري، "شرح المفصل"، ج4، ص: 335.

5- سيويه، "الكتاب"، ج1، ص: 45.

6- المصدر نفسه، ج1، ص: 45.

7- السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 299.

8- المرجع نفسه، ج1، ص: 299.

وكذلك قولك: "زيد كان قائم" تريد ذلك الكون، وقد دلت كان على الزمن الماضي، لأنك لو قلت: "زيد قائم" ولم تقل (كان) لوجب أن يكون ذلك في الحال وهذا يعني أن (زيد كان قائم) محولة بزيادة عنصر التحويل وهو الحرف الناسخ (كان) - لاثبات أن القيام حدث في الزمن الماضي - عن بنية عميقة تقديرها: (زيد قائم) المكونة من مبتدأ وخبر.

يقول صاحب الكتاب: ومعنى "صار" الانتقال، وهو في ذلك على استعمالين: أحدهما قولك: "صار الفقير غنياً"، والطين خزفاً"، والثاني "صار زيد إلى عمرو" ومنه كل حي صائر إلى الزوال¹. ويقول: "أبو سعيد: "وهي تدخل على جملة لم يكن لها مثل تلك الحال من قبل: فأما "صار" ففيها معنى الانتقال، وهي تدخل على جملة لم يكن لها مثل تلك الحال من قبل كقولك: "صار زيد عالماً" و"صار الطين خزفاً، أي انتقل إلى هذه الحال. وقد تدخل على غير جملة لما فيها من معنى الانتقال كقولك: "صار زيد إلى عمرو". وأنت لا تقول: "زيد إلى عمرو"، ولنكن بمعنى انتقل إلى عمرو"².

يظهر من خلال قول سيبويه أن جملة (صار زيد عالماً) محولة بواسطة قاعدة الزيادة حيث زيد الفعل الناقص "صار" الذي يدل على الانتقال من حالة إلى أخرى. عن بنية عميقة أو جملة أصل تقديرها: زيد عالم التي تدل على الثبوت من غير التجدد كما قال الجرجاني.

وكذلك الوحدة الاسنادية (صار الطين خزفاً) محولة بزيادة عنصر التحويل صار وهي بمعنى: استحال الطين خزفاً وانتقل إليه. عن بنية عميقة مقدرة ب (الطين خزف).

يقول أبو سعيد: "وأما أصبح وأمسى وأضحى وبات وظل فهي أوقات مخصوصة دخلن على جمل، فإذا قلت: أصبح عالماً فكأنك قلت: دخل في وقت الصباح وهو عالم، وإذا قلت: أمسى فقد

¹ - ينظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت، ج7، ص: 103.

² - السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 297.

قلت: دخل وقت المساء وهو كذلك "أضحى": دخل وقت الضحى. و"ظل زيد منطلقاً" أتى عليه النهار وهو منطلق و"بات زيد قائماً" أي أتى عليه الليل وهو قائم، فهذه أوقات مخصوصة¹.

يقول الشارح: "أما تدخل على المبتدأ والخبر لافادة زمانها في الخبر: فإذا قلت: "أصبح زيد عالماً" و"أمسى الأمير عادلاً" و"أضحى أخوك مسروراً" فالمراد أن علم زيد اقترن بالصباح، وعدل الأمير اقترن بالمساء، وسرور الآخر اقترن بالضحى"².

في المثال الأول من قول السيرافي نجد أن الوحدة الاسنادية (أصبح عالماً) محولة.

- بإضافة عنصر التحويل المتمثل في الفعل الناسخ أصبح. الذي يدل على الدخول في وقت الصباح؛ أي أصبح زيد عالماً. عن بنية عميقة تقديرها: (زيد عالماً) المكونة من المبتدأ زيد والخبر عالم.

- كذلك الوحدة الاسنادية (أمسى الأمير عادلاً) محولة بإضافة عنصر التحويل أمسى - التي على الدخول في وقت المساء. عن بنية عميقة تقديرها: (الأمير عادل).

ثم الوحدة الاسنادية (أضحى أخوك مسروراً) أيضاً محولة بإضافة عنصر التحويل (أضحى) الذي يدل على الدخول في وقت الضحى عن بنية عميقة تقديرها (أخوك مسروراً). أما قوله: (ظل زيد منطلقاً) فهي وحدة إسنادية محولة بإضافة الناسخ (ظل).

- الذي يدل على معظم النهار أي أتى عليه النهار وهو منطلق. عن بنية عميقة أو جملة أصل تقديرها (زيد منطلق).

يقول أبو سعيد: "وأما ليس فتدخل على جملة فتنتفيها في الحال، كقولك "ليس زيد قائماً والأصر: "زيد قائم" قبل دخول ليس " وفيه إيجاب قيامه في الحال، فإذا قلت: "ليس زيد قائماً" فقد نفيت هذا المعنى"³.

¹ - السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 297.

² - الزمخشري، "شرح المفصل"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون، ج4، ص: 355.

³ - السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 297.

ثم يقول: "وكان الأصل في "ليس": "ليس": مثل: "صيد البعير" فخففوه وألزموه التحفيف؛ لأنه لا يتصرف فالرّموه حالة واحدة، وإنما تختلف أبنية الأفعال لاختلاف الأوقات التي تدلّ عليها، وجعلوا البناء الذي خصوه به ماضياً لأنه أخف الأبنية، واختلفوا في تقديم خبرها عليها".

قال صاحب الكتاب: "وليس معناه نفي مضمون الجملة في الحال، تقول: ليس زيد قائماً الآن"، ولا تقول: ليس زيد قائماً غداً، الذي يصدق أنه فعل لحوق الضمائر وتاء التأنيث به ساكنة به...¹.

وفي هذه الأقوال نجد أن الوحدة الاسنادية الاسمية (ليس زيد قائماً) محولة بزيادة عنصر التحويل الناسخ (ليس). الذي يفيد النفي في الحال؛ أي نفي أن يكون زيد قائماً الآن. عن بنية عميقة تقديرها: (زيد قائم) المكونة من المبتدأ والخبر.

قال صاحب الكتاب: "والتي في أوائلها الحرف النافي في معنى واحد، وهو استمرار الفعل بفاعله في زمانه. ولدخول النفي فيها على النفي جرت مجرى كأنها للإيجاب وفي ثم لم يجز: "مازال زيد إلا مقيماً"².

يقول أبو سعيد: "... وأما (مازال) و "ما" للنفي و "زال" للنفي فصار المعنى بدخول النفي على النفي إيجاباً فإذا قلت: مازال زيد قائماً". ولم يزل بكر منطلقاً، و "لا يزال أخوك في الدار" فقد أوجبت ذلك كله بنفي النفي، ولا تستعمل "زال" إلا مع حروف النفي ولو قلت: زال زيد منطلقاً لم يجز"³.

¹ - المرجع نفسه، ج1، ص: 297.

² - الزمخشري، "شرح المفصل"، ج4، ص: 358.

³ - السيرافي، "شرح الكتاب"، ج1، ص: 298.

ويقول: أما قوله: ما دام زيد منطلقاً "فليست" ما "ها هنا مصلها في قولك: "ما زال" لأن "ما" في "زال" للنفي، و"ما" ههنا مع بعدها من الفعل في موضع مصدر يراد به الزمان، وذلك أنك إذا قلت: "أنا أقول ههنا ما دام زيد قاعداً فمعناه "أقوم ههنا دوام زيد قاعداً"¹.

إذن فالوحدة الاسنادية في كلا المثالين محولة عن طريق الإضافة الناسخين (ما زال) و(مادام). عن بنية عميقة تقديرها (زيد منطلق) إلا أن "ما زال" تدلّ على النفي، أما "ما" في "مادام" فتدلّ على المصدرية ومعنى "مادام" الدوام أي وقت الدوام.

وهذا وقد بحث سيبويه ضمن الأفعال الناسخة "كان وأخواتها" وهي ما تسمى بأفعال المقاربة²، فقال: "وهذه الحروف هي لتقريب الأمور شبيهة بعضها ببعض ولها نحو ليس لغيرها من الأفعال³، ويعني بذلك أنها تختلف عن بقية الأفعال الناسخة في أن خبرها لا يكون إلا جملة فعلية وهي ثلاثة أقسام:

أول: ما دلّ على المقاربة، وقد بين سيبويه أن كاد وكرب بمعنى واحد تقولون كرب يفعل وكاد يفعل⁴.

وقد ذكر المضارع من أوشك ولم يذكر الماضي منه، فقال: توشك أن تجيء كأنك قلت: قاربت أن تفعل⁵.

والثاني: منها ما دلّ على الشروع، وقد ذكر سيبويه، من هذه الأفعال فعلين هما: "جعل وأخذ" فقال: "وكأن معنى جعل يقول، وأخذ يقول، قد آثر أن يقول ونحوه"⁶.

¹ - ينظر: الشتري، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 267.

² - ينظر: فاضل صالح السمرائي، "معاني النحو"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2000، م1، ج1، ص: 273.

³ - سيبويه، "الكتاب"، ج3، ص: 161.

⁴ - ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج3، ص: 159.

⁵ - المصدر نفسه، ج3، ص: 160.

⁶ - المصدر نفسه، ج3، ص: 160.

وأما الثالث: ما دلّ على الرجاء، وقد ذكر سيويوه منها عسى، واخْلَوْلِقْ وبين أنهما متماثلين بقول: "اخْلَوْلِقْ" مثل "عسى" تقول: "اخْلَوْلِقْتَ السَّمَاءَ أَنْ تَمْطُرَ"¹. يقول السيرافي: "ومنها أيّعي أفعال المتقاربة "كاد"، "كاد زيدٌ يفعل" أي: قارب الفعل، ولم يفعل، إلاّ أن "كاد" أبلغ في المقاربة من عسى، فإذا قلت: "كاد زيدٌ يفعل"، فالمراد قرب وقوله في الحال، إلاّ أنه لم يقع بعد، لأنك لا تقولهُ إلاّ لمن هو على حدّ الفعل كالداخل فيه، لازمان بينه وبين دخوله فيه"².

إذن الوحدة الاسنادية "كاد زيدٌ يفعل" محوله بإضافة الفعل الناسخ "كاد". الذي يدلّ على مقارنة حدوث الفعل. عن بنية عميقة تقديرها.

- كما خضعت الجملة لتحويل آخر وهو التحويل بالحذف، حيث حذف الضمير هو (جوازاً ويبقى مقدرٌ في البنية العميقة).

وبالتالي فالجملة الفعلية المركبة (ما أتاني من أحدٍ إلاّ زيدٌ) محولة بزيادة حرفي النفي والجر عن بنية عميقة تقديرها: (ما أتاني أحدٌ إلاّ فلان)، و(من) هنا حرف جر زائد يفيد التوكيد وهو أن فعل الإتيان كان من زيد دون غيره، ويرى السيرافي أنه: "ما كان من الحروف يخص بالجد فلا يجوز دخوله على الموجب ولا تعليق الموجب به"³.

فإذا قلت: "ما أتاني من أحدٍ إلاّ زيدٌ لم يجز خفض زيد؛ لأن خفضه ب (من) ولا يجوز دخول "من" هذه على الموجب ولا تعليق الموجب بها"⁴. و"إنما دخلت في النفي على نكرة لنقله من معنى الواحد إلى معنى الجنس"⁵.

1- المصدر نفسه، ج3، ص: 158.

2- السيرافي، "شرح الكتاب"، ج3، ص: 377-395.

3- السيرافي، "شرح الكتاب"، ج3، ص: 57.

4- المرجع نفسه، ج3، ص: 57.

5- المرجع نفسه، ج3، ص: 57.

ومن حروف الزيادة (الباء) كما بين سيويه في جملة: " (كفى بالشيب والإسلام)"¹ المحولة بزيادة حرف الجر " الباء " عن البنية العميقة كفى الشيب والاسلام" حيث اتصلت " الباء " بكلمة " الشيب " فجرتها لفظا وهي في الحقيقة مرفوعة محلاً.

يقول سيويه: " ومن ذلك: ما أنت بشيء إلا شيء لا يعبأ به، من قبل أن بشيء في موضع رفع في لغة بني تميم، فلما قبح أن تحمله على الباء صار كأنه بدلٌ من اسم مرفوع، و"بشياء" في لغة أهل الحجاز في موضع منصوب، ولكنك إذا قلت ما أنت بشيء إلا شيء لا يعبأ به، استوت اللغتان، فصارت "ما" على أقيس الوجهين ... فكأنك قلت: ما أنت إلا شيء لا يعبأ به"².

أما: قوله: (اخلو لقت السماء أن تمطر) فوحدة اسنادية محولة بإضافة الفعل اخلو لقت الذي يدل على رجاء وقوع الفعل . عن بنية عميقة تقديرها: (السماء تمطر).

وهناك عناصر تحويل أخرى تؤدي إلى تغيير بنية الجملة منها أفعال القلوب والتحويل والحروف المشبهة بالفعل، وكلها تعدّ عناصر تضاف إلى الجملة النواة، أي البنية العميقة لتصبح بنية سطحية.

ثانياً: التحويل بزيادة القيود (الزوائد غير العاملة)

وهي الأدوات التي ليس لها أثر في نظام الجملة ووظيفتها الاسنادية، بل قد يكون لها أثر في الحالة الإعرابية، وإن كان ذلك لفظاً فقط³.

يقول سيويه: "هذا الباب ما حمل على موضع العامل في الاسم والاسم لا على ما عمل في الاسم ولكن الاسم وما عمل فيه في موضع اسم مرفوع أو منصوب وذلك قولك: ما أتاني من أحد إلا زيد، وما رأيت من أحد إلا زيدا"⁴.

1- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 316.

2- المصدر نفسه، ج2، ص: 316.

3- نورية شبيخي، مرجع سابق، ص: 143.

4- سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 315.

ثم يقول: "وإنما منعك أن تحمل الكلام على من أنه خلف أن تقول: ما أتاني إلا من زيد فلما كان كذلك حملَه على الموضوع فجعله بدلا منه كأنه قال: ما أتاني أحد إلا فلان لأن معنى ما أتاني أحد وما أتاني من أحد واحد، ولكن "من" دخلت هنا توكيدا كما تدخل الباء في قولك: كفى بالشيب والإسلام، وفي: ما أنت بفاعل وليس بفاعل"¹.

أذن: فالوحدة الاسنادية الاسمية المركبة "ما أنت بشيء إلا شيء لا يعبا" محولة بإضافة حرف الجر الزائد "الباء" عن بنية عميقة أي جملة أصل تقديرها: (ما أنت شيء إلا شيء لا يعبا به) هذا في لغة بني تميم.

أما في لغة الحجاز فتقديرها: (ما أنت شيئا إلا شيء لا يعبا به) ولذلك يشبهها سيويه بقولنا: ما أنت إلا شيء لا يعبا به.

ويرى أو سعيد: "أن هذه الباء لا تدخل إلا على منفي لتأكيد الجحد، ولا يجوز "ما أنت بشيء إلا شيء" الآن ما بعد إلا موجب إذا كان قبله جحد"².

وبالتالي فالجملة الفعلية المركبة (ما أتاني من أحد إلا زيد) محولة بزيادة حرفي النفي والجر. أي زيادة حرف بنية عميقة الجر في سياق النفي. عن بنية عميقة تقديرها (ما أتاني أحد إلا فلان) و(من) هنا حرف جر زائدة يفيد التوكيد وهو أن فعل الإتيان كان من زيد دون غيره. ويرى السيرافي إذا قلت أن ما أتاني من أحد إلا زيد وهي حرف الزيادة (الباء) كما بين سيويه في جملة (كفى بالشيب والإسلام) المحولة بزيادة حرف الجر (الباء) عن البنية العميقة (كفى الشيب والإسلام) حيث اتصلت الباء بكلمة (الشيب) فجرتها لفظا وهي في الحقيقة مرفوعة محلاً.

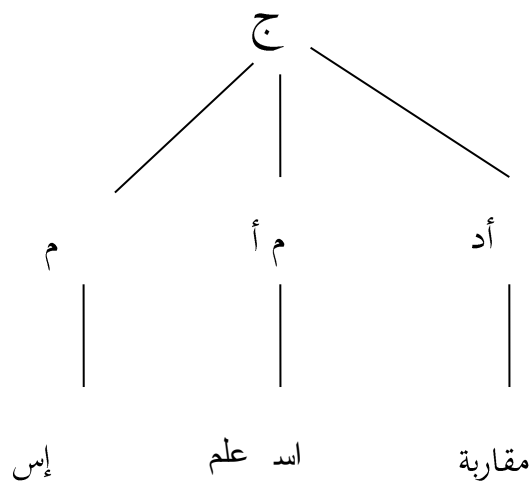
لقد بينا أن أفعال المقاربة والشروع لا يأتي خبرها إلا فعلا مضارعاً، نحو: #كاد زيد يقوم # وتتكون من:

1- المصدر نفسه، ج2، ص: 316.

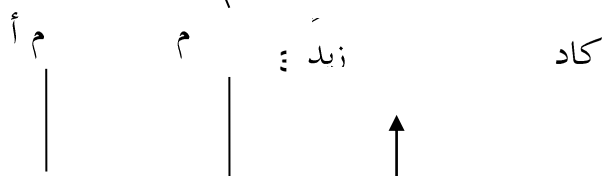
2- ينظر: السيرافي: "شرح الكتاب"، ج3، ص: 57.

أد مقارنة + اسم علم + فعل مضارع + فاعل Ø.

ويمكن تحليلها ضمن النموذج التشومسكي كما يلي¹:



¹- معصومة عبد الصاحب، "الجملة الفرعية في اللغة العربي بين تحليل سيوريه ونظرية تشومسكي"، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2008، ص: 79.



القواعد التفرعية:

ج ← أد ∩ م إ ∩ م (إس)

أ ← مقارنة .

م إ ← اسم علم.

م (أس) ← م ∩ م إ.

م ← فعل.

م إ ← ضمير ∅.

القواعد المعجمية.

مقارنة ← كاد .

اسم علم ← زيد

فعل ← يقوم.

ضمير ← (هو) ∅.

السمات الدلالية:

(كاد || + أداة + مقارنة ... ||)

(زيد || + علم + معدود + حي + إنسان ... ||)

(يقوم || + فعل ... ||)

(هو || + ضمير + غائب ... ||)

القواعد التحويلية¹:

التركيب الأساسي للجملة هو:

زيد يقوم (هو)

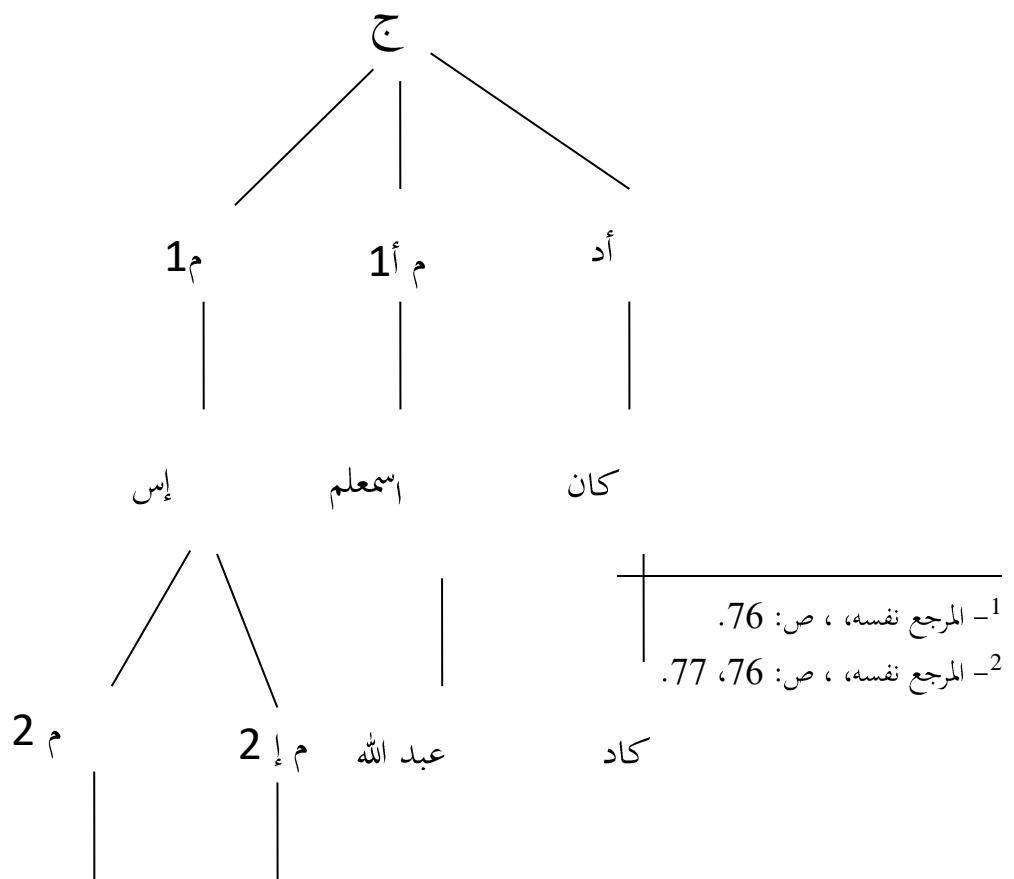
خضعت الجملة إلى قاعدة الحذف (Délétion) حيث حذف الضمير (هو) حذفاً جوازياً ويبقى مقدرًا في البنية العميقة.

ج ← زيد يقوم

ثم خضعت الجملة إلى قاعدة الإضافة (Addition) فأصيغت (كاد) للدلالة على قرب وقوع الحدث.

ج ← كاد زيد يقوم

فإذا وضعنا جملة سيويه في الإطار التشومسكي فإننا نحصل على التحليل التالي²:



القواعد التفرعية:

ج ← أ د ◌ م إ ◌ م (إس)

أد ← زمن ماض.

م إ ← اسم علم .

م (إس) ← م إ ◌ م

م إ ← مكب إضافة

م ← اسم فاعل.

القواعد المعجمية :

زمن ماض كان

اسم علم ← عبد الله

مركب إضافة ← أبو عبد الله

اسم فاعل ← منطلق.

السمات الدلالية:

(كان || + أد + زمن ماض ... ||)

عبد الله || علم + معدود + حي + إنسان ... ||

(أبو || اسم + معدود + حي + إنسان ... ||)

(منطلق || اسم فاعل + معدود ... ||)

القواعد التحويلية:

التركيب الأساسي للجملة هو:

عبد الله أبو عبد الله منطلق

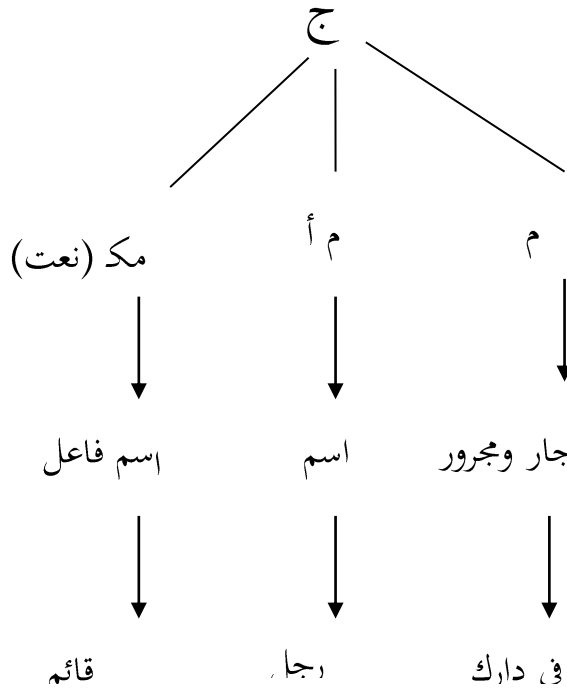
فالتقدير لأحد عناصر الكلام وإعادة ترتيبها إنما هي من خصائص النحو الكلي أو كما يطلق عليه

تشومسكي (Univorsal Grammar)، ويمكن التمثيل من خلال تحليل جمل سيبويه ضمن الإطار

التشومسكي¹:

في دارك رجل قائم

¹- يحيى الهذلي ، "دور الفعل في بنية الجملة" ، دار سحر للنشر ، تونس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان ، دط ، ص



والقواعد التفريعية للجملّة هي:

ج ← م م إ مك (نعت)

م ← ج جار ومجرور ... م إ ← إسم

مك نعت ← إسم فاعل.

السمات الدلالية :

(رجل || + إسم + معدود + حي + إنسان ||)

(قائم || + اسم فاعل + معدود .. ||) .

(في || + حرف ... ||)

(دارك || + إسم + معدود ... ||) .

أما القواعد التحويلية فهي:

إن التركيب الأساسي للجملّة:

«رجل قائم في دارك»

خضعت الجملة لقاعدة التقديم حيث قدم المسند (في دارك) على المسند إليه (رجل) فالقاعدة العربية التي نص عليها سيبويه: "يجب تقديم الخبر إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً أو له الصدارة في الكلام كأدوات الاستفهام".

- نظرية العمل العربية:

تعد نظرية العمل النحوي نظرية واضحة المعالم في هدي الخصائص العامة التي تتميز بها النظريات العملية وهي¹: إنها عامة:

فهي تتناول موضوع علم أو علوم عدة ، فكرة العمل النحوي عند النحاة كانت كذلك. إذ سيطرت على منهجهم في دراسة النحو العربي فضلاً عن أنهم صنفوا مفردات هذا المنهج في ضوءها فقد صنف سيبويه وهو أقدم مدونة نحوية وصلت إلينا - الأبواب النحوية التي تضمها أنواع الإسناد في ضوء العامل في صورة التركيب اللغوي بوجه التأليف من رفع ونصب... إلخ.

إنها ذات مبدأ:

المقصود بها أنها ذات قوانين تنظيم العلاقات وتفسر الظواهر. وهذه هي أهم خصائص النظريات العملية. وكتاب سيبويه خير من يمثل هذه الصفة، إذ نظم العلاقات بين عناصر التركيب اللغوي لوجه التأليف في هذه العلاقات بين العامل والمعمول.

إنها ذات منهج للتفسير والبحث:

وهذه الخاصية الثالثة التي ينبغي أن تختص بها النظرية العلمية.

ومن اللافت أن سيبويه ذكر مصطلح (العامل) في كتابه إذ قال: وإنما ذكرت لك ثمانية مجارلاً فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة بما يحدث فيه عامل: - وليس شيء منها إلا وهو

¹ - ينظر: محمد كاظم البكاء، "منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، ص:

يزول عنه وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغيره شيء حدث ذلك فيه من العوامل¹. وورود مصطلح (العامل) في الكتاب يدل أن هذا المصطلح من المصطلحات المعهودة قبل سيبويه، الشائعة في عصره على أن هذا الأمر لا يعني - بالضرورة- تمثل العامل نظرية في التفكير النحوي، وفي عرض المادة النحوية قبل سيبويه، فهذا أمر لا يمكن الزعم به لغياب المدونات النحوية التي تنتمي إلى ذلك العصر². أما كتاب سيبويه بوصفه المدونة النحوية الأولى، فيظهر تمثل العامل نظرية في التفكير النحوي³.

كما أن تصور سيبويه للعامل النحوي كان في ضوء المدلول اللغوي لمادة (عمل). إذ يشير هذا المدلول إلى معنى الرض والترتيب والإتباع. فقد ذكر الخليل، في (العين) وأعلمت إليه المطع أتبعها وفلان يعمل رأيه ولحج وكلامه كما أن شائعا في حقل البناء الذي يعملون في الطين لبنات لتشديد البناء. قال الذين يعملون بأيديهم ضربوا من العمل حفرا وطينا⁴.

بذكر الدكتور الحاج صالح أن العامل عنصر بنائي في الجملة، يقع في مستوى أعلى من مستوى اللفظة، وهذا ما بدأ به سيبويه تحليلاته في كتابه... خلافا لما فعله علماء اللسان في عصرنا⁵.

ويعرف العامل بأنه "العنصر اللغوي الذي يؤثر لفضا وعنى على غيره كجميع الأفعال في العربية وما يقوم مقامها مثل "حروف النصب"⁶

وتعدُّ العلامة الإعرابية أظهر أثر للعوامل في صورة التركيب اللغوي للإسناد⁷.

1- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 13.

2- ينظر: سعيد أحمد البطاطي، "نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه"، ص: 3.

3- ينظر: مصطفى بن حمزة، "نظرية العامل في النحو العربي"، دراسة تأصيلية وتركيبية"، ص: 6.

4- ينظر: محمد كاظم البكاء، "منهج سيبويه في التقويم النحوي"، ص: 248-263.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 327.

6- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 87.

7- ينظر: محمد كاظم البكاء، "منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي"، ص: 275.

وقد حاول عبد الرحمن الحاج صالح توظيف المعطيات النحوية القديمة عن طريق تبني مناهج حديثة يتم توظيفها للخروج باستنتاجات وتفسيرات معينة كالمنهج التوليدي التحويلي، ولاسيما نظرية الربط العملي (Government Binding Theory)¹ إذ طبق الحاج صالح نظرية العامل في النحو العربي محاولاً توظيفها في الدراسات الحديثة مستعيناً بنظرية تشومسكي التي تدعم العامل وقد ظهر ذلك في أكثر من موضوع، ففي نظريته يعتمد اعتماداً رئيسياً على نظرية الربط العملي، واستعمل العامل في بيان مدى التأثير الحاصل في بناء الكلام² قائلاً: " طبقاً للمفهوم النحوي في النظرية اللسانية العربية، فإن كل المكونات يجب أن تنظم من خلال العمليات النحوية المعينة مثل الأدوات، ما عدا المكونات الأولية في التراكيب الفعلية والتراكيب الاسمية أي (م إ) كمبتدأ، وال (م) كفعل الذين يفترض بأنّ تنظيمهما يتبع حركة تجريدية دعاها العرب بعامل الابتدائية، أي العامل الاسمي، وبعامل الفاعلية أي العامل الفعلي"³.

إن العامل عند عبد الرحمن الحاج صالح مفهوم مجرد يعمل على تنظيم العناصر النحوية في الكلام فضل عن أنه يحدد نوع التركيب الأساس لديه، فجزءاً أي العامل والمعمول هما وحدة لسانية لا يمكن تجزئتها⁴. ويصف ثنائية العامل والمعمول فإنها السبب في تحليل النحاة العرب القدماء للتركيب العربي من وجهة نظر فاعلية علائقية⁵، فارتباط العناصر اللغوية بعضها ببعض في التركيب يأخذ دوره في الجملة اعتماداً على العامل، فضلاً على ذلك فإن "مسألة العامل والمعمول هي نظرية نحوية دقيقة انطلق منها سيبويه متأثراً بالبدور الرياضية التي ورثها عن أستاذه الخليل بن أحمد وذلك لتحليل بنية اللغة، وقد تبعه في هذا المسار الجرجاني في كتابه "العوامل المائة"، ومن جهة نظر لسانية حديثة

1- ينظر: عيسى مومني، " بيبلوغرافيا اللسانيات: قراءة في أول مؤشرات المحاور ومداخل السياقات المعرفية اللسانية"، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، دط، دت، ص: 54-55.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، " بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 309.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، " بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 309.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، " البنى النحوية العربية"، ص: 181-182.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، " البنى النحوية العربية"، ص 24-26.

نستطيع أن نقول: "أن نظرية تشومسكي وأسمائها (Government and Binding Theory) أي نظرية العامل والربط الاحالي، تلك النظرية التي يقترح جهازها المعرفي عوامل كثيرة تحكم التوليد والتحويل في التراكيب اللغوية"¹.

1- البناء:

البناء مفهوم نحوي استعمله القدماء في حقل الربط العملي، ولاسيما في تحليل الجمل التي تكون جملاً اسمية أو فعلية، بحسب توجيه علاقة الربط العملي بين العامل والمعمول².

ويعرفه عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "بناءً أن تجعل عنصراً لغوياً تابعاً لعنصر لغوي آخر بحيث أنهما يكونان عنصراً أوسع من مستوى أعلى ولا يعاقب أي واحد من العنصرين العلامة العدمية، أي لا يمكن أن يحذف وإن حذف ولم يرجع العنصر الأول إلى أصله زال عن الوجود"³.

وتتشكل البنى التركيبية أو أبنية الكلام في مستوى الخطاب أو الحديث حيث تبنى الألفاظ على بعضها بمقاييس معينة، إذ أن البناء علاقة صورية تتمثل في ربط لفظة بلفظة أخرى بتغير حكم كل واحدة منهما تسمى اللفظة الأولى اللفظة المبني عليها والثانية اللفظة المبنية، وتكون اللفظة المبنية تابعة للفظه الأخرى التي لا تتبع أي عنصر بل تبدأ بها الكلام وليس محمولة على أخرى⁴، ونلتمس بذلك الفرق بين البناء المتعلق بالنظام الصوري والإسناد الذي يرجع إلى الإفاداة والتبليغ⁵.

وفي اللغة العربية توجد علاقتان بنويتان اثنتان ففي عبارة بسيطة مثل: (الوقوف مطلوب) البناء يقع بين لفظتين اسميتين، أما عبارة (قرأت الرسالة) يجمع البناء بين لفظة مكونة من فعل وفاعل ولفظة اسمية تقع في موضع المفعول الذي يصنف في التحليلات المعنوية المبنية على مفهوم الإسناد في عداد

1- مازن الوعر، "دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة"، دار المنتهي، دمشق، ط1، 2001، ص: 98.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 243.

3- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 24-26.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 26-27.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية" - ص: 104-105.

الفضلات المنصوبة التي تضاف إلى معتمد الفائدة ومعتمد البيان¹. فالفعل منح ما مكنه العمل من صيغته الصرفية المتضمنة معمولاته كافة، مجالات وعددا، لذا كان العمل سمة ملازمة للأفعال، في حين منحَ المبتدأ به جملة على قصد الإنشاء والتكوين، ما يمكنه العمل من موقعه النحوي، لا من كونه صنفاً اسمياً في صيغ الأسماء، صيغ ما يمنحها القدرة على العمل بحسب الأصل، لذا لم يكن العمل سمة من سمات صنف الأسماء فالمبتدأ لا يعمل لأنه اسم، وإنما يعمل لوقوعه في موقع نحوي خاص، هو موقع الابتداء وعلى هذا يكون المبتدأ مفهوماً بنائياً، ولا صنفياً، في حين يكون الفعل مفهوماً صنفياً وصرفياً وبنائياً في الوقت نفسه².

ويؤكد ذلك ما ذكره سيوييه في باب (ما يكون فيه القسم مبنياً على الفعل: قدم أو آخر وما يكون فيه الفعل على الاسم، إذ قال: فإذا بنيت الاسم عليه قلت، ضربت زيدا، وهو الحد لأنك تريد أن تحمل عليه الاسم كما كان الحد ضرب زيد عمرا، حيث كان زيد أول، ما تشغل به الفعل، وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه، وإن قدمت الاسم فهو عربي حيد كما كان ذلك عربياً حيداً. وذلك قولك، زيدا ضربت والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء، مثله في ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيد³. ثم يقول: "فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت، زيد ضربته فلزمته الهاء، وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت عبد الله منطلق. فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفاع به، وإنما قلت عبد الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل، ورفعته بالابتداء⁴.

فالذي يجعل كون الجملة فعلية أو إسمية هو تحديد مواقع العناصر النحوية في الجملة في ضوء علاقة الربط العملي وتحديد جهة الربط.

1- خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ص: 112.

2- سعيد أحمد البطاطي، "نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيوييه"، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، أطروحة دكتوراه، 2002، ص: 31-32.

3- سيوييه، "الكتاب"، ج1، ص: 80-81.

4- المصدر نفسه، ج1، ص: 81.

فإذا كانت جملة متأتية من الفعل، فالجملة فعلية وإذا كانت جهته متأتية من الاسم فالجملة

اسمية¹.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ذكر التحليل الخاص بالتوليدية موازنة إياه بما ورد عنه النحاة العرب القدماء قائلاً إن التوليد بين من اللسانس ينطلقون في تحليل الجملة ما يسمونه *Noum – Phrose* و *Verb Phrose* أي المركب الاسمي والمركب الفعلي وهو شبيه بالتحليل العربي إلى مسند ومسند إليه إلا أن هذا ما يخص الجملة كوحدة ذات وظيفه إفادية ولا ينظر أصحابه فيه إلى بنية اللفظ في ذاته إذ هناك بنية أخرى غير المسند والمسند إليه وب** ذلك بوضوح في تحليل الجملة الاسمية إلى مبتدأ أو مبنى عليه وهو تحليل على اللفظ لا على الوظيفه الإفادية إذ قد يكون محل الفائدة هو المبتدأ². ثم يردف قائلاً: كما يمكن أن تحمل الجملة الفعلية على الجملة الاسمية.

لنحصل بذلك على مثال واحد يجمعهما، وذلك باهتدائنا إلى أمر مهم وهو أن الفعل لا بد له من فاعل ولا يتقدم هذا الأخير على فعله إطلاقاً³. فيمكن أن نضع الفاعل في موضع الابتداء والعوامل الأخرى التي تقوم مقامه، فيصير بذلك الفعل عاملاً والفاعل المعمول الأول له. أما المعمول الثاني فهو هنا ومن حيث اللفظ اختياري وهو المفعول به؛ لأنه الأول في المرتبة التقديرية قبل جميع المفاعيل الأخرى⁴.

فالفاعل لا يكون بناء بل لفظة من نوع خاص ليست بمنزلة اللفظة المكونة من حرف الجر والاسم المجرور ولكنها ليست بناءً، مع ذلك فهي في منزلة وسطي بينهما ذلك أن الفعل يفرغ ويشغل بالفاعل فلا يجد بداً منه، ولا يمكن أن يقدم عليه المفعول ولا يقدم هو أبداً على فعله، أما إذا كان

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 326.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 309.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 81.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 310.

ضميراً أو اسماً مضمراً فهو متصل بفعله كأنه جزء منه¹. فالفعل والفاعل بمنزلة اسم واحد أي لفظة يبنى عليها أو تبنى على غيرها².

ويمكننا القول: إن أصغر بناء في العربية مكون دائماً من عنصرين هما المبني والمبني عليه، وأصغر بنية تركيبية عربية - وهي الأصل - هي المكونة من الاسم المبتدأ والاسم المبني عليه (أي الخبر) فهي تنقسم إذن على موضوعين: موضوع المبتدأ وموضوع الخبر المبني عليه³.

والابتداء يعني التعرية من العوامل اللفظية، إذ إن المقياس في التفرقة بين اللفظة المبتدأ بها واللفظة المبنية هو دخول الأفعال والحروف الناسخة عليها وهي التي تحولها إلى معمول ويصير العامل والمعمول بمنزلة اسم واحد وتكون هذه اللفظة في موضع ابتداء⁴.

مثلاً هو الحال بالنسبة ل(لا) واسمها التي يقول فيها سيويوه: "واعلم أن لا وما عملت فيه في موضع ابتداء كما أنك إذا قلت: هل من رجل فالكلام وبمنزلة اسم مرفوع مبتدأ"⁵.

ثم يقول: "وكذلك: ما من رجل، وما من شيء، والذي يبنى عليه في زمان أو في مكان، ولكنك تضمه، وإن شئت أطهرته، وكذلك لا رجل ولا شيء إنما تريد لا رجل في مكان، ولا شيء في زمان"⁶.

ويضيف قوله: "والدليل على أن لا رجل في موضع اسم مبتدأ، وما من رجل في موضع اسم مبتدأ في لغة بني تميم، قول العرب من أهل الحجاز: لا رجل أفضل منك"⁷.

1- ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج1، ص: 298.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 26.

3- المرجع نفسه، ص: 26-27.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 73.

5- سيويوه، "الكتاب"، ج2، ص: 275.

6- المصدر نفسه، ج2، ص: 275.

7- المصدر نفسه، ج2، ص: 275-276.

يقول أبو سعيد السيرافي في احتجاج سيويه بلغة أهل الحجاز: "وأما استدلال سيويه على أن "ل رجل" في موضع اسم مبتدأ في لغة بني تميم بقول العرمن أهل الحجاز: لا رجل أفضل منك، فكان بنو تميم يقولون: لا رجل ويسكتون عن إظهار الخبر، واحتج بلغة أهل الحجاز لأنهم يظهرون الخبر"¹.

وكذلك الحال بالنسبة ل (إن) إذ تعدُّ من الوسائط العاملين التي تؤدي وظيفة عاملية مساعدة، فهي تقع في ضمن الطائفة التي تقع فيها (لا) النافية للجنس لأنها تحوران في السمات الخاصة بالعامل الرئيس (المبتدأ)، فهما متشابهتان من حيث العمل، يقول سيويه: "و(لا) تعمل فيما بعده، فنصبه بغير تنوين ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها"².

وفي قوله هذا إشارة إلى أن الوظيفة العاملة المساعدة ل (لا)، لا تختلف عن الوظيفة العاملة المساعدة ل (إن)؛ - هذا من حيث العمل - إذ كل منهما تدخلان على العامل الرئيس (المبتدأ) لكنهما يختلفان في الفرض أو الدلالة، ف (لا) تنحو بالنكرة نحو المعرفة، في حين تؤكد (إن) سمات العامل المبتدأ نفسه؛ وذلك لأن معنى (إن زيدا منطلق) (زيد منطلق)، وإن دخلت التوكيد، كأنه قال: (زيد منطلق)³.

نصلاً على أنَّ المصدرية تعدُّ وسيطاً عاملياً مساعداً، وظيفته العاملة المساعدة هي تحويل الجملة الفعلية إلى اسمية، لما يقتضيه العامل الرئيس في الجملة، فإذا كانت الجملة اسمية، كان عاملها الرئيس اسماً لا فعلاً⁴، فإذا جيء به فعلاً، لا بد من أن يقتزن ب (أن) التي بها يصير الفعل اسماً، قال سيويه: "هذا باب من أبواب (أن) التي تكون والفعل بمنزلة مصدر، تقول: (أن تأتيني خير لك)؛ كأنك قلت: (لا تيان خير لك)، ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 184]."

¹ - السيرافي، "شرح كتاب سيويه"، ج3، ص: 16.

² - سيويه، "الكتاب"، ج2، ص: 274.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 144.. وينظر: السيرافي، "شرح الكتاب"، ج2، ص: 472.

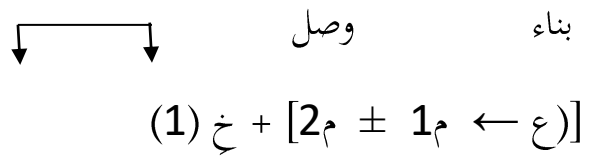
⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 263. وينظر: عيد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 104.

يعني (الصوم خير لكم) ¹.

ويوضح الحاج صالح ما ذهب إليه سيوييه والنحاة القدماء بقوله: "حملوا التراكيب التي تتكون من لفظة فعلية (غير ناسخة) على هذا المثال واكتشفوا عند تطبيق هذه المجموعة على الأولى أن الفعل (غير الناسخ) هو بمنزلة هذه العوامل؛ لأنه يؤثر في التركيب، وأن المعمول الثاني في هذه الحالة هو المفعول به. وأثبتوا أيضا أن موضع م1 و م2 يمكن أيضا أن تحتلها كلمة واحدة بل وتركيب وذلك مثل²:

3	2	1
خير لكم	أن تصوموا	∅

فتبين بهذا أن العناصر التركيبية هي عناصر خاصة مجردة. كما أن هناك عناصر أخرى (تدخل وتخرج) "علاقتها بغيرها علاقة وصل" على هذه النواة التركيبية وهي زوائد مخصصة كالمفاعيل الأخرى والحال وغيرها (رمزه: خ)³. ويمكن أن تمثل للعلاقات القائمة بين هذه الوحدات التركيبية بهذه الصيغة⁴:



ثم ينطلق النحاة من جديد من هذه الصيغ الأصلية للنظر في ظاهرة التداخل ويسمونه بالتكرار أو الإطالة⁵، وهو إيقاع أو إدخال للجمل في موضع الاسم أي ** منزلة الاسم المفرد في الحكم

1- السيراقي، "شرح كتاب سيوييه"، ج3، ص: 385.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 223-224.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية"، ص: 36-38.

4- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 89.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 224.

الإعرابي داخل بنية الكلام (مثل حكم المفعول وخبر المبتدأ أو الحال والنعته أو المضاف إليه) وهو ظاهرة جدّ مهمة لأنها تشكل قسماً كبيراً من النحو عن تمكن المتكلم من بيان موقفه من الأحداث والأحكام التي تعبر عنها الجملة¹.

إن للفعل كعامل وما يقوم مقامه موضعاً أصلياً هو موضع الابتداء مثل: قام زيد والابتداء هو دائماً موضع استثناء فلا يمكن أن تدخل الجملة في هذا الموضع لهذا السبب بل يقع الفعل فيه في أغلب الأحوال ككلمة ولفاعله موضع آخر يليه، وهنا ينحل الزوج المرتب فيصح لكل واحد منها موضع موضع، ويقع في هذا الموضع اسم يعمل عمل الفعل وهو الصفة مثل: أقائم الأخوان².

ويذكر عبد الرحمن الحاج صالح المقياس الذي به تفرق بين المفعول به المبني والعناصر الأخرى التي يعمل فيها الفعل فينصبها مثل الحال والمفعولات الأخرى، فهو إمكانية تحويل المفعول به إلى مبتدأ مع الحفاظ على معنى المفعولية³. فنقول مثلاً: (ضرب زيد عمراً) و(عمر ضربة زيد) وكلاهما عربي صحيح وفصيح، وقد ذكر سيوييه هذا المقياس في باب "ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قدم أو آخر، وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم، فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: (زيد ضربته) فلزمته الهاء - وإنما تريد بقولك: مبني عليه الفعل أنه في موضع (منطلق)، إذا قلت: (عبد الله منطلق)، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به، فإنما قلت: (عبد الله) فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء⁴".

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنية النحوية العربية"، ص: 190.

2- المرجع نفسه، ص: 192.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 40.

4- سيوييه، "الكتاب"، ج 1، ص: 81.

ثم يقول: "وإن شئت قلت: (زيداً ضربته)، وإنما نصبه على إضمار فعل هذا تفسيره كأنك قلت: (ضربت زيداً ضربته)، إلا أنهم لا يظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره. فالاسم ها هنا مبني على هذا المضمّر"¹.

يقول أبو سعيد: "والدليل على أنه ينتصب بالفعل الأول: "أنك قد تقول: "أزيداً مررت به" فتنصبه ولو لم يكن فعل مضمّر يعمل فيه النصب لما جاز نصبه بهذا الفعل؛ لأن مررت لا يتعدى إلا بحرف جر، فإذا قلت: "زيداً ضربته" لم يحسن إظهار الفعل الناصب لزيد مع المفسر له، لا تقول: ضربت زيداً ضربته" فتجمع فيهما؛ لأن أحدهما يكفيك من الآخر"².

فكثيراً ما يدور في كلام سيبويه (بناء الشيء على الشيء) وقد فسره السيرافي فقال: "إذا قال: (بنيت الاسم على الفعل)، فمعناه أنك جعلت الفعل عاملاً في الاسم كقولك: (ضرب زيداً عمراً)، ف (زيد) و(عمرو) مبنيان على الفعل قَدِمَ أو أَّخَرَ وإذا قال لك: (بنيت الفعل على الاسم)، فمعناه أنك لو جعلت الفعل وما يتصل به خيراً عن الاسم، وجعلت الاسم مبتدأً، كقولك: (زيد ضربته) ف (زيد) مبني عليه و(ضربته) مبني على الاسم"³.

2- الحمل:

من المفهومات التي استعملها عبد الرحمن الحاج صالح في حقل الربط العملي مفهوم الحمل؛ فهو من المفهومات التي تشير إلى علاقة الربط العملي بين العامل والمعمول⁴ والحمل في أبسط تعريفاته: "هو قياس" أمر على آخر، وإعطاؤه حكمه"⁵.

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 81.

2- السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج1، ص: 374.

3- السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ج1، ص: 372.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "مجلة المبرز"،

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "المعجم المفصل في علوم اللسانيات"، ج1، ص: 231.

وتنضوي تحت لفظة الحمل ضروب مختلفة مما يدخل ضمن هذه التسمية، منها: الحمل على المعنى، الحمل على اللفظ، الحمل على الموضع، الحمل على المحل، حمل الضد على الضد، حمل الأصل على الفرع، حمل الفرع على الأصل، حمل النظر على النظر وغيرها¹.

ومن أنواع الحمل التي مثل لها عبد الرحمن الحاج صالح في ضوء الربط العملي (الحمل على الموضع)، إذ لُرد بحثاً سماه بـ (أقائم أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرضي بالاعتماد على مفهوم الموضع والمثال)²، بين فيه أن النحاة العرب القدماء قد نبهوا على علاقة الربط العملي وذلك في ضمن مفهوم (الجمل على الموضع) من خلال هذه المسألة فكثيراً من النحويين يعتمدون في تفسيرهم للقواعد النحوية على مفهوم الموضع³.

فقد يكون الكلام محمولاً على الموضع أو على المعنى وله شواهد كثيرة⁴، والحمل على الموضع يكون في تابع ماله لفظ وموضع كقولنا: ليس زيد بقائم ولا قاعداً، فقد حملنا (قاعداً) على موضع (بقائم)؛ لأنها في موضع نصب لكونها خبر ليس⁵.

ولابد من الإشارة إلى أنه هناك خلط بين مصطلحي (الحمل على الموضع) و(الحمل على المحل) فالأول قد سبق ذكره، أما (الحمل على المحل) فيقصد به: أن يكون في تابع ماله محل من الإعراب كالمبنيات، كقولنا: جاء هؤلاء الطلاب، فقد حملنا (الطلاب) على محل هؤلاء فرفعناها؛ لأن (هؤلاء) رفع على الفاعلية ولا يجوز في التابع إلا الحمل على المحل بخلاف الإعراب الموضعي الذي يجوز فيه

¹ - ينظر: السيوطي، "الأشباه والنظائر في النحو"، تح: سالم عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص: 190-197. وينظر: كتابه: الاقتراح في أصول النحو، ص: 42-44.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 09.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص: 09.

⁴ - ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 33-34.

⁵ - علي عبد الله العنبيكي، "الحمل على المعنى في العربي"، مركز البحوث والدراسات بغداد، ط1، 2012، ص: 59.

الحمل علة اللفظ وعلى الموضع؛ لأن له لفظاً وموضعاً. أما المعرب إعراباً محلياً، فليس فيه سوى المحل الذي هو وقوع الكلمة المبنية أو الجملة موقع الكلمة المعربة وحلولها محلها¹.

أما النحويون المتقدمون فقد استعملوا مصطلح الحمل على الموضع بدلالته الصحيحة فنجد - سيبويه - يشرح علاقة الربط العائلي بين الاسم والفعل فيقول:

"هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قدام أو آخر، وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم فإذا بنيت الاسم عليه قلت: (ضربت زيداً)، وهو الحد؛ لأنك تريد أن تعمله، وتحمل عليه الاسم، كما كان الحد (ضرب زيداً عمراً)، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل². فالمقصود بالحمل³ في هذا النص هو طبيعة علاقة الربط العائلية بين الفعل ومعموله، (فزيد) محمول على الفعل (ضربت) مفعولاً به، في قولنا: (ضربت زيداً)؛ كما هو محمول على الفعل (ضرب) فاعلاً، في قولنا: (ضرب زيداً عمراً)، فحمل (زيد) على الفعل، يعني ارتباطه به في علاقة الربط العائلي.

وقعت ناقش عبد الرحمن الحاج صالح مفاهيم الربط العائلي بين العامل والمعمول** مما جاء في كتاب سيبويه: "زعم الخليل (رحمه الله) أنه يستقبح أن يقول: (قائم زيد)، وذلك إن لن تجعل قائماً مبنياً على المبتدأ... فإن لم يريدوا هذا المعنى وأرادوا أن يجعلوه فعلاً كقوله: يقوم زيد وقام زيد قبح لأنه اسم. وإنما حسن عندهم أن يجري مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف أو جرى على اسم قد عمل فيه كما أنه لا يكون مفعولاً في (ضارب) حتى يكون محمولاً على غيره، فيقول: (ماذا ضارب)

1- على عبد الله العنكي، "الحمل على المعنى في العربية"، ص: 59.

2- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 80.

3- جاء مصطلح "الحمل على الموضع" متفرقا في زوايا كتب الرعيل الأول من النحاة، ولعل ابن عصفور (ت 669هـ) وابن هشام هم أكثر من عني بهذا الموضوع، ووضه له شروطا وإن كانت هذه الشروط خاصة بالعطف على الموضع، فلم نجد شروطا للحمل في التوابع الأخرى كالنعت والبدل والتوكيد، ولعل السبب في ذلك هو أن الحمل على الموضع أكثر ما يأتي في العطف والوصف، كما ذكر أبو البركات الأنباري. وينظر: الأنباري: "البيان في اعراب القرآن"، تح: طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، 1970، ج1، ص: 131.

زيداً ... ولا يكون (ضارب زيدا) على (ضربت زيدا). فكما لم يجز هذا، كذلك استقبلوا أن يجري مجرى الفعل المبتدأ¹.

ذكر سيبويه في نضه هذا الموضع التي يحسن مجيء الصفة العاملة عمل الفعل فيها إلا موضعاً واحداً وهو أهمها: أي موضع الفعل، وذلك عند كلامه في مواضع الاسم التي يمكن أن يقع فيها الفعل وخاصة المضارع ليبين علة رفعه²، يقول سيبويه: أعلم أنها إذا كانت في موضع اسم مبتدأ، فأما ما كان في موضع مبتدأ فقولك: (يقول زيد ذاك)... ومن ذلك أيضاً: (هلا يقول زيد ذاك) فـ (يقول) في موضع ابتداء³.

يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن كلام سيبويه فيه شيء من الغموض؛ وذلك بسبب استعماله لعبارة "موضع مبتدأ"، فنتج عن ذلك أنه التبس الأمر على كل من جاء بعده، فاعتقدوا أن سيبويه أراد بهذا الموضع الاسم الذي يعمل فيه الابتداء⁴.

يقول ابن السراج: "وحسن عندهم أقائم أبواك وأخارج أخواك تشبيهاً بهذا إذا اعتمد قائم على شيء قبله... فإذا قلت: أقائم أبواك، فقائم مرتفع بالابتداء، وأبواك رفع بفعلهما وهما قد سدّ مسدّ الخبر"⁵.

ثم يذكر ابن السراج أقوال الأخفش تلميذ سيبويه في هذه المسألة فيقول: "قال الأخفش: أقول: (إن في الدار جالساً أخواك) فأنصب "جالساً" بأنّ وأرفع الأخوين بفعلهما وأستغني بهما عن خبر "إن"، كما أقول: (أذهب أخواك) فأرفع "أذهب" بالابتداء و"أخواك" بفعلهما وأستغني بهما عن خبر الابتداء لأن خبر الابتداء جيء به ليتمّ الكلام... وتقول: (أن فيها قائماً أخواك) وإن شئت:

1- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 278.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 191-192.

3- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص:

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 17.

5- ابن السراج، "الأصول في النحو"، ج1، ص: 32-33.

(قائمين أخواك) فتنصب أخويك بأن و"قائمين" على الحال وفيها "خبر" "إن" وهو خبر مقدم... وأجاز الفراء: إن قائماً الزيدان وإن قائماً الزيدون على معنى: إن من قام الزيدان...¹

ثم يناقش الحاج صالح أيضاً رأي الأخفش الذي ذكره ابن السراج فيقول: "يظهر أن الأخفش فهم من عبارة سيبويه (في موضع اسم مبتدأ) أن اسم الفاعل العامل عمل فعله هو مبتدأ، أي حصل في موضع المعمول العاري عن العوامل اللفظية؛ لأن كونه مرفوعاً يقتضي أن يكون له رافع وهو يرى خلافاً (سيبويه - أن الرفع ل (قائم) هو الابتداء وكونه يعمل عمل فعله جعل المجموع من قائم وفاعله يستغني عن الخبر، لأنه كلام تام"²، كما يرى الحاج صالح أن هذا التأويل ضعيف مستدلاً على ذلك بما ميزه الرضي الاستربادي وقبله ابن الحاجب (ت 646هـ) بين المبتدأ الذي يلزمه خبر وهذا الذي يسميه مبتدأ أيضاً لكن من نوع آخر³.

يقول الرضي: " وهذا ليس بشيء بل لم يكن لهذا المبتدأ أصل من خبر حتى يحذف ويسد غيره مسدّه ولو تكلفت تقدير خبر لم يتأت، إذ هو في المعنى كالفعل والفعل لا خبر له، فمن ثم تم بفاعله كلاماً... ولهذا أيضاً لا يصغر ولا يوصف ولا يعرف ولا يثنى ولا يجمع إلا على لغة أكلوني البراغيث"⁴.

وقال أيضاً: " وهذه كلها مبتدآت لا أخبار لها لما فيها من معنى الفعل، ولا يدخل نواسخ المبتدأ عليها لما فيها من معنى النفي فيلزم الصدر... ويجوز عند الأخفش والفراء: (إن قائماً الزيدان)، وسوغ الكوفيون هذا الاستعمال في (ظن) نحو: ظننت قائماً الزيدان)، وكلاهما بعيد عن القياس؛ لأن الصفة لا تصير فاعلها جملة كالفعل إلا مع دخول معنى يناسب الفعل عليها كمعنى النفي أو الاستفهام أو

¹ - ابن السراج، "الأصول في النحو"، ج 1، ص: 409.

² - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 18.

³ - المرجع نفسه، ج 2، ص: 18.

⁴ - الاستربادي، "شرح كافية ابن الحاجب"، تح: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دط، دت، ج 1، ص: 198.

دخول ما لا بدّ من تقديرها فعلا بعده كاللام الموصلة، وأما إن وذن فليستا من ذينك في شيء بل هما يطلبان الاسمية فلا يصحّ تقديرها فعلا بعدهما"¹.

من خلال هذين القولين يتبين لنا أن الاستراباذي يتناول المعاني اللغوية بكيفية عليمّة دقيقة، وهو في هذا مثل سيبويه الذي استعمل كلمة (مبتدأ) بمعنى ما يوضح في أول الجملة من اسم، أو فعل، فوصف الفعل بأنه مبتدأ، أي موضوع في أول الكلام²، فقال "... فكما لم يجز هذا؛ كذلك استقبحوا أن يجري مجرى الفعل المبتدأ"³.

إذا المبتدأ في تصور سيبويه والرضي وقبله ابن الحاجب عنصر عاملي دائما في الربط العاملي، ولا يكون معمولا بحال من الأحوال، ما دام مبتدأ عاملا، فحالّه من هذه الناحية كحال الفعل، الذي لا يكون إلا عاملا أبدا⁴، فسيبويه لا يقبل أن يكون عنصر نحوي عاملا ومعمولا في الوقت نفسه، مما يؤكد نظرة سيبويه والرضي - من القدماء - والحاج صالح - من المحدثين - البنائية للعامل، فظلا عن الوظيفة لمضمون عمله النحوي، فالعامل هو العنصر المسؤول عن تكوين الجملة وبنائها، وهذه الوظيفة التي يؤديها في الجملة هي مضمون عمله⁵، فلا بدّ أن يختلف العنصر العاملي عن العنصر المعمولي، فلا يكون أحدهما هذا وذاك في الوقت نفسه⁶.

وقد برهن عبد الرحمن الحاج صالح على صحة ما ذهب إليه سيبويه والرضي الاستراباذي بقوله: "أما فيما يخص كلام سيبويه فلم يذكر الأخص ومن تبعه في ذلك أن عبارة الكتاب: " (في موضع اسم مبتدأ) هي مساوية لـ (موضع الفعل المبتدأ)، فالفاعل المبتدأ هو الفعل الذي وقع في موضعه

1- المصدر نفسه، ج1، ص: 199.

2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 153.

3- سيبويه، "الكتاب"، ج2، ص: 128.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص: 19.

5- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 26-27.

6- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة"، مجلة الجمع الجزائري للغة العربية، الأبيار، الجزائر، عدد: 24، ديسمبر 2016، ص: 22.

الأصلي (إذ قد يقع في موضع الاسم) أي موضع العامل في الاسم غير الجار وهو الفعل والنواسخ والابتداء، والدليل على ذلك أن سيبويه قال بالنص الصريح أن اسم الفاعل هنا في موضع ابتداء، ثم أنه يسمي كل ما يغطي هذا الموضع مبتدأ، وذلك مثل الفعل وقال عن (إنَّ) إنها لا تكون إلا مبتدأً فالاسم المبتدأ ليس عنده ههنا الاسم الذي عمل فيه الابتداء كما فهمه الأخفش، بل الاسم الذي يقع في موضع الابتداء نفسه الذي هو موضع العامل في الاسم، لأنه يعمل عمل الفعل تماماً، ويتم به الكلام ويقوم مقامه في موضعه وليس في موضع الذي يعمل فيه الابتداء¹، والدليل على ذلك ينحصر في هاتين الحقيقتين:

1. لا يتصرف اسم الفاعل - هنا فقط - تصريف الاسم (التعريف والتصريف والتثنية والجمع والوصف)².

2. لا يمكن أن يحذف في هذه الحالة الفاعل وغيره مما يعمل فيه، هذا أو ذاك في الصفة العاملة عمل الفعل في غيره هذا الموضع³ يقال: هنَّ حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ بِالْإِنصَابِ⁴ والصف العاملة هنا في موضع خبر (معمول²)، كما يجوز حذف معمول الصفة فاعلاً أو مفعولاً في غير موضع العامل: يجوز (مررت برجل ضارب أخوه عمراً) و(برجل ضارب) وهذا متعذر إذا جاءت الصفة العاملة في موضع العامل فلا يحذف الفاعل؛ لأنه به يتم الكلام⁵.

وقد وضح الحاج صالح هذا الذي ذكره بالجدول التالي⁶:

نلخص في الجدول أعلاه ما يلي:

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 19.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 153.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 19.

4- سيبويه، "الكتاب"، ج 1، ص: 57.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 19-20.

6- المرجع السابق، ج 2، ص: 20.

1. (Ø) هي علامة الخلو في الموضع. فالفعل جاء في موضعه الأصلي أي موضع العامل فلا يحتاج بالضرورة إلى دخول أي شيء عليه مماثلة الصادرة بخلاف الصفة¹.
2. إن تغطي موضع العامل ومائلة الصدارة (لا يقدم عليها شيء)²، فهي عامل ولهذا لا يمكن أن تعمل في الصفة العاملة، لأن هذه الصفة قد حلت محل العامل³.
3. حمل الصفة على الفعل يجعلها فرعاً عليه⁴، وهذا القياس ينتج عنه مثال وهو الجدول السابق الذي يمثل منظومة أو نسق من المواضع⁵.

من خلال الرسم التوضيحي السابق تتجلى الأهمية الكبيرة للموضع فضلاً عن أهمية العملية الاستنباطية التي هي الحمل على الموضع أو ما يسمى بالقياس التمثيلي، فيستحيل في هذا القياس الممثل بالرسم أن تدخل (إن) أو (ظننت) على (أقائم أخواك)، وسيبويه مع الرضي هم الذين تنبهوا إلى ذلك. أما إعراب هذه الصفة، فراجع إلى أصلها وهي الاسم⁶، وكونها في موضع الفعل لا يمنعها من هاتين الميزتين الاسميتين دخول التنوين والإعراب⁷. ويمكن أن تكون مجرورة، مثل غير قائم أخواك أو مرفوعة لتجردها وجوبا من العامل اللفظي رافعا أو ناصباً إذ هي في موضعها - ولا يدخل عامل على عامل - وفي نفس الوقت لتجردها من الجار⁸.

1- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 151.

2- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 1، ص: 296.

3- المرجع السابق، ج 2، ص: 21.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 153.

5- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 1، ص: 311.

6- المرجع السابق، ج 2، ص: 21.

7- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 153.

8- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 21.

وهذا يفسر أيضاً أن سيبويه يجعل عامل الرفع في الفعل المضارع وقوعه في موضع الاسم، وهذا الاسم في كلام سيبويه هو الصفة - لا أي اسم - فلا يمكن أن يقال: إن تجرده من الناصب والجازم هو عامل الرفع فيه؛ لأن ما يعمل في الاسم - وهو هنا التجرد- لا يعمل في الفعل¹.

يتبين لنا مما تقدم أن مفهوم الحمل من مفهومات الربط العاملي، وهذا ما حاول الحاج صالح إثباته عن طريق التأصيل لهذا المفهوم عند النحويين العرب القدماء، فقد كان النحاة العرب ينطلقون من اللفظ في ظاهره، ويحملون هذا النحو على ذلك، أي يجعلون الأنحاء الكثيرة من تلك التي تنتمي إلى باب واحد، بعضها بإزاء بعض حتى يظهر الترتيب والنظم، وهذا الحمل هو من قبيل العمليات الرياضية.

1- الإجراء:

هو مفهوم من مفهومات الربط العاملي عند النحويين القدماء، وقد أشار عبد الرحمن الحاج صالح إليها من منطلق استعمال سيبويه لها في وصف السلوك العاملي والسلوك العمولي، الذي يطرأ على طائفة من التراكيب، فتظهر بذلك علاقات ربط عاملية، فهو إذا من المفهومات المستعملة في حقل الربط العاملي.

فقد يأتي الإجراء عن النحويين العرب - ولا سيما سيبويه - وصفا للسلوك العمولي للأصناف النحوية التي تأتي معمولات؛ أي وصفا للهيئة التي ترتبط بها مع العامل²، قال سيبويه: "هذا باب ما يجري على الموضع، لا على الاسم الذي قبله وذلك قولك: (ليس زيدٌ بجبان ولا بخيلاً)، و(ما زيدٌ بأخيك ولا صاحبك) والوجه فيه الجر: لأنك تريد أن تشرك بين الخبرين، وليس ينقض إجراءه عليك

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 2، ص: 21.

² - المرجع نفسه، ج 1، ص: 302.

المعنى، وأن يكون آخره على أوله أولى، ليكون حالهما في الباء سواء كحالهما في غير الباء، مع قرينه منه، وقد حملهم قرب الجوار على أن جروا: هذا جر ضبَّ خرب، ونحوه، فكيف ما يصحُّ معناه¹.
قال: أبو سعيد: معنى ذلك أنك إذا قلت: "ليس زيدٌ بجبان ولا بجيلاً، جاز النصب في "بخيل" والجر أيضاً، غير أن الجر أجود لأن معنهما واحد ولفظ الخبر مطابق للفظ الأول"².

ثم يقول: "وإذا تطابق اللفظان مع تساوي المعنيين، كان أفصح من تخالف اللفظين، والعرب تختار مطابقة، وتحرص عليها، وتختار حمل الشيء على ما يجاوره، حتى قالوا: "جر ضبَّ خرب" فجروا خرباً، وهو نعت "للحجر" لمجاورة "الضب"، فكذلك إذا قلت: "ليس زيدٌ بجبان ولا بجيلاً"، فأقرب الأسماء من "بخيل" هو اسم مجرور، والحمل عليه أولى من النصب على المعنى، إذا كان معنى النصب والجر واحداً"³.

وقد علق عبد الرحمن الحاج صالح على نص سيبويه بقوله: "أي الأصل والقياس النحوي يوجب الجر، ولكن الاستعمال الحقيقي (السماع) جاء منه ما يخالف ذلك، وإذا كثر صار أصلاً آخر"⁴، ثم يردف قائلاً: "وقد يتفق أن يمتنع هذا الإجراء أولاً لعدم وجوده في الاستعمال، ثم لأنه يُخلُّ باللغة... (ما زيدٌ على قومنا ولا عندنا، كان النصب ليس غير، ولا يجوز حملهُ على ما؛ لان عندنا لا تستعمل إلا ظرفاً"⁵.

وبالتالي يمكن القول: "إن عبد الرحمن الحاج صالح قد وظف مفهومات الربط العاملي من خلال فهمه للعامل النحوي ونظرية العمل العربية فهما صحيحاً، إذ كانت عنايته بها موجهة بصفة خاصة نحو دراسة النحاة العرب القدماء الذين مثّلوا للدراسة العلمية لعمليات الربط، فضلاً عن

1- سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 66-67.

2- السرياني، "شرح كتاب سيبويه"، ج1، ص: 345.

3- السرياني، "شرح كتاب سيبويه"، ج1، ص: 345.

4- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 302.

5- المرجع نفسه، ج1، ص: 302.

العلاقات النحوية بين العناصر المترابطة في الجملة النحوية، أي: بين العامل (الرابط) والمعمول (المربوط)، فالحاج صالح فسر العلاقات النحوية بين عناصر الجملة بالعامل بوصفه العنصر النحوي المسؤول عن إنتاج هذه العلاقات، فبالعامل يمكن تفسير ظاهرة لغوية هي علاقة كلمة داخل الجملة في هذه العلاقة ثم تصنيف الكلمات إلى عوامل ومعمولات¹.

ولابد من الإشارة إلى أن ثمة مبدأ لساني ارتبط وتداخل مع نظرية العامل العربية؛ وهو نمط التبعية النحوية - الذي استغلته اللسانيات الحاسوبية أيما استغلال²، وهو مبني على فكرة مفادها أن جميع الألفاظ البشرية تابعة لما قبلها أو متبوعة، فهذه النظرية - أي التبعية - هي أقرب بكثير إلى نمط النحاة العرب وخاصة إلى مفهوم العمل³، فالفعل مثلاً هو المتبوع بالنسبة للفاعل والمفاعيل والاسم هو الأول بالنسبة للوازمه⁴، وكل بنية للكلام تكون، كما أثبتته القدامى من النحاة، بعامل مع معموليه الأول والثاني مع الزوائد أو عدمها، ولا يكون عامل بدون معمول واحد على الأقل؛ إذ لا يظهر في الكلام فعل بدون فاعل و"إن" أو "كان" الناسخة بدون اسمها⁵.

ثم إنَّ الفعل قد لا يكون له معمول ثانٍ⁶:

1. فقد يكون أولاً له مفعول به.

2. وقد يبنى للمفعول فيأتي المفعول في موضع الفاعل ويزول بذلك موضع المعمول الثاني وجوباً.

ويمكن أن نرسم ذلك كالتالي⁷:

1- نصر حمد أبو زيد، "اشكاليات القراءة وآليات التأويل"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 1996، ص: 195.
 2- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 1، ص: 255. وينظر: "البنى النحوية العربية"، ص: 228.
 3- عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج 1، ص: 257.
 4- المرجع نفسه، ج 1، ص: 256.
 5- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 132.
 6- عبد الرحمن الحاج صالح، "البنى النحوية العربية"، ص: 132.
 7- المرجع نفسه، ص: 133.

بنية الوحدة التركيبية (الجملة).

المبني على العامل	الزوج المرتب: العامل ومعموله الأول	
المعمول الثاني (م2)	المعمول الأول	العامل (ع)

المبني عليه (=الخبر)	المبتدأ	الابتداء Ø
خيرها	اسمها	كان
خيرها	اسمها	إن
...
المفعول به	الفاعل	الفعل المتعدي
-	الفاعل	الفعل اللازم
-	نائب الفاعل	الفعل المبني للمفعول

خاتمة

لقد قرأ عبد الرحمن الحاج صالح التراث النحوي العربي للنحاة القدماء قراءة دقيقة معمقة، ومن جهة أخرى تتبع ما توصلت إليه أبحاث اللسانيات الغربية، واكتشف السبل العلمية والرياضية التي ميزت نظرية النحو العربي القديم، فاقتنع بضرورة إحيائها من جديد.

تعدّ النظرية الخليلية امتداداً مباشراً لنظرية النحو العربي القديمة (علم العربية) التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه ومن جاء بعدهما من العماء الأفاذ، أمثال أبي علي الفارسي وابن جني ورضي الدين الأسترباذي.

لقد كان منطلقه النحوي النظري، النظرية الخليلية القديمة، وابتدع منها النظرية الخليلية الحديثة، فكانت نظرية على نظرية واكتشاف على اكتشاف.

استطاع عبد الرحمن الحاج صالح ببراعته العلمية وفطنته اللغوية أن يزوج ما بين التراث النحوي العربي الأصيل وبين مناهج اللسانيات الحديثة، وبالتالي فقد نafs بهذه النظرية ما استجدّ من نظريات لغوية غربية وعربية، إضافةً إلى طموحه في ترسيخ المفاهيم النحوية العربية الأصيلة.

لقد اعتمدت النظرية الخليلية على مجموعة من المفاهيم كالسلامة النحوية والانفراد وحق اللفظة والعامل والموضع والعلامة العدمية.

إنّ هذه المفاهيم مقابلة لكثير من التصورات التي جاءت بها المدارس الغربية، وبعضها لم يتصرفه الغربيون إطلاقاً كالمثال والباب والحركة والسكون، كما يرى الحاج صالح.

إنّ المنهج العلمي اللساني الذي تأسست عليه النظرية الخليلية يعدّ منهجاً رياضياً إجرائياً حلياً مفاذه حمل الشيء على الشيء لاستنباط البنية الجامعة.

من مظاهر الأصالة والإبداع في الفكر النحوي الخليلي هو تمييز القدامى بين جانبين اثنين، عند تحليلهم للغة ليس بينهما أي تناظر كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح، ويتمثل هذان الجانبان في:

- الجانب اللفظي الصوري الذي يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته؛ أي المعنى الموضوع له بقطع النظر عما يؤديه في وظيفة الخطاب أي ما يخص دلالاته المعجمية الوضعية.
- وجانب الخطاب يتمثل في كيفية استعمال الخطاب ومدلولاته في عملية الإفادة؛ أي الإعلام والمخاطبة، وتبليغ الأغراض بين ناطق وسماع في موقف اجتماعي معين حيث يعد المتكلم جزءاً منه إلى جانب السامع.

فائفة المصاحور والمراجم

❖ القرآن الكريم.

أولاً: المصادر :

1. ابن أجزوم، شرح المقدمة الأجزومية، شرح محمد صالح العثيمين، دار الإمام مالك للكتاب، البليدة- الجزائر، ط2، 1434هـ-2013م.
2. أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990م.
3. بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2009م.
4. أبو الحسن بن سيده (ت458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
5. ابن سيده (ت458هـ)، "المخصص في اللغة"، المكتب التجاري للطباعة، بيروت (أوفست عن المطبعة الكبرى الأميرية)، بولاق، 1321هـ.
6. ابن فارس، "الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، تح: مصطفى الشويدي، ملتزم الطبع والنشر، بيروت، 1964م.
7. محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر ابن مضاء القرطبي في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط1.
8. موفق الدين يعيش بن علي (ت643هـ)، شرح المفصل، قدم له: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
9. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، 1956م.
10. ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك"، تح: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، لبنان.

11. ابن هشام الأنصاري، "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.
12. ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعراب"، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1992م.
13. الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ج2.
14. الأنباري: "البيان في إعراب القرآن"، تح: طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، 1970، ج1.
15. الأنباري، "اللمع الأدلة في أصول النحو" تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دط، 1957م.
16. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1988م.
17. عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مراجعة: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، 1978م.
18. الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، طبعة 1973م.
19. الزجاجي، "مجالس العلماء"، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة، الكويت، دط، 1962م.
20. الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ط2، 1957م، ج3.

21. أبو القاسم جار الله بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، شرحه وضبطه: يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة، ط1، د.ت.
22. السيرافي، "أخبار النحويين البصريين"، تح: نخبة من العلماء، مكتبة الثقافة العلمية، القاهرة، 1468هـ، 2007م.
23. أبو محمد السيرافي (ت385هـ)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
24. جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.
25. جلال الدين السيوطي، "الأشباه والنظائر في النحو"، تحقيق: د. سالم عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
26. جلال الدين السيوطي، "الاقتراح في أصول النحو"، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط2، 2006م.
27. جلال الدين السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
28. جلال الدين السيوطي، "همع الهوامع في شرح الجوامع"، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980م.
29. الشريف العربي، "دروس في البلاغة العربية"، دار الشموع والثقافة، الزاوية، ط1، 2002م.
30. أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسة الملقب بالأعلم الشنتمري (ت476هـ)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق: د. يحيى راد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.
31. القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: لجنة من أساتذة الأزهر، مطبعة السنة المحمدية،

32. أبو نصر محمد الفارابي (ت339هـ)، "إحصاء العلوم"، تحقيق: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1968م.

33. الفراء، "معاني القرآن"، تح: أحمد يوسف نحاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، دط، 1955م، ج1.

34. أبو العباس المبرد (ت285هـ)، المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب بيروت، 1965م.

ثانيا: المراجع:

35. إبراهيم السمراي، "النحو العربي نقد وبناء"، دار الصادق بيروت، دط، 1968م.

36. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط6، د.ت.

37. إبراهيم مصطفى، "أحياء النحو"، القاهرة، 1937م.

38. ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، تح: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1979م.

39. أحمد المتوكل، "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد"، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

40. أحمد سليمان ياقوت، "الكتاب بين المعيارية والوصفية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.

41. أحمد شامية، "في اللغة"، دار البلاغ للنشر، الجزائر، ط1، 2002م.

42. أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر والمطبعة العلمية، دمشق، ط1، 2001م.

43. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، الدار العربية، بيروت، ط1، 2011م.

44. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، دار المعارف، مصر، 1971م.
45. أحمد مطلوب، "البلاغة عند الجاحظ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام دائرة الشؤون الثقافية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م.
46. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، د.ت.
47. إدريس مقبول، "الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه"، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006.
48. الاسترادي، "شرح كافية ابن الحاجب"، تح: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دط، دت، ج1.
49. إسماعيل عمايرة، نشأة الدراسات اللغوية العربية، مطبعة وائل، الأردن، ط3، 2002م.
50. إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، حافظ دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م.
51. الأنصاري، "النوادر في اللغة"، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1980.
- 52.
53. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م.
54. تمام حسان، الأصول - دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 1982م.
55. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2007م.
56. التواتي بن التواتي، "مفاهيم في علم اللسان"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008.
57. جورج سارطون، "المدخل إلى تاريخ العلم"، طبعة Baltimore، 1927م، ج1.

58. جعفر نايف عبابنة، "مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي"، دار النشر والتوزيع، عمان، ط1، 1984م.
59. جلال الدين السيوطي، "همع الهوامع في شرح الجوامع"، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980م.
60. جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: د.مازن المبارك وآخرون، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، قم، ط5، 1972م.
61. حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات"، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009م.
62. حافظ إسماعيلي، محمد الملاخ، "قضايا ابستمولوجية في اللسانيات"، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009م.
63. حسن حنفي، "التراث والتجديد - موقفنا من التراث القديم"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1991م.
64. حسن خميس الملخ، "التفكير العلمي في النحو العربي"، دار الشروق، عمان، ط1، 2002م.
65. حسن خميس الملخ، "رؤى لسانية في نظرية النحو العربي"، دار الشروق، عمان، 2007م.
66. حسن عباس، "النحو الوافي"، دار المعارف، مصر، ط3، 1974م.
67. حسين رفعت حسين، "الموقعية في النحو العربي - دراسة سياقية"، عالم الكتب، ط1، 2005م.
68. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988م.
69. حليلة عمارة، "الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة"، دار وائل، الأردن، ط1، 2006م.

70. خليل أحمد عمارة، "المسافة بين التنظيري النحوي والتطبيقي اللغوي"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م.
71. خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها- منهج وتطبيق، عالم المعرفة، السعودية، ط1، د.ت.
72. خليل عمارة، "العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي"، جامعة اليرموك، د.ط، د.ت.
73. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.
74. داود عبده، "أبحاث في اللغة العربية"، مكتبة رياض الصلح، بيروت، 1973م.
75. رابع بومعزة، "من أنماط التحويل في النحو العربي"، عالم الكتب الحديث، جزار الكتاب العالمي، ط1، 2008م.
76. رابع بومعزة، التحويل في النحو العربي- مفهومه، أنواعه- الصورة البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2008م.
77. الرضي الأستربادي (ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب (ت646هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1975م.
78. الرضي الأستربادي، "شرح كافية ابن الحاجب"، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، د.ت.
79. رمضان عبد التواب، "اللغات السامية"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1973م.
80. رمضان عبد التواب، "دراسات وتعليقات في اللغة"، مكتبة الخانجي، ط1، 1994.
81. رمضان عبد التواب، "التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي"، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1983م.
82. رمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
83. زكريا إبراهيم، "مشكلة البنية"، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.

84. الزمخشري، "شرح المفصل"، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، منشورات محمد علي بيضون، ج4.
85. ابن السراج، "الأصول في النحو"، مخطوطة المكتبة العامة، الرباط، رقم 326، ج1.
86. ابن السراج (ت316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج2.
87. ابن سلام الجمحي، "طبقات فحول الشعراء"، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، دط، 1997م.
88. سمير شريف استيتية، اللسانيات- المجال والوظيفة والمنهج، علم الكتب الحديث، إربد، ط2، 2008م.
89. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1977م.
90. السيوطي، "الأشباه والنظائر في النحو"، تح: سالم عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج1.
91. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2004م.
92. الشنتمري، "النكت في تفسير سيبويه، تح: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، 1999م، ج1.
93. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول-"، دار المعارف بمصر، ط3، د.ت.
94. شوقي ضيف، "تجديد النحو"، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط3، د.ت.
95. صالح بلعيد، "النحو الوظيفي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

96. عباس حسن، "اللغة والنحو العربي بين القديم والحديث"، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1971م.
97. عبد الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1979م.
98. عبد الرحمن الحاج صالح، "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية"، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، د.ت.
99. عبد الرحمن الحاج صالح، "مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي.
100. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم لنشر، الجزائر، 2007م.
101. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العربي في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012م.
102. عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق العرب في علوم اللسان"، دار راجي للنشر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010.
103. عبد السلام المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981م.
104. عبد السلام المسدي، "اللسانيات وأسسها المعرفية"، الدار الوطنية للنشر، تونس، 1997م.
105. عبد الصبور شاهين، "في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة"، بيروت، ط1، 1980م.
106. عبد القادر الفاسي الفهري، "المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة"، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1999.
107. عبد القادر الفاسي الفهري، "عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني في المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية"، دار توبقال للنشر، ط2، 1993م.
108. عبد القادر الفاسي الفهري، "اللسانيات واللغة العربية (في جزئين)"، دار توبقال، المغرب، ط3، 1993م.

109. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية- نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، 1986م.
110. عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002م.
111. عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط5، 2004م.
112. عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية-"، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م.
113. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.
114. عبده الرجحي، "النحو العربي والدّرس اللّساني الحديث يبحث في المنهج"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
115. عبقرى من البصرة، د. مهدي المخزومي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1972م.
116. علي أبو المكارم، "أصول التفكير النحوي"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.
117. علي أبو المكارم، "الحذف والتقدير في النحو العربي"، دار غريب، مصر، طبعة 2008.
118. علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.
119. علي زوين، "منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.

120. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
121. علي عبد الله العنبيكي، "الحمل على المعنى في العربي"، مركز البحوث والدراسات بغداد، ط1، 2012.
122. ابن فارس، "مقاييس اللغة"، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت مادة (قوس).
123. فاضل صالح السمرائي، "معاني النحو"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000م، ج1-2.
124. فتحى الدجني، "النزعة المنطقية في النحو العربي"، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982م.
125. فخر الدين قباوة، "تحليل النص النحوي"، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1، 1997.
126. القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق: لجنة من أساتذة الأزهر، مطبعة السنة المحمدية، ج1.
127. القفطي، "إنباء الرواة على أنباء النحاة" تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1406هـ، ج1.
128. كريم حسين الخالدي، "أصالة النحو العربي"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005م.
129. الكسائي، "ما تلحن فيه العامة"، مكتبة الخانجي، د ط، دت.
130. كمال بشر، "دراسات في علم اللغة"، دار المعارف، مصر، 1969م، القسم الأول.
131. مازن الوعر، "دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة"، دار المتنبي، دمشق، ط1، 2001.

132. مازن الوعر، "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث"، دار طلاس للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1988م.
133. محمد إبراهيم عبادة، النحو العربي أصوله وقضاياه وكتبه مع ربطه بالأسس اللغوي الحديث"، مكتبة الآداب علي حسن، ط1، 1430هـ - 2009م.
134. محمد التوبجي، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- 135.
136. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار القلم، القاهرة، 1982م.
137. محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، جامعة تشرين، اللاذقية، 1979م.
138. محمد خير الحلواني، "المفصل في تاريخ النحو العربي"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م.
139. محمد علي الجابري، "التراث والحداثة"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
140. محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1، 1981م.
141. محمد كاظم البكاء، منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1981م.
142. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
143. محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2003م.
144. محمود فهمي حجازي، "علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة"، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970م.
145. محمود فهمي حجازي، "مدخل إلى علم اللغة"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1976م.

146. محي الدين درويش، "إعراب القرآن الكريم وبيانه"، دار اليمامة وابن كنيذ، بيروت، ج1.
147. مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، ط1، 2002م.
148. مزيان علي، "الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم"، دار أساريا للطباعة والنشر، الزاوية، ط1، 2001م.
149. مصطفى غلفان، "اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات"، درا الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013.
150. مصطفى غلفان، "اللسانيات العربية الحديثة- دراسة نقدية المصادر والأسس النظرية والمنهجية"، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1998م.
151. مصطفى غلفان، "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين"، شركة المدارس للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
152. مصطفى غلفان، "في اللسانيات العامة: تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م.
153. معصومة عبد الصاحب، "الجمل الفرعية في اللغة العربي بين تحليل سيويه ونظرية تشومسكي"، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2008.
154. مناهج التأليف النحوي، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 2007م.
155. منذر عياشي، "قضايا لسانية وحضارية"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1991.
156. منذر عياشي، "اللسانيات والدلالة"، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1991م.
157. منذر عياشي، "قضايا لسانية وحضارية"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1999م.

158. المنصف عاشور، "ظاهرة الاسم في التفكير النحوي"، منشورات كلية الآداب، منوبة- تونس، ط2، 2004.
159. مهدي المخزومي، "الخليل بن أحمد أعماله ومنهجه"، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.
160. مهدي المخزومي، "في النحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 2005م.
161. ميشال زكريا، "الملكة اللسانية في مقدمك ابن خلدون"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1986.
162. ميشال زكريا، "بحوث ألسنية عربية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992م.
163. نايف خرما، "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، د.ط، 1972م.
164. أبو نصر الفارابي (ت339هـ)، "كتاب الحروف"، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006م.
165. نعمان بوقرة، "اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة"، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009م.
166. نعمان بوقرة، "المدارس اللسانية المعاصرة"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2003م.
167. نهاد الموسى، "قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث"، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987م.
168. نهاد موسى، "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"، العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.

169. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الشارقة، 2008م.
170. نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيويه، دار دجلة، عمان، ط1، 2007م.
171. هيام كريدية، الألسنية رواد وأعلام، بيروت، ط1، 2010م.
172. ابن يعيش، "شرح المفصل"، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت، ج7.

ثانيا: المذكرات والرسائل الجامعية:

- (1) حيدر سعيد عباس مرزة، "آثار محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة"، مذكرة ماجستير في اللغة العربية، جامعة بغداد، كلية الآداب - قسم اللغة العربية، سنة 1996.
- (2) محمد إبراهيم يوسف شيبية، "شرح كتاب سيويه لعلي بن عيسى الرماني"، المجلد الأول، رسالة دكتوراه في النحو والصرف، جامعة أم القرى.
- (3) سعيد أحمد البطاطي، "نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيويه"، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

ثالثا: الكتب المترجمة:

1. أندري مارتينييه، "مبادئ للسانيات العامة"، ترجمة: أحمد الحموم، وزارة التعليم العالي، دمشق، د.ط، 1989.
2. باتشيت بريجيتيه، "مناهج علم اللغة من هرماون باول حتى نعوم تشومسكي"، ترجمة: أ.د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
3. براجستراسر، "تطور الدرس النحوي"، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997م.
4. جوليا كريستيفا، "علم النص"، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1991م.

5. جون لاينز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1970م.
6. جون ليونز، "نظرية تشومسكي في العمل والأثر"، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1995م.
7. دي سوسير، "محاضرات في الألسنة العامة"، ترجمة: يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م.
8. ديان مكدونيل، "المقدمة في نظريات الخطاب"، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، مكتبة الأكاديمية، ط1، 2001م.
9. روبرت دي بوجراند، "النص والخطاب والإجراء"، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ط1، 1998م.
10. روي هاريس وتوليت جي تيلر، "أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي من سقراط إلى سويسير"، تعريب: أحمد شاكر الكلاجي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
11. فردينا ندي سوسير، "دروس في الألسنية العامة"، ترجمة: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1985م.
12. فردينا ندي سوسير، "علم اللغة العام"، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك المطلبي، بيت الموصل، 1988م.
13. ماريو باي، "أسس علم اللغة"، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.
14. ميشال فوكو، "نظام الخطاب"، ترجمة: محمد سبيلة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1984م.

15. ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: د. سعيد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000م.
16. نعوم تشومسكي، "البنى النحوية"، ترجمة: د. يؤيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
17. نعوم تشومسكي، "جوانب من نظرية النحو"، ترجمة: مرتضى جواد باقر، وزارة التعليم العالي، جامعة البصرة، د.ت.
- رابعاً: المجالات والدوريات:
- 1- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العشرين، الكويت، 1989م.
- 2- إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيوييه، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد 33، الكويت، 2004م.
- 3- بشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، 2005م.
- 4- بشير إبرير، "آليات تحليل الخطاب في كتاب سيوييه"، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 10، 2014.
- 5- حامد صادق قنيني، "القياس اللغوي وتنمية الألفاظ"، مجلة اللسان العربي، العدد 37، 1993.
- 6- دليلة مزوز، "المنحى الوظيفي في رسالة سيوييه"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد 7، جوان 2010.
- 7- سارة ميلز، "الخطاب والإيديولوجيا"، ترجمة: يوسف بغول، حولية مختبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، مطبعة البحث، عدد 1، 2002م.

- 8- شريف بو شحدان، "واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي - الخطاب اللساني أنموذجاً"، مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد السادس، 2002م.
- 9- الشريف بوشحدان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، 2009م.
- 10- شفيقة العلوي، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنوع تشومسكي، حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد السابع، 2007م.
- 11- عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، ع4، 1973-1974.
- 12- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيم الأساسية -"، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، كراسات المركز، بوزريعة - الجزائر، العدد الرابع، 2007.
- 13- عبد الرحمن الحاج صالح، "أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الأبيار، الجزائر، عدد: 24، ديسمبر 2016.
- 14- عبد الرحمن الحاج صالح، "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر، العدد الأول، 1971م.
- 15- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية"، مجلة اللسانيات، العدد السادس، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر، 1982م.
- 16- عبد الرحمن مصطفى السيد، "نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التراكيب"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18، العدد 3، 2002م.
- 17- مازن الوعر، "حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية"، مجلة اللسانيات، العدد السادس، الجزائر، 1982.

- 18- محمد صاري، "المفاهيم الأساسية النظرية الخليلية الحديثة"، مجلة كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة- الجزائر، العدد الثامن، 2010م.
- 19- محمود فهمي حجازي، "أصول البنوية في عالم اللغة والدراسة الاثنولوجية"، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الأول، الكويت، 1972م.
- 20- المركز الوطني لتطوير اللغة العربية، النظرية اللسانية الحديثة مفاهيمها الأساسية، الجزائر، العدد الرابع، 2007.
- 21- المنصف عاشور، "مظاهر من الاختزال والتكرار في النظام النحوي"، مجلة دراسات لسانية، المجلد 04، 2002.
- 22- المنصف عاشور، "ملاحظات في رسالة سيويه (مقدمة لأصول النحو النظرية)"، حوليات الجامعة التونسية، تونس، عدد 46، 2002.

خامسا: الكتب الأجنبية:

1. BEUVEUISTE Emille, problèmes de linguistique générale, Paris Gallimard, 1966, T10.
2. HADJ Salah. A, Linguistique arabe et linguistique générale, Essai de méthodologie et d'épistémologie de l'Ilm Alarabiyya Paris 1979. T2.
3. MARTINET. A, Eléments de linguistique Générale, Paris, 1976.
4. MASSIGNEN. L, Réflexion sur la structure primitive de l'analyse en arabe1.

فهرس الموضوعات

مقدمة أ-هـ

المدخل

- أولاً: نبذة عن حياة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ونشأته الفكرية 5
- نتائجه العلمية 7
- ثانياً: اللسانيات والاتجاه التوافقي - قراءة تعريفية- 09
1. الاتجاه التوافقي 18
2. السبق التاريخي والحضاري للعرب في مجالات الدراسات اللغوية 26
3. العامل الديني 26
4. الأصول التراثية للسانيات 27

الفصل الأول: الأسس الأولى للنظرية الخيلية

- المبحث الأول: تعريف النظرية الخيلية 34
1. ماهية النظرية الخيلية الحديثة 31
2. النسبة إلى الخليل 40
3. التأسيس العلمي الرسمي للنظرية الخيلية الحديثة 44
- المبحث الثاني: مصطلح الموضع عند الخليل وسيبويه 51
1. استعمال النحويين الأولين لهذا المصطلح ومحاولة اكتشاف أغراضهم منه 49
- أ- الموضع في مستوى التركيب 49
- ب- الموضع في مستوى الكلم 50
- ج- الموضع في مستوى الخطاب 51
- أقائم أخواك "كمثال لا يمكن أن تفسر بنيته إلا الاعتماد على مفهوم الموضع 53

53	ت- ما قاله الخليل وسيبويه.....
55	ث- ما قاله الأخفش وابن السرج.....
57	ج- ما قاله الرضي.....
64	3- الموضوع في مستوى ما نسميه في النظرية الخليلية باللفظة.....
66	المبحث الثالث: إثبات أصالة النحو العربي.....
66	1- شبهات تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي.....
71	أ- آراء بعض المعاصرين من العرب.....
73	ب- الرد على هذه الشبهات.....
82	3- تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي.....
82	3-1. رفض العلماء المسلمين للمنطق.....
83	3-2. دخول المنطق للنحو العربي.....
84	3-3. غزو منطق أرسطو الفكر العربي وامتزاجه بالنحو العربي.....

الفصل الثاني: المنهج العلمي اللساني للنظرية الخليلية

88	المبحث الأول: منهج النظرية الخليلية.....
96	المبحث الثاني: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية.....
108	1- الاستقامة والإحالة من الكلام.....
138	2- مفهوم الإنفراد أو الانفصال والابتداء.....
111	3- مفهوم الموضوع والعلامة العدمية.....
116	4- مفهوم العامل.....
117	5- مفهوم نظرية العامل.....
118	أ- العامل عند النحاة القدماء.....
118	ب- العامل عند الخليل بن أحمد الفراهيدي.....

120	ت- العامل عند سبويه
123	6- مفهوم الأصل والفرع
128	7- العلامة العدمية
128	8- مفهوم المثال
129	9- مفهوم الباب
133	1- مفهوم المثال
138	2- مفهوم القياس
145	3- مفهوم الحركة والسكون
148	المبحث الثالث: نظرة الحاج صالح للخطاب التراثي
149	1- مفهوم الخطاب
151	2- أنواع الخطاب العلمي
151	أ- الخطاب العلمي
152	ب- الخطاب اللساني
152	ج- الخطاب التربوي
153	د- الخطاب التراثي
153	4- آليات الخطاب العلمي
154	3-1 مقومات الخطاب العلمي
154	أ- الوضوح
154	ب- الموضوعية
156	ج- الانتظام
157	د- الاقتصاد
157	3-2 مستويات تحليل الخطاب العلمي
157	أ- البنية التقنية: (La Structure Technique)

158	ب- البنية التنظيمية: (La Structure D'organisation)
158	ث- البنية اللسانية: (La Structure Linguistique)
159	5- تحليل الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
159	ت. من حيث الموضوع.
166	ث. من حيث المنهج
170	6- بنية الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
170	أ. العنوان

الفصل الثالث: الأصول التراثية العربية للسانيات الحديثة

172	المبحث الأول: النحو العربي واللسانيات البنوية
173	1- أهم ما يتفق فيه النحو العربي مع اللسانيات البنوية.
173	أ- أن لكل العلمين موضوعاً واحداً وهو اللغة في ذاتها
174	ب- ينطلق البنيويون من واقع اللغة وكذلك النحاة الأولون
180	3- دور التخاطب وظواهرها
182	أ- المعيارية والوصفية
184	ب- المنهج المعياري
192	المبحث الثاني: النحو العربي واللسانيات الوظيفية
194	مقاربات ابن جني و نظريته اللغوية.
198	- اللغة وسيلة للتعبير
198	- اللغة فعل لساني
199	- اللغة فعل قصدي
199	- اللغة إصطلاح

199.....	-اللغة ملكة لسانية.....
200.....	-اللغة ميزة إنسانية مكتسبة.....
221.....	1- من حيث المظهر المركبي
218	2- المعالم الوظيفية عند سيويه
220	1-1 أقسام الكلام (المكون المعجمي).....
221	2-1 الإعراب من منظور وظيفي.....
223	3-1 المسند والمسند إليه تركيب وظيفي
242	المبحث الثالث: النحو العربي واللسانيات التوليدية التحويلية.....
236	1- ظاهرة الإطالة والتكرار
236	2- أنواع العوامل.....
253	3- تمثيل البنية النحوية التخطيطي المستوفي للصفتين: التبعية والاندراج.....
253	3-1 مقارنة بين المخططات التي يتضمنها كل مذهل
257	3-2 التحليل البلومفيلدي على شكل علب متداخلة (علب هوكيت).....
262	8- التخطيط لما سبق بما يقتضيه التحليل العربي.....
262	أ- بناء الاسم (الرسالة) على الفعل
263	ب- بنية مع حروف الصدارة (أ: الخبر/الاستفهام/النفي وغيرها)
264	ج- بنية مع حروف الصدارة (ب: الشرط: ان/ حيثما)
264	د- بناء الفعل على الاسم
266	9- توليد تشومسكي ومنوئيد في إصلاح الرياضيات والتفريع والتحويل عند العرب
267	5-1 مفهوم الجملة التوليدية.....
269	(1) الحذف
271	(2) حذف الفعل
272	(3) أسلوب الاختصاص
273	(4) الإغراء

275 التحذير (5)
278 التحويل بإعادة الترتيب (6)
286 التحويل بالزيادة (7)
295 التحويل بزيادة القيود (الزوائد غير العاملة) (8)
302 2-5 نظرية العمل العربية
305 البناء (1)
312 الحمل (2)
320 الإجراء (3)
324 خاتمة
326 قائمة المصادر والمراجع
345 فهرس الموضوعات

ملخص:

لقي التراث اهتماما كبيرا من قبل اللسانيين العرب، و نقصد بالتراث الأعمال اللغوي التي خلفها القدماء، و نحاول في هذا البحث دراسة النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح مبرزين أهم نقاط الالتقاء و الإختلاف بينها و بين النظريات اللسانية الحديثة على أن يتم هذا في إطار موضوعي يسعى إلى بلورة المناهج و الممارسات اللغوية ، حتى يتسنى لنا حمل التراث على المنظور المتجدد .

الكلمات المفتاحية : التراث - اللسانيات، النظرية الخليلية ، البنوية - المعيارية.

Résumé :

L'héritage arabes a accordé une grande attention à la linguistique arabe et nous voulons parler de l'héritage des travaux linguistiques laissé par les anciens. Dans cette recherche, nous essayons d'étudier la théorie de l'hébronisme d'Abdulrahman Al-Haj Salej, les points de convergence et de différence les plus importants entre eux et les théories linguistiques modernes, dans un cadre objectif cherchant à cristalliser les programmes et les pratiques linguistiques de manière à pouvoir transmettre l'héritage à une perspective renouvelée.

Mots clés : Héritage arabe , Linguistique , La théorie d'Hébron, Structuralisme, Les normes .

Abstract :

Arab heritage has paid great attention to Arabic linguistics and we are talking about the legacy of linguistic works left by the ancients. In this research, we try to study Abdulrahman Al-Haj Salej's theory of Hebronism, the most important points of convergence and difference between them and modern linguistic theories, in an objective framework seeking to crystallize the programs. and linguistic practices so as to be able to transmit the heritage to a renewed perspective.

Keywords: Arabic heritage, Linguistics, Hebron Theory, Structuralism, Norms.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

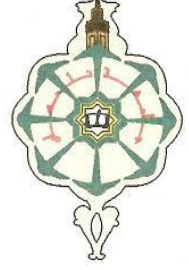
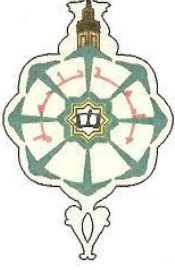
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات لغوية



ملخص

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تخصّص: لسانيات عامة - النظرية والتطبيق -

الموسومة بـ:

النّظريّة الخليليّة في الدّرس اللّساني الحديث عند عبد الرّحمن الحاج صالح

إشراف الأستاذة:

د. نورية شيخي

إعداد الطالب:

عبد الرحمن بشلاغم

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ / 2019-2020 م

قبل البدء بالحديث عن نشأة ومفهوم النظرية الخليلية الحديثة، نود أن نشير إلى مفهوم النظرية
عموماً فهي:

أ- لغة: إذا قلت: نظرت في الأمر احتمال أن يكون تفكيراً فيه وتدبراً بالقلب ... والنظر يقع على
الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني". ومن هنا كان
النظري عند الشريف الجرجاني (ت 816هـ) "هو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كصور
النفس والعقل والتصديق بأن العالم حادث"

أما اصطلاحاً فهي: "تلك الفروض الذهنية أو العقلية التي يقدمها العلماء في استنباطهم للأنظمة التي
يدرسونها"

أو هي "فرض علمي يرتبط بقوانين عدة بعضها ببعض ويتردّها إلى مبدأ واحد يمكن أن تستنبط منه
"أحكاماً وقواعد"

1- ماهية النظرية الخليلية الحديثة:

النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية علمية لسانية، وهي فرع من اللسانيات العربية التي

تختص في دراسة اللسان العربي دراسة علمية وفق المفهوم الحديث للدراسة العلمية.

ربما أنّها نظرية علمية فهي تنفرد بمجموعة خاصة من المصطلحات والفرضيات، كما أنّها تقترح رؤية
مستقلة لقراءة التراث اللغوي العربي وللدراسة العلمية المستنبطة من هذا التراث.

تحاول النظرية الخليلية الحديثة أن تعيد النظر في التراث اللغوي العربي من خلال قراءته قراءة جديدة
تتجلى بالموضوعية وعدم تبني أي أحكام مسبقة حول هذا التراث الهدف الرئيسي المعقود على هذا
الجهود العلمي هو إعادة صياغة هذا التراث من جديد بلغة العلم الحديث ومنطقه؛ والمقصود من لغة
العلم الحديث ذلك التوجه العلمي لدى العلماء والباحثين في كل أرجاء المعمورة لتوحيد مفاهيمهم
ومصطلحاتهم الفنية قدر الإمكان، وبالموازاة مع ذلك توحيد الشروط الشكلية لعرض النظريات

والأفكار العلمية من حيث التزام المؤسسات والهيئات العلمية المعتمدة بالبساطة والوضوح التام والموضوعية الكافية.

أما منطق العلم الحديث فهو منطق التفكير الرياضي، البرهان الاختباري والتجريبي ويصطلح على ذلك بالتوجه نحو (الامبريقية) أي تطابق الفرضيات مع الواقع كما هو عليه، وهذا يعني أنه لا يكفي أن تصاغ النظريات العلمية صياغة متماسكة ومقنعة من الناحية النظرية فحسب بل يجب أن يضاف إلى ذلك التحقق من تلك الصيغ بتجريبها أو اختبارها حسب الميدان الذي تنتمي إليه.

وتقترح النظرية الخليلية الحديثة اقتراحاً لا يخلو من الابتكار حيث أنها تفترض أن السلوك المنهجي الصحيح للنهوض باللغة العربية إنما هو الرجوع الواعي والمتأني إلى التراث اللغوي العربي وإعادة قراءته واستنباط شبكة المفاهيم والمصطلحات التي حفل بها، بشرط أن يلتزم في ذلك أقصى درجات التمحيص والتدقيق، من أجل فهم كلام اللغويين العرب القدامى كما أرادوه هم، وكما قصدوا من إطلاق المفاهيم والمصطلحات يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: "نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة طويلة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها الكتاب تكون في الحقيقة نظرية دقيقة لم تعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة... فهذا العمل هو إذن "قراءة جديدة لهذا الكتاب وكتب أخرى قديمة". فإذا ما تيسر لنا النهوض بهذا الجهد المعترف فإننا سنكون حينئذ قد ظفرنا بأحد أهم إنجازات اللغويين العرب في مجال الدراسة العلمية للسان العربي وهو النظرية العربية في علوم اللسان أو علم العربية كما اصطالحوا عليه.

وسيكون من المشاريع العلمية المفيدة والنافعة التي تقدمها الجمهور الباحثين والمختصين في علوم اللسان عموماً، ولمهتمين بالنحو العربي واللسانيات العربية بوجه خاص.

تعد النظرية الخليلية الحديثة فرعاً عن النظريات العلمية التي تختص في دراسة اللسان العربي وقضاياها سواء في الجانب النظري البحث أو في الجانب التطبيقي وبناء على ذلك تصنف في ميدان اللسانيات

الخاصة التي تركز في دراستها على لسان واحد من الألسنة العالمية، وفيما يلي مخطط يوضح موقع النظرية الخليلية من الدراسات العلمية للسان البشري:

وهي مدرسة أصيلة تعتمد على الفكر اللغوي العربي بدون تعصب ولا تبعية استفادت من اللسانيات بما يمكنها من فهم خبايا النحو العربي الأصيل الذي لا يزال مجهولاً في كثير من جوانبه ومفاهيمه، كما يذهب الحاج صالح، وسميت بالخليلية، لأن الخليل هو عمدة النحاة، حيث يقول الحاج صالح: "أما فيما يخص النظرية الخليلية، وسميناها هكذا على التغليب، لأن الخليل رحمه الله كان هو العماد فيها، إلا أنه قد أخذ الكثير عن شيوخه، ثم إن سيبويه لم يكن من المقلدين أبدال أثرى هذه النظرية، وهو ومن جاء بعده كالأخفش والمازني، ولاسيما مدرسة ابن الستراج مثل: أبي علي الفارسي والتهماني والسيرافي، والزجاجي، ثم ابن جني، وبعدهم بكثير الرضي الاسترابادي".

ويرجع تاريخ تأسيس المدرسة إلى حوالي خمسين سنة تقريباً، تهدف أساساً إلى إعادة قراءة التراث النحوي العربي بمنظور علمي متفتح يعيد عن التعسف والاعتباط، دون التسليم المطلق لا بقدسية اللسانيات الغربية ولا بقدسية التراث النحوي.

وبناء على ذلك استطاع الحاج صالح بتأسيسه نظرية جديدة هي امتداد لنظريات النحور العربي الأصيلة (النظرية الخليلية القديمة)، إذ تفرد بها على الساحة اللغوية العربية، فعدت معلماً بارزاً له، إذ إنَّها نظرية على نظرية تم عرضها لأول مرة عام: 1979م.

فهي في واقع الأمر نظرية ثانية (حديثة) بنيت على نظرية أولى (قديمة) إذ حاول الحاج صالح "منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن يحل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة ولاسيما ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمون إلى المدرسة الخليلية. وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية".

وتعد النظرية الخليلية الحديثة امتداداً مختاراً من الآراء والنظريات التي أثبتتها النحاة العرب الأوائل، فهي في الواقع نظرية ثانية؛ لأنها في الوقت نفسه تنظيم وبحث في الأسس للنظرية الخليلية الأولى.

فضلا عن أنها قراءة جديدة للتراث وإعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية وموازنتها بما توصل اليه البحث اللساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية.

إن النظرية الخليلية - في نظر الحاج صالح- تتبوأ مكانا وسطا بين توجهين أحدهما يتجاهل تماما ما تقدمه اللسانيات الحديثة من رؤى مهمة في فهم النظرية اللغوية، والآخر: يتجاهل التراث على الرغم من معرفته به فضل عن جعل التراث كله واحدا، وبعض أصحاب هذا التوجه مقتنعون اقتناعا تاما أنه قد تجاوز زمانه أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيات الغربية .

أما الاتجاه الذي سلكه عبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية الحديثة هو التأصيلي فضلا عن التوافقي . إذ ينتهج أصحاب هذا الاتجاه في سعيهم للتأصيل بين جوانب من النظرية اللغوية العربية، وجوانب من مناهج النظر اللغوي الحديث.

وقد انطلق الحاج صالح في تجربته اللسانية من خلال النظرية الخليلية الحديثة وهي نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا العلماء القدماء، ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس في ضوء النظريات الحديثة فقط، وإنما بدراسة ابستمولوجية (معرفية) دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم وطرق تحليلهم من دون إسقاط أي تصور آخر للنحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها. وتنطلق هذه النظرية في قراءتها للتراث وتأصيل أفكارها من منطلقين أساسيين هما:

1- لا يفسر التراث إلا التراث: فكتاب (سيبويه) لا يفسره إلا كتاب (سيبويه) ومن الخطأ أن نسقط على التراث مفاهيم وتصورات دخيلة تتجاهل خصوصياته النوعية.

2- أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة واللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع فهناك تراث وتراث.

فالتراث الذي قصدته النظرية الخليلية الحديثة هو التراث العلمي اللغوي الأصيل الذي تركه أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمن الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بالتحريات الواسعة النطاق للحصول على أكبر مدونة لغوية شهدتها تاريخ العلوم الإنسانية.

وأما الذين جاؤوا بعدهم فكانوا عالة عليهم، إذ ضيقوا حدود النحو الواسعة واستبدلوا مفاهيم القدماء الأجرائية النشطة بمفاهيم أخرى تأملية، مع بقاء الألفاظ نفسها التي تدلّ عليها في الغالب.

ومما لا يخفى أن المتتبع للنظرية الخليلية الحديثة يرى أن خلفها الكثير من الأهداف العلمية، لعل أبرزها ما ذكره عبد الرحمن الحاج صالح من "أنه لا بدّ من الرجوع إلى التراث العلمي العربي الأصيل... والنظر في ما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلّما توصل إلى مثلها كل ما جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان.

ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب. فهي تعكس الفكر الخليلي المبدع الخلاق في أسسه ومبادئه النظرية ومفاهيمه وإجراءاته التطبيقية.

وبذلك تؤكد النظرية الحديثة الفكر العربي الأصيل وموازينها مع المناهج اللسانية المعاصرة، فهي تسعى لبناء مقومات عدة تتمثل في: تحليلي اللغة ونظامها آليا وهي تقوم على إحياء المبادئ التي وضعها النحو الخليلي...

إذ إن هذه الجوانب هي الأسس العلمية التي شكّلت لنا أركان هذه النظرية وقدمتها بعرض لغوي جيد ينم عن الإبداع والفكر اللغوي المتطور.

فقد سعى عبد الرحمن الحاج صالح منذ ظهور النظرية الخليلية إلى بعث الجديد عبر إحياء المكتسب فتجاوزت مرحلة الإقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب. ويمكننا تقسيم القراءات التراثية. باعتبار هدفها المنشور على ثلاث قراءات أساسية. يلخصها مصطفى غلفان في:

- قراءة تفاعلية، تحاوله تأسيس مكانة الفكر اللغوي في إطار الفكر اللغوي العام.
- قراءة تمجيدية تنوه بالتراث اللغوي العربي وتضعه فوق اللسانيات الحديثة .
- 3-قراءة اصطلاحية هدفها تليخيص النحو العربي من كل ما تعلق به من شوائب كالتجريد والتعليل والحذف والعامل والتقدير ...

وبالعودة إلى تجربة عبد الرحمن الحاج صالح، فإنه يمكننا تصنيف تجربته في النظرية الخليلية الحديثة من ضمن القراءة التفاعلية التي تسعى إلى الإثارة من المواجهة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، إذ تقوم بتحديث الفكر اللغوي العربي والنهوض به إلى واجهة اهتماماتنا اللغوية، أما من ناحية الاهتمامات اللسانية فإننا نعني الفكر اللغوي عامة من خلال مدّه بروافد عربية فضلا عن تعميق تفهمنا اللسانيات عبرت تحليل المسائل اللغوية في التراث اللغوي العربي، كما تؤمن بعدا تراثيا للسانيات العربية تهتم بقضايا لغتنا العربية وتحلل مسائلها.

فضلا عن هذا يذكر عبد الرحمن الحاج صالح أهم المزايا التي امتازت بها هذه النظرية وهي:

1. الموضوعية العلمية: فهي تعتمد على المشاهدة، وهي بذلك علم محض وليست مجموعة اختيارات تعسفية تفرض معيارا لغويا معينا، وتهدر المعايير الأخرى.

2. التمييز بين ما هو راجع إلى التغيير الزمني، أي التاريخ عبر الزمان، وبين ما هو آني خاص بالنظر الباطني للغة.

3. اللجوء إلى الصياغة المنطقية الرياضية وهذا من أهم ما تمتاز به العلوم الإنسانية عن غيرها كالآداب والفلسفة

وتجدر الإشارة إلى أنه نبه الباحثين - في العصر الحديث بعد ما جعل اللسانيات الغربية الحديثة مقياسا مطلقا يجب اتباعه والاحتذاء به ولا يجوز الخروج عنه إذ أن هذه اللسانيات لم تبلغ من الرقي ما بلغته العلوم الفيزيائية والبيولوجية وغيرها، يقول: "أما العلوم الإنسانية - وخاصة اللسانيات - فلم تبلغ بعد هذا التبيان بحيث يصعب على الباحث العربي وغير العربي إن يدحض بعض مبادئها الأساسية ويأتي بالبديل...."

لقد قرأ عبد الرحمن الحاج صالح التراث النحوي العربي للنحاة القدماء قراءة دقيقة معمقة، ومن جهة أخرى تتبع ما توصلت إليه أبحاث اللسانيات الغربية، واكتشف السبل العلمية والرياضية التي ميزت نظرية النحو العربي القديم، فاقتنع بضرورة إحيائها من جديد.

تعدّ النظرية الخليلية امتداداً مباشراً لنظرة النحو العربي القديمة (علم العربية) التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء الأفاضل، أمثال أبي علي الفارسي وابن جني ورضي الدين الأسترباذي.

لقد كان منطلقه النحوي النظري، النظرية الخليلية القديمة، وابتدع منها النظرية الخليلية الحديثة، فكانت نظرية علي نظرية واكتشاف على اكتشاف.

استطاع عبد الرحمن الحاج صالح ببراعته العلمية وفطنته اللغوية أن يزوج ما بين التراث النحوي العربي الأصيل وبين مناهج اللسانيات الحديثة، وبالتالي فقد نafs بهذه النظرية ما استجدّ من نظريات لغوية غربية وعربية، إضافةً إلى طموحه في ترسيخ المفاهيم النحوية العربية الأصيلة.

لقد اعتمدت النظرية الخليلية على مجموعة من المفاهيم كالسلامة النحوية والانفراد وحق اللفظة والعامل والموضع والعلامة العدمية.

إنّ هذه المفاهيم مقابلة لكثير من التصورات التي جاءت بها المدارس الغربية، وبعضها لم يتصرفه الغربيون إطلاقاً كالمثال والباب والحركة والسكون، كما يرى الحاج صالح.

إنّ المنهج العلمي اللساني الذي تأسست عليه النظرية الخليلية يعدّ منهجاً رياضياً إجرائياً حمله مفاده حمل الشيء على الشيء لاستنباط البنية الجامعة.

من مظاهر الأصالة والإبداع في الفكر النحوي الخليلي هو تمييز القدامى بين جانبيين اثنين، عند تحليلهم للغة ليس بينهما أي تناظر كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح، ويتمثل هذان الجانبان في:

- الجانب اللفظي الصوري الذي يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته؛ أي المعنى الموضوع له بقطع النظر عما يؤديه في وظيفة الخطاب أي ما يخص دلالاته المعجمية الوضعية.

- وجانب الخطاب يتمثل في كيفية استعمال الخطاب ومدلولاته في عملية الإفادة؛ أي الإعلام والمخاطبة، وتبليغ الأغراض بين ناطق وسماع في موقف اجتماعي معين حيث يعدّ المتكلم جزءاً منه إلى جانب السامع.

ملخص:

لقي التراث اهتماما كبيرا من قبل اللسانيين العرب، و نقصد بالتراث الأعمال اللغوي التي خلفها القدماء، و نحاول في هذا البحث دراسة النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح مبرزين أهم نقاط الالتقاء و الإختلاف بينها و بين النظريات اللسانية الحديثة على أن يتم هذا في إطار موضوعي يسعى إلى بلورة المناهج و الممارسات اللغوية ، حتى يتسنى لنا حمل التراث على المنظور المتجدد .

الكلمات المفتاحية : التراث - اللسانيات، النظرية الخليلية ، البنوية - المعيارية.

Résumé :

L'héritage arabes a accordé une grande attention à la linguistique arabe et nous voulons parler de l'héritage des travaux linguistiques laissé par les anciens. Dans cette recherche, nous essayons d'étudier la théorie de l'hébronisme d'Abdulrahman Al-Haj Salej, les points de convergence et de différence les plus importants entre eux et les théories linguistiques modernes, dans un cadre objectif cherchant à cristalliser les programmes et les pratiques linguistiques de manière à pouvoir transmettre l'héritage à une perspective renouvelée.

Mots clés : Héritage arabe , Linguistique , La théorie d'Hébron, Structuralisme, Les normes .

Abstract :

Arab heritage has paid great attention to Arabic linguistics and we are talking about the legacy of linguistic works left by the ancients. In this research, we try to study Abdulrahman Al-Haj Salej's theory of Hebronism, the most important points of convergence and difference between them and modern linguistic theories, in an objective framework seeking to crystallize the programs. and linguistic practices so as to be able to transmit the heritage to a renewed perspective.

Keywords: Arabic heritage, Linguistics, Hebron Theory, Structuralism, Norms.

In The Name Of Allah The Most Merciful The Most Compassionate and many blessings and peace be upon His Prophet Muhammad, the most honorable of all messengers and the Seal of all Prophets

Since the Arabic tongue has been subjected to study and analysis, it finds, over time, those who serve it by revealing its essence at times and renewing what it has studied of its features at other times. It is a risk to read Arab heritage in general and linguistic in particular in light of the developed approaches and theories, because the heritage grew in a soil other than the soil that we have been accustomed to.

Arabic -Like other languages – has a special system and is considered a tool for communication and expression, but before that, it is the language of the Holy Qur'an. That last distinguishes it in many studies and researches that tuckle all its levels. All of which reflect the awareness of its people and their serious attempts to hilight how it works.

There is no doubt that the study of language is not a new matter for Arabs, yet the novelty that linguistics added is centered on the curricula proposed. The existence of the original, and then the suggestion of an alternative is not an easy matter to accept in Arabic linguistic lesson. The result is seen in the emergence of a wave of conflict between Arabic linguistic heritage and contemporary linguistics. Thus, contemporary Arabic linguistic work is restricted to a field that some researchers opted for a close vesion to heritage and an openone to linguistics; others open it to heritage and close it to linguistics while the third team open it to both

Many modern Arab researchers - including: Karim Hussein al-Khalidi, Hassan Khamis al-Malakh, Nauman Buber, Bashir Ibriir, Abdul-Hadi bin Dhafer al-Shehri and others - indicate that a new and distinctive approach can be found and has been adopted by a group of Arab linguists. The task was comprehending, understanding and representing modern linguistics in the West

and in depth look into the Arab heritage by trying to understanding the ancients' sayings. Among of which we can list Abd al-Rahman al-Hajj Salih from Algeria, Ahmad al-Mutawakkil and Abd al-Qadir al-Fassi al-Fihri from Morocco, Abd al-Salam al-Masdi from Tunisia, Mazen al-Waer from Syria, and Michel Zakaria from Lebanon and others. Those researchers have introduces Arabic linguistic thought in a real scientific dialogue with contemporary linguistic thought to determine the areas of overlap between the two.

Moreover, this dialogue is sufficient for the Arab researcher to enter the world of linguistic production, so that the Arabs become real contributors to global linguistic production in terms of development. the reason behind is that we have a linguistic heritage that we can explain , develop, and highlight its aspects so that it becomes a contemporary linguistic proposition at the global level.

Conclusion :

Abd al-Rahman al-Hajj Salih read the Arabic grammatical heritage of ancient grammarians in a careful and thorough manner, and on the other hand, he traced the results of Western linguistic research and discovered scientific and mathematical methods which distinguished the theory from ancient Arabic grammar, he was therefore convinced of the need to revive it .

Khalili's theory is a direct extension of the ancient Arabic grammar (the science of Arabic) developed by Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, Sibawayh and those who succeeded them among the eminent scholars, such as Abu Ali Al -Farisi, Ibn Jinni and Radhi Al-Din Al-Astrabadi .

He was the starting point of theoretical grammar, the ancient theory of Khalili, and he created the modern theory of Khalili, which was theory upon theory and discovery upon discovery .

Thanks to his scientific prowess and linguistic acuity, Abd al-Rahman al-Hajj Saleh was able to combine the authentic Arabic grammatical heritage with modern linguistics programs. Thus, he rivaled this theory with the latest Western and Arabic linguistic theories, in addition to his ambition to consolidate authentic Arabic grammatical concepts .

Khalili's theory was based on a set of concepts such as grammatical integrity, singularity, the right of the word, the factor, the position and the nihilistic sign .

These concepts contrast with many perceptions brought by Western schools, on which Westerners have not acted at all, such as the example, the door, the movement and the stillness, as seen by Hajj Salih .

The scientific-linguistic approach on which the Khalilian theory was based is a mathematical, procedural and prescriptive approach, the effect of which is to bring the thing onto the thing in order to derive its encompassing structure .

Among the manifestations of originality and creativity in Al-Khalili's grammatical thought is the distinction of the ancients between two aspects, when analyzing the language there is no symmetry between them, as Abdul says. Rahman Al-Haj Saleh, and these two aspects are :

-The verbal form aspect which belongs to the statement itself, its structure and its form; That is, the meaning attributed to it independently of what it accomplishes in the function of discourse, that is to say, what concerns its positive lexical meaning .

The aspect of speech is how speech is used and its implications in the information process; That is, communication and communication, and the communication of objectives between a speaker and a listener in a particular social situation where the speaker is part of it with the listener .

اللغة العربية



اللغة العربية

اللغة العربية

مجلة فصلية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

Revue Académique Trimestrielle Indexée

العربية

المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر

العدد الخمسون 2020

50

العدد 50
2020

منصات الاعتماد



WWW.ASJP.CERIST.DZ

WWW.HCLA.DZ



المجلس الأعلى للغة العربية

العنوان : 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف : 213 21 23 07 16/17 + التاسوخ : 213 21 23 07 07 +

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

عربية

العدد الخمسون

50

الإيداع القانوني
7/20 02

EISSN
6545-2600

ر.د.م.م
1112.3575

اللجنة العربية

المدير المسؤول

أ.د. صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

اللجنة العلمية للتحليل

أ.د. عبد الله العشي،

أ.د. حياة أم السعد،

أ.د. أحمد عزوز،

أ.د. عبد القادر فيدوح،

أ.د. آمنة بلعلی،

أ.د. مسعود صحراوي،

أ.د. محمد كعوان،

أ.د. الطيب دبة،

د. الجواهر مودر،

د. انشراح سعدي،

د. شراف شتاف،

د. صحرة دحمان.

رئيس التحليل

أ.د. عبد الله العشي

نائب رئيس التحليل

د. حياة أم السعد

مديرة التحليل

أ. نورة مراح

المدقق اللغوي

أ. حسن بهلول

شروط النشر:

- ✓ تنشر المجلة المقالات الرّصينة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربيّة ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربيّة، وتلحق بملخصين أحدهما باللّغة العربيّة وأخرهما باللّغة الإنكليزيّة؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجية العلميّة الأكاديميّة، وتهتمّس ألياً في آخر المقالة؛
- ✓ تخضع المقالات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الأجل المحدّدة، إن طُلبَ منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخط Simplified Arabic بينط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكترونيّ للمجلة الموضّح أدناه؛
- ✓ يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكرة أو أطروحة جامعيّة؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذي نشرت فيه مقالته؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علميّة موجزة عن الباحث؛
- ✓ لا تعبّر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

للاّصال

madjaletalarabia@gmail.com

asjp.cerist.dz

الهاتف: 00213 21 23 07 16 - الفاكس: 00213 21 23 07 17

المراسلة: مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد - الجزائر

محتويات العدد

الصفحة	العنوان
12 - 9	كلمة رئيس التحرير أ.د. عبد الله العشي
42 - 13	أدب الخيال العلمي: سؤال المفهوم والأنواع أ. فاطيمة بومعزة
72 - 43	الأثر العربي في الأدب الفارسي (مقامات الهمذاني و گلستان سعدي الشيرازي أنموذجا) أ. عليوة نصيرة
108 - 73	الأدوار التيماتية في النص المسرحي الجزائري - مسرحية البخيل لأحمد رضا حوحو أ. طيهار نسيبة أ. سيليني نور الدين
124 - 109	الإيقاع بين علم الموسيقى وعلم العروض أ. سياحوي رفيقة
154 - 125	البعد الأخلاقي في شعر عمرو بن الورد أ. خلاف بوحوالة
170 - 155	البلاغة العربية في التعليم بين الفنية والعلمية أ. يمينة سويقات د. مباركة خمقاني
190 - 171	الخطاب التراثي عند عبد الرحمن الحاج صالح د. عبد الرحمن بشلاغم

191 - 212	الرّبط اللغوي عند المحدثين وأثره في اتساق الخطاب أ. الطاهر تركي
213 - 236	السياق ودوره في تحديد دلالات الاستلزام التّخاطبي دراسة في كتاب " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان أ. عبد الصّمد بطوش
237 - 258	القارئ الصّمني ولعبة الكتابة الإبداعية دراسة تطبيقية في العتبات النصّية لرواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج أ. فاطمة الزّهراء شودار
259 - 290	اللّسانيّات الحاسوبية في الجزائر أ. محمّد بن مبخوت
291 - 304	المحنة وتجلياتها في الرّواية الجزائرية الاستعجالية د. بن داود شفيقة
305 - 324	المصطلح السّيميائي في الجزائر - بين إشكالية التّنظير ومحدودية التّطبيق- أ. منزلة قرماط
325 - 350	تجليات معايير الخطاب والتّخاطب البلاغي عند الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين أ. أمال أورابح
351 - 366	تحقّق العتبة العلميّة التّحويّة لدى الطّالب الجامعي أ. قلبازة يوسف
367 - 404	تداوليات المصطلحات اللّسانية والنّقديّة في أقسام اللغة العربيّة وأدائها - دراسة في التّصوّر والإسقاط- أ.د مختار عبد القادر لزعر د. عبد الله بن حمود الفوزان
405 - 420	تداولية الأفعال الكلامية في سورة الرّحمن أ. زابور إيمان

421 - 440	توظيف حروف الجر بين ضوابط التحوين القدماء واجتهادات المعاصرين من خلال معاجم الأخطاء الشائعة أ. الرّيتوني عبد الغني
441 - 470	جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربية بتلمسان 1932 - 1947م أ. عبد الرّحمان بن بوزيان
471 - 496	دور الأنشطة المعرفية في تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلم - سنة أولى متوسط أنموذجا - أ. سمراء شلواش
497 - 512	ظاهرة الانزياح في النقد العربي بين التّأصيل اللغوي وتعدّد المصطلح أ. دويالة عائشة
513 - 524	مخطوطة الضوابط الكلّية في نظم العوامل الجرجانية لأحمد بن سيبيويه (الحنبلي، ابن سيبيويه) - تحقيق وشرح - أ. عبد الوهاب حجازي
525 - 544	نقد منطق التّفكيك أ. أحمد العزري
545 - 586	هل يمكن للتّابع أن يُسمع؟ أ. يونس سلام
587 - 604	هيمنة اللغة الإنجليزيّة على اللغة العربيّة أ. عائشة بن السّايح د. سييوكر اسماعيل

الخطاب التراثي عند عبد الرحمن الحاج صالح

Heritage discourse at Abdul Rahman Al – Hajj Saleh

د. عبد الرحمن بشلاغم¹

تاريخ الإرسال: 2019 01 28 تاريخ القبول: 2019 09 29

ملخص: لقي التراث اللغوي العربي اهتماماً كبيراً من قبل اللسانيين العرب، وحينما نقول تراثاً فنحن نقصد الأعمال اللغوية التي خلفها القدماء ويحاول عبد الرحمن الحاج صالح دراسة هذا التراث، فينتقي من بين جواهره الموضوعات الهامة التي يمكن التوفيق بينها وبين اللسانيات المعاصرة.
الكلمات المفتاحية: منهج، خطاب، تراث، قراءة.

Abstract: The Arabic Linguistic heritage has received a big attention from the Arab Linguists. The term heritage denotes all the Linguistic works produced throughout history. In this respect, “Abdetrahmane El Hadj Salah” tries to study that heritage by choosing the core topics and the most important issues, which has a direct link with modern Linguistics.

Key words: Methodology, Speech, Heritage, Reading.

1. مقدمة: تُعدُّ النظرية الخليلية الحديثة أول عمل تراثي يُقدِّمه المؤلف معالجاً من خلاله أهم الأفكار المرتبطة بالنحو العربي عند نحائنا العرب القدماء، محاولاً إبراز مواطن الاتفاق بينها وبين الفكر اللساني الحديث، فضلاً عما تفرّد به علماؤنا القدماء.

¹ جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، البريد الإلكتروني chakirIlniaam@gmail.com

لقد تمخضت عن النظرية الخليلية مجموعة من البحوث والمقالات، عالج عن طريقها جوانب عديدة من التراث اللغوي العربي، إذ شمل كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - جزأين -) موضوعات عدة تخص النظرية الخليلية الحديثة، منها: (تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل) و(الجملة في كتاب سيبويه)، و(أول صياغة للتراكيب العربية: نظرية العمل العربية)، و(التحليل العلمي للنصوص) و(مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي)، و("تعال نحوي علم الخليل". أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه)، و(دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية). فضلا عن بحوث أخرى تخص النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية من خلال النظرية الخليلية الحديثة.

تُشكل هذه الأعمال الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وقد حاول المؤلف جعلها فضاءً برهن عن طريقه على تميز الفكر اللغوي العربي باختلاف توجهاته.

وقبل الوقوف على أهم خصائص الخطاب التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تجربته (النظرية الخليلية الحديثة) أود أن أشير بعجالة إلى (مفهومي المنهج والخطاب)، وأنواع الخطاب وأهم آلياته في التحليل اللساني العلمي.

2. **الخطاب التربوي:** الخطاب التربوي أو التعليمي هو الخطاب الذي يُعنى بنقل المعارف والمعلومات بشكلٍ بسيطٍ يضمن سهولة اكتسابها من قبل القارئ أو المتعلم، ويتم ذلك باعتماد منهج واضح يقوم على مجموعة من الوسائل التبسيطية مثل: التلخيص، التكرار، المخططات والرسم البيانية وغيرها.

والهدف الأساسي من الخطاب التربوي أو التعليمي هو تيسير بناء الرصيد المعرفي للقارئ لتأهيله لسبر أغوار تلك المعرفة، والانتقال به من مرحلة

التّخزين إلى مرحلة الإخراج، أي من مرحلة تقبّل المعلومة إلى مناقشتها ونقدها ودحضها أيضاً وعليه يمكننا القول: إنّ للخطاب التّربوي هدفين: قريبٌ وهو التّسهيل، وبعيدٌ وهو التّأهيل فهو يُسهّل المعلومة حتى يؤهل القارئ لإعادة قراءتها في سياق علمي أكثر تعقيداً.

3. **الخطاب التّراثي:** يُعرّف الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح التّراث اللغوي العلمي أنّه "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمالٍ جليّة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علميّة وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الاعمجام والتّقط لتصحيح القراءة"¹.

إذ يُشير لفظ (تراث) في الخطاب العربي الحديث والمعاصر إلى ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التّركة الفكرية والروحيّة التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعاً خلفاً لسلف².

وجديرٌ بالذّكر أنّ الجانب الأهم من التّراث هو الأصول العلميّة التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها³. والرّصيد اللغوي القديم الذي خلفه أسلافنا مادّةً وبحثاً، جزءاً لا يتجزأ من هذا التّراث، وعليه، يُمثّل (التّراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكرية القديمة المتعلّقة بتحليل الظواهر اللغويّة بشكلٍ عام وظواهر اللغة العربيّة بشكلٍ خاص⁴.

نخلص من هذه التّقسيمات إلى أنّ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح قد وقف عند هذه الأنواع من الخطاب، إذ كان خطابه تراثياً فضلاً عن جمعه بين الخطاب العلمي والتّربوي فضلاً عن اللساني، إذ نلحظه - في المباحث السّابقة- يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث فضلاً عن أنّ الخطاب العلمي يفترض اعتماد معجم خاصّ ينبع من صميم التّخصص كما تتميز الصّيغ والتّراكيب بوضوحها وقيامها على دقة القصد والإشارة المباشرة للمعنى.

هذه هي لمحة عن الخطاب اللساني المعاصر، فضلاً عن أهم تقنيات التّحليل التي يُمكن اعتمادها في دراسة الخطاب اللساني، والتي يمكن تلمّسها عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من صلب المادة المطروحة - النّظريّة الخليليّة الحديثة - من قبل المؤلّف والتي تدور حول تحليل الخطاب التّراثي عنده، وبنية الخطاب فضلاً عن لغة الخطاب التّراثي التي اعتمدها الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح.

4. تحليل الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح:

1.4. من حيث الموضوع: يجمع الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بين شكلين من التّفكير اللغوي: التّفكير اللغوي العربي القديم والتّفكير اللساني الحديث. وسعيّاً منه إلى التّوفيق بين التّفكيرين، يُقدم المؤلّف بعض القراءات المتنوّعة بتنوّع مجالات البحث اللغوي.

يُقسّم الدّكتور مصطفى غلفان القراءات التّراثيّة على ثلاثة أصنافٍ أساسيّة⁵:

1) قراءة شموليّة؛

2) قراءة قطاعيّة؛

3) قراءة النّمودج الواحد.

فيما يخص القراءة الأولى، تُقدّم تجربته (النّظريّة الخليليّة الحديثة)، قراءة شموليّة لجميع مستويات اللغة (الصّوت، الصّرف، النّحو، الدّلالة)، إذ يعرض أفكار وآراء علمائنا القدماء ثم يوازنها مع ما يماثلها في التّفكير اللساني الحديث. فقد أسس النّظريّة الخليليّة مستنداً إلى تحليلات اللغة، طبقاً للمستويات أو المراتب الآتية⁶:

المستوى (6)	↑	الحديث أو الخطاب
المستوى (5)	↑	أبنية الكلام أو البنى التركيبية
المستوى (4)	↑	اللفظيات (جمع لفظة)
المستوى (3)	↑	الكلم أو الكلمات
المستوى (2)	↑	الدوال
المستوى (1)	↑	الحروف
المستوى (0)	↑	الصفات المميزة

وانطلق العلماء في تحليل اللغة من مستوى اللفظة Lalexie وهو "المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية أو الإفادية". ثم يبدأ المستوى (0) الذي يخص الصفات المميزة المتمثلة في المخارج من الحلق إلى الشفتين، والصفات مثل الجهر والهمس والغنة وغيرها⁷.

ثم يتدرج إلى المستوى الأول كما تدل العلامة ↑ المتمثل في الحروف، فقد اقتصرت العربية على ثمانية وعشرين حرفاً وستة أصوات (حركات وحروف مد). وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكون المستوى الثاني المتمثل في (الدوال) أو العناصر الدالة وهي أربعة:

أولاً: المادة الأصلية المكوّنة من حروف المعجم مثل: (ض.ر.ب)؛

ثانياً: الوزن أو الصيغة المتمثلة في القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصلية؛

ثالثاً: حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيها معنى إضافياً غير المعنى الأصلي لهما، ويُعرفها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بأنها: "كلمة محسوسة بنيت بناءً لازماً وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى

والإفادة، فتُعدّ في أحد هذين القبيلين إلا أنّها تبنى بناءً لازماً كالأدوات الأخرى وذلك مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول" ⁸؛

رابعاً: العلامة العدمية أو ترك العلامة كما سماه العرب القدماء، ويتمثل في غياب اللفظ الدال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض، وذلك مثل: طويل (للمذكر)، وكتبت (للمتكلم) وطويلة (للتأنيث) وكتب (Ø للغائب) ⁹.

وأما المستوى الثالث من التحليل فيبنى على المستويين السابقين ويتمثل في (الكلم) وتدرج فيه الأسماء والأفعال، وقد عرف سيويه الوحدات في هذا المستوى بقوله: "فالكلم اسم وفعلٌ وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" ¹⁰.

إنّ الكلم نوعان: متمكن يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدلالة على معناها، وغير متمكن ويتمثل في حروف المعاني والأفعال الناقصة وغير المتصرفة والأسماء المبنية؛ فالكلم المتمكنه يبتدئ بها ويوقف عليها؛ لأنّها تنفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة وأما غير المتمكنه فتحتاج إلى غيرها من الكلم وينعدم فيها الأصل والصيغة" ¹¹.

أما مستوى التحليل الخاص باللفظة فينتظم انتظاماً معقداً، يقول عنه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "إنّ الكلم... لا تنتظم في الكلام على مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النحاة المتأخرين، فإنّ الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوماً من أدوات مخصصة به ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج) يسمى عند نحائنا القدامى بالتعاقب، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه، وذلك مثل المضاف إليه والتّركيب المسمى بالصلة والموصول والصفات وحتى الأبنية المسماة - من حيث الإفادة فقط - جملاً" ¹².

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: الكتاب، كتاب التلميد، بالكتاب، الكتاب المفيد الذي اشتراه التلميد أمس... الخ، تُعدُّ بمنزلة الكلمة الواحدة وهي التي سماها الرضي الاستر바이 "لفظة"¹³ لا كلمة. ومن هذا المفهوم عندهم¹⁴. تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات "كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد"¹⁵، كما قال سيوييه: "فأما النعت الذي جرى على النعوت فقولك: مررتُ برجلٍ ظريف، فصار النعت مجروراً مثل المجرور لأنه كالاسم الواحد... أما لا النافية للجنس واسمها فجعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد"¹⁶.

أما المستوى المتعلق بأبنية الكلام فيعني التراكيب والجمل وهو أعلى من اللفظة ويبحث عن المثال المجرد الذي يبني عليه أقل الكلام المركب وذلك بحمل كلام على آخر من جنسه¹⁷.

بمعنى أن الانطلاق في التحليل اللغوي يتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما فوق اللفظة لاكتشاف البناء أو الأصل، "بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريداً وهو مستوى العامل وهو العنصر اللغوي الذي يتحكم في التركيب فيعمل فيه الرفع والنصب، وهو الذي يحدد العلامات الإعرابية في التركيب"¹⁸.

وقد أوجز الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أبنية الكلام في العربية بقوله: "إن أصغر ما يُبنى عليه الكلام يتكون دائماً من عامل (ع) ومعمول أول (م) ثم معمول ثانٍ (م)¹⁹". وهكذا يُعدُّ العامل أو العمل النحوي الفكرة الجوهرية التي تأسست عليها نظرية النحاة العرب... فكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنما يجرى تبعاً لعامل في التركيب، فلا تجد معمولاً إلا وتصور له العلماء العرب الأوائل عنصراً لفظياً أو معنوياً هاماً هو العامل الذي يكون مع معموله زوجاً مرتباً Coupleodonne.²⁰

وأما المستوى الأخير من التحليل فيتعلق بالحديث أو الخطاب وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه التحليل، فقد كان للخليل وسيبويه والعلماء العرب الذين جاءوا بعدهما نظريّة لغويّة متميزة فرقوا فيها بين النظرة إلى الكلام بعده خطاباً والنظرة إليه بعده بنيّة ومن أهم المبادئ التي بُنيت عليها هذه النظريّة التّمييز الصّارم في تحليلهم للغة بين جانبها الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة، أي تبليغ الأغراض المتبادلة بين متكلم ومُخاطب، وبين جانبها اللفظي الصّوري، أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بغض النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظيّة^{1 2}. فضلاً عن أنّ اللغة وضع واستعمال أي نظام من الأدلة المتواضع عليها واستخدام لهذا النّظام وليست نظاماً فقط ينظر فيه الباحث دون أن يُفكر في كيفية استخدام المتكلم له كوسيلة تبليغ أولاً وكوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانياً^{2 2}. فاللغة عبارة عن مجموعة منسجمة من الدّوال والمدلولات ذات بنيّة عامّة ثم بُنى جزئيّة وهذا يسمى الوضع، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغويّة وعلاقاتها الرابطة وبين العمليات المُحدثة لتلك العناصر على شكل تفرّيعي أو توليدي، أما الاستعمال فهو كيفية إجراء النّاطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فيختار المتكلم ما يحتاج من الدّوال للتعبير عن أغراضه فيُميّز بين ما هو راجع إلى القياس وبين ما هو راجع إلى الاستعمال؛ بمعنى أنّه يستعمل اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب؛ لأنّ قوانين الاستعمال هي قوانين الوضع أو القياس ولذلك فإنّ اللفظ والمعنى في الوضع يختلفان عنه في الاستعمال^{2 3}.

ويخصوص القراءة الثّانيّة التي تُركّز على (القطاعيّة)، فأعتقد أنّ بحثه الموسوم بـ (الجملة في كتاب سيبويه)^{2 4} يُمكن تصنيفه ضمن هكذا نوع من القراءة؛ وذلك لأنّه لا يعالج قطاعاً بأكمله - وهو المستوى النّحوي - بل يعالج أفكاراً جزئيّة فيه: هي الجملة عند سيبويه، والتّمييز بين الكلام كخطاب وكبنيّة^{2 5}.

ومن أجل ذلك أقترح تسميتها بالقراءة الجزئية أو التفصيلية، التي تتمحور حول نقطة جزئية في قطاع عام أو نظرية خاصة وهي: النظرية الخليلية الحديثة.

أما ما يخص القراءة التي تركّز على النموذج الواحد، فيُقدّم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً - ضمن بحوث النظرية الخليلية الحديثة - بعنوان: (أقائم أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهوم الموضع والمثال)²⁶، يعرض من خلاله أهم الأفكار التي يطرحها العالمان الجليلان - سيبويه والرّضي - بالتفصيل ومشيراً إلى ما اتّفق منها مع التفكير اللساني الحديث، وما يفترق عنها، إذ إنّ (مفهوم الموضع) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً²⁷؛ والسبب في ذلك أنّ التحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللفظ المسموع وحده كما هو الشأن عند البنيويين، والنّحاة العرب ينطلقون - أيضاً - من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة جملة والقطعة بعد القطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق بينهما من حيث صفاتها الذاتيّة بل يحملون هذا النّحو على ذلك... والمثال الناتج عن هذا الحمل هو الصّورة الجامعة²⁸.

ويورد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً آخر - ضمن بحوث النظرية الخليلية الحديثة - بعنوان: (تعال نحوي علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه)²⁹، إذ تعرض المؤلّف فيه إلى عرض موضوعات ذكرها في موضوعات ذكرها في مواضع سابقة³⁰، فضلاً عن أنّه بيّن ما للخليل من "تصور علمي وأدوات تحليلية لا يضاهاها في القيمة العلمية إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا، وذلك لا من النّاحية المنهجية فقط، بل أيضاً من النّاحية المنهجية التجريبية منها والنظرية"³¹.

وقد ذكر أنّ النّحو العربي الأصيل في جوهره إجرائي وقصد بذلك: "أنّه يُحدّد ويولّد في الوقت نفسه الكيانات التّحوية بتحديد كيفية حصولها

وتحقيقها، ويتم ذلك بحصر الأصول أولاً ثم بتفريع الفروع على الأصول مع إمكانية ردّ الفروع إلى أصولها" ^{2 3}. فالاسم - مثلاً - يبحث فيه النحوي أولاً عن أقل ما يمكن أن ينطق به من اللفظ ويكون في الوقت نفسه كلاماً مفيداً مثل (كتاب)، فهذا أصل يمكن أن تفرع عليه فروع بعملية تسمى الزيادة، وهو تحويل في اللسانيات التحويلية التوليدية ^{3 3}، وهكذا يتمحور العمل التراثي عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حول ثلاثة موضوعات قرآنية، نلخصها في الجدول الآتي ^{4 3}:

نوع القراءة	العمل التراثي
قراءة شمولية	- المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي. - المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب.
القراءة القطاعية	- الجملة في كتاب سيبويه.
قراءة الانموذج الواحد	- "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال. - "تعال نحي علم الخليل" أو الجوانب العلمية. - المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه.

مما تقدّم يتضح لنا أن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح لا يكتفي في أعماله التراثية بالمعالجة العامة، بل يعمد إلى المسائل الدقيقة فيحلّها ويستخلص أهم ما تقوم عليه من مبادئ بما اتّفق معها في النظريات اللسانية الحديثة.

إنّ هذا المنطلق يدل على أنّ المؤلّف لا يستند في أعماله على إخضاع التراث اللغوي لتيار لساني محدّد، فلم يقل إنّ التراث اللغوي العربي بنوي أو توليدي بل يحاول طرح المفاهيم ومقابلتها بما شابهها سواء أكان بنوياً أم توليدياً أم غير

ذلك. وبذلك تُصبح الموازنة لديه موازنة مفهومية جزئية، لا موازنة نظرية عامة. وهذا يعني أنه يتجنب إصدار الأحكام العامة التي تُخضع التراث اللغوي العربي لتيار لساني محدد بل يحاول تناول الموضوعات بدقة موضوعية وعلى وفق منهجية علمية يزواج بين القدماء العرب واللسانيات الحديثة.

2.4. من حيث المنهج: تُعدُّ دراسة التراث وربطه بالفكر اللساني الحديث عملية دقيقة وصعبة التحقيق خاصة وأن تراثنا اللغوي العربي يتميز بضخامة حجمه المبعثر في بطون الكتب العلمية المتعددة الاتجاهات، لذا تأخذ عملية دراسته بعدين:

البعد الأول: جمع نتاجه وحصر مادته لتفسيرها وفهم أبعادها.

البعد الثاني: وضعه الصحيح من الدراسات اللسانية الحديثة.

إن عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفردية المبذولة من قبل بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يُشير الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إلى ضرورة تضافر جهودات اللسانيين العرب لتغطيه أكبر عددٍ ممكنٍ من اللغويين العرب، ودراسة أهم القضايا المتطورة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثم ربطها بالتراث اللغوي العالمي³⁵.

وكغيره من اللسانيين المعاصرين، اهتم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بدراسة التراث اللغوي العربي، مقدماً عدداً من المحاولات لكشف ذلك التقارب القائم بين التفكيرين، وللدرد على التهميش الذي شهده التراث اللغوي العربي في مسيرة التأريخ للسانيات، إذ لا نبالغ إذا قلنا: إن هناك ظلاماً طال التراث اللغوي العربي في هذا المجال³⁶.

إن محاولة العودة إلى الأعمال التراثية التي قدمها المؤلف تُبرهن على صحة ما ذهب إليه، إذ إنّه اتخذ وضعاً وسطياً، فهو لم يتوقع في التراث عازلاً إياه عن مستجدات البحث اللساني العالمي، وفي المقابل لم ينسلخ عن هذا التراث، منجرفاً

وراء اللسانيات الحديثة وما تحتويه نظرياتها ومناهجها، فضلاً عن أنّه لم يكتفِ بعرض أفكار القدماء، ولا منهجهم في الدّرس اللغوي، بل سعى في أكثر من موضع إلى مقارنة هذه الآراء بآراء المحدثين، وإظهار نسبة التّقارب القائمة بينها. ويُعبّر المؤلّف عن هذا المنهج قائلاً: "إنّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التّحليل... هو التّناسب الوضعي الذي يوجد علم اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري... فهذا التّناسب لجدير بالدراسة³⁷. إذا يتضح لنا مما تقدّم أنّ المنهج الذي تبناه الدّكتور الحاج صالح في عمله التّراثي هو (التّوافقي) فضلاً عن كونه (مقارنة)، وهو ذات المنهج الذي يعتمده أغلب دراسي التّراث العربي³⁸، وإنّ كانوا لحدّ الآن غير متفقين على أسسه وخطواته العامّة. يتبادر إلى الدّهن سؤال، أين تكمن مواطن الإبداع في منهجيته المعتمدة في تحليل الخطاب التّراثي في النّظرية الخليلية الحديثة؟ بصيغةٍ أخرى، هل يُمكننا عدّ الخطاب التّراثي في النّظرية الخليلية الحديثة خطاباً أصيلاً؟

يرتبط مفهوم الأصالة - هنا - بمجموعة الصّفات أو المميّزات الخاصة بالخطاب التّراثي، كما تمثّلته تجربة الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح، من حيث طريقتة في معالجة ما اختار من التّراث العربي، وما تعلق بهذه المعالجة، من مفاهيم ومبادئ ومصطلحات. وهو ما يقودنا إلى تحديد معالم النّمودج المقترح من قبله في دراسة وإعادة بث التّراث اللغوي العربي من جديد، وفي هيئةٍ جديدة بهدف استثمار أفكاره في بناء صرح لسانيّ عربيّ يتسم بالأصالة والتّجديد في الوقت ذاته.

وتتحدد الأصالة بنظر الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من خلال قوله: "أنّ يكون الشّيء أو الإنسان مبدعاً مهماً كان عصره أي أنّ لا يكون نسخة لغيره بالنّسبة إلى الأفكار التي ينتجها، فالأصيل هو من ليس نسخة لغيره مهما كان الزّمان، وقد تكون أصالة في زمنٍ قديم وقد تكون أصالةً في زماننا هذا، وقد يكون

الرجل فريداً من نوعه في ميدان خاص أو استعماله لبعض الوسائل العقلية³⁹. وهذه الأصالة التي ذكرها المؤلف وجدناها بوضوح تام في النظرية الخليلية الحديثة، فقد تفرّد في طرح الموضوعات فضلاً عن اختلاف هذا الطرح في كل مرة، وباختلاف الطروحات تُكشّف أشياء جديدة وهذا الاكتشاف هو ما يمكننا وصفه بالأصالة.

فقد تميّز طرح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بخصائص قلّ التّطرق إليها عند غيره من الباحثين العرب، إذ إنّ عودة المؤلف إلى التراث اللغوي العربي وسعيه إلى تعريف الآخر به، أول عنصر دال على أصالة الخطاب عنده، فهو على الرّغم من دراسته للسانيات الغربية، ومحاولاته الجادة لجعلها مقوماً من مقومات ثقافة العربي، فإنّه لم يتوقف عندها، وكأنّها شيء من نوعه، لا سابق له ولا مثيل.

لقد أوضح مؤلّف النظرية الخليلية الحديثة من خلال عمله هذا، سعيه لربط الماضي بالحاضر، وإظهار استمرارية الفكر اللغوي؛ لأنّ اللغة متطورة أبداً واللغوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها⁴⁰، وما قدّمه الحاج صالح دليل قاطع على أنّ اللغة متطورة، فقد تفرّد علماؤنا القدماء بأرائهم الدقيقة والعلمية لدرجة جعلها تضاهي أفكار المحدثين. فبعد تقديمه مفهوم (اللفظة) في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية)⁴¹، يخلص إلى أنّ هذا المفهوم لم يذكره اللسانيون الغربيون واقترح ترجمتها (Lexie)⁴².

وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما هو موجود في اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية^{3 4}، وخلّص إلى أنّ هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربية إطلاقاً^{4 4}.

فأصالة الخطاب عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تبرز في اعتماده المطلق على أقوال القدماء، فهو يعتمد منهجاً قوامه طرح الأدلة الفعلية المستقاة

من أقوال القدماء، فهو ينتهج منهجاً واحداً، قوامه الموازنة بين آراء القدماء وآراء المحدثين في المفاهيم والأسس.

5. **الخاتمة:** إنّ النّظريّة الخليليّة الحديثة قامت في ذهن مؤلّفها بعد القراءة المتأنّيّة الدّقيقة لمفاهيم النّحو العربي، ثم سعى عن طريقها إلى إعطاء منهج حدائلي لدراسة نحو العربيّة، فضلاً عن سعيه إلى ترسيخ مبادئها بإعطائها ما يميّزها من مفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل خاصة بها على غرار ما تُعرّف به النّظريات اللسانيّة الحديثة. وفي هذا المجال فإنّ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح وقف مع الكثير من المفاهيم والمصطلحات النّحويّة العربيّة الأصيلة والتي استغلّق فهمها عند بعض الباحثين أو أسقطَ عليها مفاهيم أرسطيّة فطمسَ معناها، فحاول تصحيح هذه الرّؤية وبيان ما فيها من العلميّة والدّقة المتناهيّة إذا فهمت على أصلها الذي وُضعت له.

ويمكن أن نُقسّم منهج الحاج صالح الحدائلي على مستويين:

الأول: مستوى المفاهيم: ويتجلى من خلال إحيائه للمفاهيم والمصطلحات العربيّة الأصيلة، وكشفه عن دلالاتها الحقيقيّة، والتي جاءت بمنهجية وعلميّة مستقلة عند النّحويين القدماء، والتي تصلح أن تكون مبادئ لنظريّة لغويّة نحوية.

والثاني المستوى التقني: استثماره لهذه المفاهيم ودلالاتها الحقيقيّة بصورة عمليّة في تطوير هذه اللغة، وضمان حيويتها واستمراريتها^{4 5}. فهو في منهجه هذا يمتلك إبداعاً لغوياً جديداً، استخدم فيه قوة ذهنيّة كبيرة وعلميّة بأنّ وضع المفاهيم في موضعها الصّحيح، وهذا راجع إلى طبيعة دراسته للرياضيات فضلاً عن المناهج اللسانيّة الحديثة، واطلاعه على علوم الفلسفة، والمنطق والحاسوب.

6. قائمة المراجع:

- 1) الاسند باذي، "شرح كافيّة ابن الحاجب"، تر: أحمد السيّد أحمد، المكتبة التّوفيقيّة القاهرة، د.ط، د.ت، ج1.
- 2) حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات"، الدّار العربيّة للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرّباط، ط1 2009.
- 3) خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، دار القصبه للنشر، حيدرة الجزائر ط2، 2006.
- 4) سيويوه، "الكتاب"تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان، ط3 ج1. ص164
- 5) عبد الرّحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، موفم للنشر الجزائر 2007م، ج1- 2.
- 6) عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى التّحويّة العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة، الجزائر، 2016م.
- 7) عبد الرّحمن الحاج صالح، "الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربي"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرّعايّة، الجزائر.
- 8) عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2011م.
- 9) عبد الرّحمن الحاج صالح، "أنماط الصّيّغة اللّغويّة الحاسوبية والنّظريّة الخليليّة الحديثة"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة، الأبيار، الجزائر، العدد 24، 2016.
- 10) عبد الرّحمن، "النّظريّة الخليليّة الحديثة - مفاهيمها الأساسيّة - مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة"، بوزريعة، الجزائر، العدد التّراجع 2007.
- 11) محمد عابد الجابري، "التّراث والحداثة"، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1 1991.

- (12) مصطفى غلفان، "اللّسانيّات العربيّة الحديثة - دراسة نقديّة المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كليّة الآداب، الدّار البيضاء، 1998م.
- (13) مهدي المخزومي، "في النّحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة بغداد، ط2، 2005.
- (14) ميشال زكرياء، "الملكة اللّسانيّة في مقدّمة ابن خلدون"، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1986.
- (15) نشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللّسانيّات الخليّة الحديثة"، مجلّة العلوم الإنسانيّة جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السّابع، 2005م.

7. الهوامش:

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، "السَّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، موقف للنشر الجزائر د.ط، 2011م، ص: 07.

² محمد عابد الجابري، "التراث والحداثة"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص: 24.

³ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، "السَّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، ص: 07.

⁴ حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات"، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ط1، 2009، ص: 123 - 124.

⁵ مصطفى غلفان، "اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية المصادر والأسس النظرية والمنهجية منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1998م، ص: 136 - 137.

⁶ نشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة"، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، 2005م، ص: 17.

⁷ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 324.

⁸ عبد الرحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسان"، موقف للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 191.

⁹ المرجع نفسه، ص: 191.

¹⁰ خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، دار القصب للنشر، حيدرة، الجزائر، ط2، 2006 ص: 96 - 97.

¹¹ سيبويه، "الكتاب"، تر: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص:.....

¹² ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، "البحوث ودراسات في علوم اللسان"، ص: 192 - 193.

¹³ المرجع نفسه، ص: 192.

¹⁴ الاسند باذي، "شرح كافيّة ابن الحاجب"، تر: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط د.ت ج1، ص: 12.

¹⁵ عبد الرحمن، "النظرية الخليلية الحديثة - مفاهيمها الأساسية - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية"، بوزريعة، الجزائر، العدد الرابع، 2007، ص: 32.

¹⁶ سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 421.

- ¹⁷ المصدر نفسه، ج2، ص: 274، 276.
- ¹⁸ ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج1، ص: 326.
- ¹⁹ خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، ص: 100.
- ²⁰ عبد الرّحمن الحاج صالح، "أنماط الصّيّغة اللّغويّة الحاسوبية والنّظريّة الخليّية، الحديثة"، مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، الأبيار، الجزائر، العدد 24، 2016، ص: 22.
- ²¹ عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربيّة"، منشورات المجمع الجزائريّ للغة العربيّة الجزائر، 2016م ص: 132 - 133.
- ²² ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج2، ص: 91.
- ²³ ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 90.
- ²⁴ ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، ص: 190.
- ²⁵ عيسى مومني، "بيبلوغرافيا اللّسانيات..."، ص54.
- ²⁶ ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة" منشورات المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية، وحدة الرّعاية، الجزائر ص: 17.
- ²⁷ ينظر: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج2، ص: 9 - 22.
- ²⁸ المرجع نفسه، ج2، ص 21.
- ²⁹ ينظر: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج2، ص: 22.
- ³⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص: 58 - 59.
- ³¹ كموضوع الأصل والفرع مثلاً.
- ³² المرجع نفسه، ج2، ص: 59.
- ³³ المرجع نفسه، ج2، ص: 78.
- ³⁴ ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربيّة"، ص: 91.
- ³⁵ ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج2، ص: 9 - 58.
- ³⁶ عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج1، ص: 101، 100.

³⁷ ينظر: ميشال زكرياء، "الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1986، ص: 07.

³⁸ عبد الرحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللسانيات"، ص: 10.

³⁹ عبد الرحمن، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، 11.

⁴⁰ المرجع نفسه، ص: 12.

⁴¹ ينظر: مهدي المخزومي، "في النحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2 2005، ص: 22.

⁴² ينظر: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج1، ص: 219.

⁴³ المرجع نفسه، ج1، ص: 219.

⁴⁴ المرجع نفسه، ج2، ص11.

⁴⁵ المرجع نفسه، ج2، ص: 21 - 22.